الجمهـــورية الجـــزائرية الديمقـــراطية الشعبـــية
وزارة التعليـــم العـــالي والبحـــث العلـــمي
جامعـــة غليـــزان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

فيلولوجيا اللّغة العربية في ضوء التحولات المنهجية للدّرس اللّساني

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه ل. م. د في اللسانيات العربية المقارنة

إعداد الطالب:
محمد شردودي

إشراف:
أ. د. محمد بن شماني

المناقشة بتاريخ 2024/05/13 من قبل اللجنة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
مفلاح بن عبد الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة غليزان	رئيسا
محمد بن شماني	أستاذ التعليم العالي	جامعة غليزان	مشرفا ومقررا
دحو أمينة	أستاذ محاضر–أ-	جامعة غليزان	مناقشا
عرباوي نورية	أستاذ محاضر–أ-	جامعة غليزان	مناقشا
هني سنية	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشا
بوغازي حكيم	أستاذ محاضر–أ-	جامعة مستغانم	مناقشا

السنة الجامعية:2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غليزان
كلية الاداب واللغات
نيابة العمادة المكلفة بما بعد التدرج
و البحث العلمي و العلاقات الخارجية
رقم القيد: ك. أ . ل/ 2024/0014

جامعة غليزان
UNIVERSITE DE GHELIZANE

محضر مناقشة أطروحة دكتوراه
(الطور الثالث)

طبقا للقرار رقم 547 المؤرخ في 02 جوان 2016 الذي يحدد كيفيات تنظيم التكوين في الطور الثالث وشروط إعداد أطروحة الدكتوراه ومناقشتها.

في يوم : **الإثنين 13 ماي 2024** بجامعة غليزان،

ناقش علنيا الطالب: **محمد شردودي**،

المولود بتاريخ: **1982/07/13 بأولاد موجار غليزان**.

أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ: **فيلولوجيا اللغة العربية في ضوء التّحولات المنهجية للدّرس اللساني**.

أمام لجنة المناقشة المعينة بموجب مقرر نائب مدير جامعة غليزان للتكوين العالي والتكوين المتواصل والشهادات المؤرخ في: **19 مارس 2024** تحت رقم 113.

وبعد المناقشة العلنية التي دامت ثلاث ساعات من الساعة 16:00 إلى 19:00 والمداولة القانونية قررت اللجنة منح الطالب المناقش درجة الدكتوراه بتقدير مشرف جدا.

تتشكل لجنة المناقشة من:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الإمضاء
01	بن عبد الله مفلاح	أستاذ	رئيسا	
02	محمد بن شماني	أستاذ	مشرفا مقررا	
03	أمينة دحو	أستاذ محاضر أ	مناقشا	
04	نورية عرباوي	أستاذ محاضر أ	مناقشا	
05	هني سنية	أستاذ	مناقشا	
06	حكيم بوغازي	أستاذ محاضر أ	مناقشا	

غليزان في: 16 ماي 2024

مصادقة عميد الكلية
و. أ. مفلاح بن عبد الله
عميد كلية الآداب واللغات

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غليزان
كلية الآداب واللغات
نيابة العمادة المكلفة بما بعد التدرج
و البحث العلمي و العلاقات الخارجية

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة).....محمد شنوفي.....الصفة:.....طالب دكتوراه.....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم.....105886175.....والصادرة بتاريخ.....2017/08/21.....

المنتمي إلى كلية.....الآداب واللغات.....قسم.....اللغة العربية.....

والمكلف(ة) بإنجاز أطروحة الدكتوراه عنوانها:

.....فيلولوجيا اللغة العربية في ضوء المتحولات.....

.....المنهجية للدرس اللساني.....

أصرح بشرفي أني التزمت بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز أطروحة الدكتوراه المذكورة أعلاه.

غليزان في:.....2023/10/16.....

الأستاذ(ة) المشرف

الدكتور: بن شعبي محمد
أستاذ التعليم العالي
اللسانيات

توقيع طالب(ة) الدكتوراه

شكر وتقدير

أولا أشكر الله عز وجل وأحمده على توفيقه لكتابة هذه الأطروحة.

ثم أتوجه بالشكر الجزيل وخالص العرفان إلى كل من كان عونا لي وسندا في إتمام هذا العمل المتواضع، وأخص بالذّكر أستاذي الكريم **محمد بن شماني** الذي وقف بجانبي؛ فكان مرشدا لي في إعداد هذا البحث.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين وإخوتي وأخواتي.

إلى محمد البشير الإبراهيمي، الذي أمتع الأمة الإسلامية بكتاباته الرائعة فكانت فسيفساء تعلوها روعة البيان وجمال الأسلوب.

إلى محمد صديق المنشاوي صاحب الصّوت الحزين.

مقدمة

مقدمة:

تعد اللّغة العربية من أعظم آلاء الله على هذه الأمة، ويكفيها فخرا أنها لغة القرآن، الذي أعجز بسحر بيانه ألسنة الشعراء البلغاء، وحارت في معجزاته عقول العلماء النبغاء.

قال أحمد شوقي:

إنَّ الَّذِي مَلَأَ اللغَاتِ مَحاسِنَا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسِرَّهُ فِي الضّادِ

وبما أنّ هذه اللغة البهية بهذه المنزلة، كان من الأهمية بمكان الاعتناء بها، والتبحر في أسرارها، والتفكر في دقائقها؛ لأنّ فقه العربية من أوجب الواجبات، وأهمّ المهمّات، إذ به يتمّ التمييز بين دقيق المعاني والدّلالات، وفهم شريعة ربّ البريات، وقد صرف العلماء الأقدمون همهم لدراسة وفقه لغة الضّاد، وثابروا في ذلك؛ لاستخراج ما أودعه الله سبحانه فيها من مكنونات وبدائع، وخصائص تميّزها عن سائر اللّغات، وما فيها من رونق الجمال والجلال الذي يحيّر الألباب. ثمّ تتابع الباحثون والدارسون على اختلاف توجهاتهم، وتنوع ثقافاتهم على الاعتناء بفيلولوجيا اللغة العربية حتى عصرنا هذا، إذ اعتمدوا في ذلك مناهج متعددة في دراساتهم اللغوية، وهي في جوهرها مقتبسة من الفيلولوجيا الغربية.

وموضوع هذا البحث يهدف إلى: الرغبة في إبراز جهود العلماء العرب القدامى في ميدان فقه اللّغة.

- ومحاولة الوقوف على المناهج التي سلكها علماء العربية القدامى، وموازنتها بالمناهج الغربية الحديثة.

- وبيان المنعطفات الكبرى للفيلولوجيا العربية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة.

- ومعرفة أسس التقعيد العلمي للفيلولوجيا العربية.

- وبيان آثار الاستشراق في الدراسات اللغوية العربية عموماً.

ولا شك أنّ الرّغبة كانت أكيدة، والحاجة ماسة؛ لتسليط الضوء على تراثنا العربي الذي قد يكون نسيا منسيا في بعض الأحايين، وهو ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، الذي تكمن أهميته في بيان شرف لغة الضاد، وأن فقهها، ومعرفة قواعدها وأصولها سبيل لفهم علوم

أخرى، كعلم التفسير وعلم أصول الفقه وغيرهما؛ إذ من ضبط العربية، سهلت عليه فنون كثيرة.

وبناء على ما سبق أردت أن ألج هذا الباب من منفذ صغير جدا، يتعلق بفيلولوجيا اللغة العربية في ضوء التحولات المنهجية للدرس اللساني، وذلك بطرح جملة من التساؤلات لفتت انتباهي، أوجزها فيما يلي:

- هل وضعت الفيلولوجيا العربية الحديثة على أسس صحيحة؟

- ما هي نقاط التقاطع بين الفيلولوجيا العربية والفيلولوجيا الغربية؟

- هل توجد فجوات في هذا الحقل المعرفي بالنسبة إلى الدرس العربي؟

- هل يمكن الاستفادة من الدراسات الاستشراقية، والتعويل عليها في هذا الإطار؟

- ما هي الأسس النظرية والمنهجية التي ينبغي لنا اتباعها؛ حتى يتشكل لنا درس عربي مستقل بكل أبعاده في مجال الفيلولوجيا؟

- هل قدمت الفيلولوجيا العربية خدمة جليلة للغة الضاد؟

وجوابا على هذه التساؤلات، قمنا بتقسيم بحثنا إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة؛ بحيث يتضمن كل فصل ثلاثة مباحث. وبما أن بعض المصطلحات تبدو متداخلة فقد قمنا في المدخل بتعريف الفيلوجيا، وفقه اللغة وعلم اللغة، واللسانيات لغة واصطلاحا، مع بيان إشكالية المصطلح.

وأمّا الفصل الأول فعنوناه بـ (مظاهر البحث الفيلولوجي عند العلماء العرب القدامى عبر دراستهم اللغّة)؛ إذ تناولنا في المبحث الأول مظاهر البحث الفيلولوجي في ظلّ الموازنة بين العربية وغيرها من اللغات، وفي الثاني مظاهر البحث الفيلولوجي في ظل القضايا اللّغوية، وفي الثالث مظاهر البحث الفيلولوجي في ظل المنهج المتبع.

وأما الفصل الثاني فعنوناه بـ (اللغة العربية في ظلّ النهضة العربية الحديثة)؛ إذ عالجنا في المبحث الأول أثر الاستشراق في الدراسة الفيلولوجية للغة العربية، وفي الثاني التعرف على التراث اللغوي عبر تحقيق النصوص القديمة ودراستها، وفي الثالث طلائع الدرس الفيلولوجي للغة العربية.

وأما الفصل الثالث فعنوناه بـ(اللغة العربية في ظلّ المناهج الفيلولوجية الغربية)، إذ درسنا في المبحث الأول الفيلولوجيا الغربية وأثرها في دراسة اللغة العربية، وفي الثاني أهم المناهج اللسانية ذات البعد الفيلولوجي في دراسة اللغة العربية، وفي الثالث أهم المناهج العربية الحديثة التي درست اللغة العربية فيلولوجيا.

وأما بالنسبة للمنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي والمقارن، وذلك بتتبع الآراء المتجاذبة على مصراعيها؛ لكشف الفروق الجوهرية بين التيارين العربي والغربي.

وقد اعتمدنا على بعض المصادر والمراجع متمثلة في الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس، وفقه اللّغة وسر العربية للثعالبي، والخصائص لابن جني، والمعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي، والمزهر للسيوطي، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية لعبد الرحمن الحاج صالح، وفصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب وفقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي، والمستشرقون والمناهج اللّغوية لإسماعيل عمايرة، والتّطور النّحوي لبرجشتراسر وغيرها من المؤلفات .

وككل الباحثين فقد واجهتنا صعوبات تتعلق ببعض المراجع الخاصة بالفيلولوجيا الغربية والتأصيل لها، وكذلك الخاصة بمناهج المستشرقين في دراسة العربية، إذ لم نعثر إلا على كتاب المستشرقون والمناهج اللغوية لإسماعيل عمايرة. وهذا الباب يحتاج إلى دراسات علمية كثيرة مؤصلة تأصيلا دقيقا.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني وأعانني في إنجاز هذا البحث وأخص منهم بالشكر الأستاذ المشرف محمد بن شماني على توجيهاته القّيمة، وتعليقاته السديدة.

وفي الأخير ما يسعني إلا أن أقول: إن كتابات البشر مكتوب عليها الخطأ والنسيان، ويعتريها الزلل والنقصان، ولا يسلم من ذلك إلا كتاب رب العالمين. وما أحسن قول الحريري في ملحة الإعراب:

وإن تجــدْ عيبًــا فسُــدّ الخلَــلا قـد جـلَّ مـن لا عيـبَ فيـه وعَـلا.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

محمد شردودي بتاريخ: الخميس 19شعبان 1445هـ

الموافق ل 29 فيفري 2024م، في غليزان.

المدخل:

التّحديدات اللّغوية

الاصطلاحية

وإشكالية المصطلح

إن طبيعة هذا البحث تقتضي التعريج على أربعة مصطلحات وهي: الفيلولوجيا، وفقه اللّغة، وعلم اللّغة، واللّسانيات.

1)- الفيلولوجيا: La Philologie:

مصطلح غربي تعود جذوره إلى الحضارة الإغريقية، لكونه يتكون من كلمتين يونانيتين: الأولى philos وتعني الّحب أو الصّدّيق والثانية logos وتعني الكلام أو الدّراسة، يقول محمدّ علي عبد الكريم الرّديني: " ويرجع اشتقاق هذه الكلمة إلى كلمتين يونانيتين philos وتعني الّحب و logosوتعني الكلام أو دراسة أي حبّ الكلام، أو حب الدّراسة؛ للتعمق في دراسته من ناحية قواعده وأصوله وتاريخه"[1]. ويقول محمدّ أسعد النّادري: " كلمة philologie مركبة من لفظين إغريقيين هما: philos بمعنى الصّديق، وlogos بمعنى الخطبة أو الكلام"[2]. فالفيلولوجيا هي التعمق في دراسة الكلام وفهم خباياه.

وعند بزوغ سحائب النهضة الأوروبية، لم تقم الدّراسات اللّغوية آنذاك إلاّ على أعقاب الحضارتين اليونانية والرّومانية، لتمثل بذلك ارتباطا كبيرا بالماضي، وقد كانت اللّغتان اليونانية واللاتينية الحامل لذلك الزّخم المعرفي، فانصرفت الجهود إلى دراستهما بشرح وتفسير ونقد تلك النّصوص القديمة، وهذا ما اصطلح عليه بالفيلولوجيا. يقول أحمد حساني: "ولذلك فإنّ الفيلولوجيا منوال إجرائي موضوعه:

1-النصوص القديمة المنجزة في الحقب التاريخية التي مرّت بها الحضارة الأوروبية القديمة.

2- الآثار التاريخية القديمة (تفسير الرموز الأثرية).

3- تحقيق المخطوطات باعتماد آليات منهجية؛ لإعادة قراءة المخطوط وإخراجه لكي يواصل عطاءه المعرفي عبر الأجيال المتعاقبة"[3]. ويقول تمام حسّان: " ثمّ توسع اللّغويون في مدلول

1-محمد علي عبد الكريم الرّديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، الجزائر، طبعة 2009، ص 27.

2 -محمد أسعد النّادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة 2009، ص 19.

3-أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ط/ 2007، ص12.

الفيلولوجيا دون أن يجردوه من ارتباطه باللغات والدراسات القديمة، فأطلقوا هذا المصطلح على نوعين من أنواع النشاط والتحقيق العلمي هما:

أ)-فك رموز الكتابات القديمة التي يعثر عليها الباحثون.

ب)-وأطلق اللفظ كذلك على تحقيق الوثائق والمخطوطات القديمة بغية نشرها والانتفاع بها في النشاط العلمي"[1]. ومن هذين القولين يتضح أنّ الفيلولوجيا تهتم بدراسة النصوص القديمة.

وقد اختلف علماء الغرب في تحديد مفهوم الفيلولوجيا اختلافا كبيرا، فذهبت المدرسة البريطانية إلى أنّ الفيلولوجيا والفيلولوجيا المقارنة شيء واحد، فالبريطانيون "يتساوى عندهم اصطلاح فقه اللّغة مع فقه اللّغة المقارن الذي هو أقدم"[2]. بينما ذهب الألمان إلى أنّ الفيلولوجيا هي "الدّراسة العلمية للنصوص الأدبية القديمة، وخاصة النصوص اليونانية والرّومانية القديمة، ويعني أكثر من ذلك دراسة الثقافة والحضارة من خلال النصوص الأدبية"[3]. وورد في كتاب أسس علم اللّغة لماريو باي Mario Pei: " إن موضوع فقه اللّغة philologie لا يختص بدراسة اللّغات فقط. ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثّقافة والتاريخ، والتقاليد، والنتاج الأدبي للّغات موضوع الدّراسة"[4]. وعليه فموضوع فقه اللّغة أشمل من علم اللّغة.

وأمّا المستشرقون فقد اختلفوا في ضبط مجال اشتغال الفيلولوجيا، فمنهم من قصره على الصّرف والنّحو ودراسة النصوص الأدبية، ومنهم وسّع دائرته ليشمل الحياة العقلية والثقافية، والحضارية. يقول زكي مبارك: " ذكر السّنيور جويدي Guidi في محاضرته الأولى بالجامعة المصرية 07 أكتوبر 1926م، أنّ كلمة philologie تصعب ترجمتها في اللّغة العربية

1- تمام حسان الأصول، عالم الكتب، القاهرة، ط1/ 2000م، ص236

2-محمد أسعد النّادري، فقه اللّغة مناهله ومسائله، ص19.

3- المرجع نفسه، ص 20.

4-ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8/ 1998م، ص35.

وأنّ لها في اللّغات الغربية معنى خاصا لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب. فمنهم من يرى أنّ هذا العلم مجرد درس قواعد الصّرف والنّحو، ونقد نصوص الآثار الأدبية، ومنهم من يرى أنّه ليس درس اللّغة فقط، ولكنه بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها. وإذا صحّ ذلك فمن الممكن أن يدخل في دائرة الفيلولوجي، علم اللّغة وفنونها المختلفة، كتأريخ اللّغة ومقابلة اللّغات، والنّحو، والصّرف، والعروض، وعلوم البلاغة، وعلم الأدب في معناه الأوسع؛ فيدخل تأريخ الآداب وتأريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية، وتأريخ الفقه من حيث تدوينه في المجاميع والمجلات، وتأريخ الأديان من حيث دراسة الكتب المقدسة، وتأليف الكتب الدينية واللاهوتية، وتأويل الفلسفة من حيث كتب الحكمة وكتب الكلام"[1]. وعليه فإن ترجمة كلمة philologie إلى فقه اللّغة تبدو غير دقيقة.

وقد ألّف جماعة من المستشرقين كتاب:Grundriss der arabishen philologie ؛ أي الأساس في فقه اللّغة العربية بإشراف فولفديتريش فيشر، ونقله إلى العربية سعيد حسن بحيري، وقد تضمّن مباحث تتعلق بالفيلولوجيا، نذكر منها:

- الألفاظ المعرّبة والدّخيل في العربية الفصحى.
- أسماء الأشخاص والقبائل.
-أسماء عربية حقيقية.
- أسماء معرّبة.
- تطور الخط العربي.
- أصل الأبجدية العربية.
-علامات الرّسم الإملائي.
- قواعد الإملاء والتّرقيم للعربية الفصحى.
- قواعد الإملاء والتّرقيم للعربية الحجازية.

1-زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1/ 1934م، ج37/7.

-علم البرديات[1]: وتضمن البرديات باللّغة العربية، وغير العربية، والوثائق البردية، والخط القديم للبرديات، وقواعد الخط والكتابة.

-علم المخطوطات وتضمّن مادة المخطوطات وشكلها الخارجي، والخط القديم للمخطوطات، ورواية المخطوطات رواية شفوية وكتابية، والمخطوطات العربية بخط سرياني والمخطوطات العربية بخط عبري.

وقد بزغ فجر الفيلولوجيا في العالم العربي عندما انتدبت الجامعة المصرية في القرن العشرين مجموعة من المستشرقين للتدريس، يقول رمضان عبد التّواب:" وقد ظهرت كلمة فقه اللّغة في العالم العربي الحديث في الجامعة المصرية، وبخاصة عندما استقدم جماعة من المستشرقين ليعاونوا في التدريس"[2]. وهذا ما يؤكد تأثير حركة الاستشراق في الدراسات اللغوية العربية.

2)-فقه اللّغة:

2-1) -التّعريف اللّغوي لفقه اللّغة العربية باعتبار مفرديه:

أ)-تعريف كلمة فقه: تطلق كلمة فقه في اللّغة على الفهم، والعلم، والفطنة. قال الفيروز آبادي (ت817): " الفقه بالكسر: العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة وغلب على الدّين لشرفه وفَقُه ككرم، وفَرِح، فهو فقيه، وفَقُهٌ"[3]. وورد في المعجم الوسيط: "الفقه: الفهم والفطنة والفقه: العلم وغلب في الشريعة وفي علم أصول الدّين"[4]. ومنهم من أضاف بعض الجزئيات حول المفهوم السّابق، ولا بأس بالتنبيه عليها، وهي كالآتي:

الفقه دقة الفهم: دقة الفّهم منحة يهبها الله من يشاء من عباده، ولا تكون هذه السّمة إلا لنوادر الرّجال، وجهابذة النّاس بما أوتوا من فرط الذّهن وسيلانه، وجودة القريحة، وبعد

1-علم البرديات: هو الذي يهتم بدراسة نصوص ذات محتوى أدبي مخطوطة على ورق البردي.

2-رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6/ 1999م، ص10.

3-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2015/4م، (الفقه) ص 1250.

4-مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط2004/4م، (فقه)، ص698.

النّظر، ممّا يسمح لهم بإدراك الأمور الدقيقة والمعاني البعيدة، قال الزمخشري (ت538ه) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسۡتَقَرٌّ وَمُسۡتَوۡدَعٌۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام الآيتان 97-98]، فإن قلت: لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر إنشاء بني آدم؟ قلت: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بيّن أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له"[1]. وهذا التّقرير والتّوضيح من الزمخشري لا يحتاج إلى زيادة بيان.

والفقه إدراك الأشياء الغامضة: ويتم ذلك بكشف الوجوه الخفيّة والاطلاع على خبايا المسائل، فتتجلى المعاني في أبهى صورها، كما تتجلى الشمس في رائعة الضحى، ومنه "قالوا: ومنه سميّ الشعراء فقهاء؛ لأنّ الشعراء يقعون في غوامض المعاني، فسمّواه بفقهاء الكلام"[2]. ولا ريب أنّ إدراك الأشياء الغامضة، لا يتأتى إلاّ لأولي الفصاحة والبلاغة والنّباهة.

والفقه فهم مراد المتكلّم: فحوى هذه القضية أنّ الفقه منصب على فهم معاني الكلام دون غيره من أنواع الدّلالات الأخرى كالإشارة، والكتابة، والعقد بالأصابع، وقد أيّد هذا القول ونصره، واستدلّ له، وبالغ في الانتصار له أبو هلال العسكري (ت395ه) حيث قال:" الفرق بين العلم والفقه أنّ الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله و لهذا لا يقال: إنّ اللّه يفقه، لأنّه لا يوصف بالتأمل وتقول لمن تخاطبه تفقه ما أقوله، أي تأمله لتعرفه، ولا يستعمل إلا على معنى الكلام"[3]. والذي يوحي بشدّة تعلق أبي هلال بهذا الرأي هو استعماله أسلوب القصر

1-الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل، تح: خليل مأمون سيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3/ 2009م، ج7/ 339.

2-سليمان الرّحيلي، المقدمات للبيت الفقهي، دار الميراث النبوي، الجزائر، طبعة 2016م، ص06.

3-أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص87.

الذي يتوخى منه أن الفقه لا يتعدى المجال الذي سطره آنفا، وهو فقه معاني الكلام فحسب وقد سلك المسلك نفسه الشريف الجرجاني (ت826ه) في التعريفات[1].

والفقه فهم جميع أنواع الدلالات: وهذا القول جاء كردّ فعل على الرأي السّابق الذي ضيّق مجال الفقه، وحصر زاويته. قال محمد حسن حسن جبل: " وأدلة استعمال الفقه في غير معاني الكلام هي ورود ذلك في كلام العرب، وفي القرآن الكريم والحديث الشريف"[2]. والذي يظهر من هذه الأقوال كلّها أنّ الفقه هو الفهم مطلقا، وذلك للاعتبارات الآتية:

- أنّ الأصل اللّغوي للفقه هو الفهم.

-دلالة القرآن الكريم: كقوله تعالى:" ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الكهف، الآية 57] ومعنى أن يفقهوه أي: أن يفهموه، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الانعام، الآية 98] قال ابن سعدي:" قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون عن الله آياته ويفهمون عنه حجة وبياناته"[3].فابن سعدي فسّر الفقه بالفهم.

-دلالة الحديث النبوي: كقوله عليه الصّلاة والسّلام:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[4]. أي: يفهمه في الدّين.

-وروده عن عمر رضي الله عنه بمعنى الفهم، قال في الحلل الذهبية:" عن عمر بن زيد قال: كتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنه –أمّا بعد :" فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية

1 -ينظر: الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الفكر، بيروت، ط2005/1م، ص 119.

2-محمد حسن حسن جبل، علم فقه اللّغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت، ص26.

3-عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1/ 2000م، ص267.

4-مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1991/1م، ص 718.

وأعربوا القرآن فإنّه عربي"[1]. وهذه إشارة لطيفة من هذا الصحابي الجليل إلى منزلة فهم اللّغة العربية ومكانتها العظيمة، وأن فهم الدّين لا يتمّ إلا بفهمها فهما صحيحا مستوعبا.

-إجماع أصحاب المعاجم على أن الفقه هو الفهم، قال محمد حسن حسن جبل:" تجمع المعاجم اللّغوية والكتب التي تعرض لتفسير الألفاظ على أنّ المعنى اللّغوي للفظ الفقه هو الفهم"[2]. وهذا الإجماع كاف في ترجيح ما ذهبنا إليه.

- أن الكلام العربي يفهم على ظاهره، بعيدا عن التأويلات حتى توجد قرائن بينة تصرفه عن ظاهره، وهذا هو الذي يليق باللّسان العربي المبين: حتى تبقى لغتنا صافية تتلألأ كما نطقها الرعيل الأوّل.

ب)-تعريف كلمة اللّغة: ترجع كلمة اللّغة إلى الجذر "لغو" الذّي يدلّ في الأصل على النّطق والكلام. قال ابن منظور (ت711 ه): واللّغو: النّطق، يقال هذه لغتهم التي يلغون بها؛ أي ينطقون"[3]. وقد يختصّ بالدّلالة على الكلام الباطل، أو الكلام الذي لا حاجة إليه، ولا طائل منه، قال الفيروز آبادي (ت817ه):" واللّغو و اللّغا، كالفتى: السّقط ومالا يعتد به من كلام وغيره"[4]. ويكون اللّغو أيضا في اللّغة دالا على الكلام الذي لا خير فيه ولا حاجة إليه، ومنه حديث: إذا قلت لصاحبك، والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت، فقد لغوت أو لغيت[5].

وأمّا أصلها –أي اللّغة – فهو لغوة أو لغية على وزن فعلة التي حذفت حركة واوها أو يائها ثم نقلت إلى ما قبلها لتصير العين مفتوحة، والواو أو الياء ساكنة، فتحذف وتعوّض بهاء التأنيث وقيل: إنّ أصلها لغو أو لغي، والهاء عوض عن حرف العلّة، قال ابن جني في باب القول على اللغة وماهي:" وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فُعْلَة من لغوت، وأصلها لُغْوة

1-محمد الصغير بن قائد بن أحمد العبدلي، الحلل الذهبية على التحفة السنية، مكتبة الإمام الألباني، صنعاء، ط3/ 2007م، ص 16-17.

2-محمد حسن حسن جبل، علم فقه اللغة العربية، ص17.

3-ابن منظور، لسان العرب، تح: نخبة من الأساتذة، دار المعارف القاهرة، دط، دت، (لغا)، ص 4051.

4-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (اللغة)، ص1331.

5-ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، طبعة 1995م، ص421.

ككرة، وقُلَة وثبة، كلها لاماتها واوات، لقولهم: كروت بالكرة، وقلوت بالقلة، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب. وقد دللت على ذلك وغيره من نحوه في كتابي في سر الصناعة. وقالوا فيها: لُغات ولُغُون ككُراتٍ وكُرون، وقيل منها لغِي يلغى إذا هَذى، ومصدره اللَّغا، قال:

ورَبَّ أســـرابِ حَجِـــيجٍ كُظّـــمِ عـــن اللَغـــا ورَفَـــثِ الـــتَّكلُّمِ"[1].

وهذا التفصيل من ابن جني كافٍ شافٍ في بيان اشتقاق مادة اللّغة.

وأما فعلها فهو لغا، مضارعه يلغو ويلغي، وهو فعل يرد بالواو والياء، وقد بين ذلك ابن مالك (ت 672هـ) فقال:

" وَدَسَوْتُ نَفْسَكَ لَمْ تُزَكّ دَسَيْتَهَا وَلَغَوْتُ، أَيْ أَخْطَأْتُ مِثْلَ لَغَيْتُهْ"[2].

ويجيء أيضا بصيغة لغي يلغى على وزن شقي يشقى، وهو يدلّ على معان عديدة، قال موسى الأحمدي: " و لغي يلغى، لغى بالشيء لهج به، ولغي بالماء والشراب، أكثر منه، وهو مع ذلك لا يروى، ولغي بالشيء لزمه وأولع به، وألغى له شاة، أسقطها ولم يعتد لها في المعاملة"[3].

والفيصل في تحديد المعنى المراد أثناء الاستعمال هو السياق.

وكلمة اللّغة لفظ عربي أصيل دلت عليه شواهد من القرآن والحديث النبوي وكلام العرب وهي كالآتي:

-القرآن الكريم: إن المتأمل في القرآن الكريم لا يجد كلمة اللّغة البتة ولكن ستمر به آيات كثيرة ترجع إلى الجذر اللغوي للكلمة أو للفعل؛ منها قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ٢٢٥﴾ [سورة البقرة، الآية 225] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ [سورة الفرقان، الآية 72] وقوله تعالى: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ٢٦﴾ [سورة فصلت، الآية 26]. والشاهد من هذه الآيات كلمتي اللغو والغوا.

1-ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2، دت،ج2/ 33.

2-ابن مالك، الأفعال الواردة بالواو و الياء ،تح: مختار بوعناني، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر،ط2/ 2001، ص11.

3-موسى الأحمدي نويوات، معجم الأفعال المتعدية بحرف واحد، دار البصائر، الجزائر، طبعة 2009، ص330.

-الحديث النّبوي: جاء قول المصطفى صلى اللّه عليه وسلم مدعّما ومصدّقا للقرآن على أصالة هذه الكلمة في أحاديث؛ منها حديث عبد الله بن فضالة، عن أبيه قال علّمني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكان فيما علّمني:" وحافظ على الصلوات الخمس، قال: قلت: إن هذه ساعات لي فيها أشغال فمرني بأمر جامع إذا فعلته أجزأ عنّي، فقال: حافظ على العَصْرين وما كانت من لغتنا، فقلت: وما العصران؟ فقال صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها"[1]. والشاهد من هذا الحديث هو قول الصحابي وما كانت من لغتنا؛ ممّا يدلّ على استعمال هذا اللّفظ في عصر النبوة.

- كلام العرب: لقد جاءت ألسنة الشعراء البلغاء، والفحول النبغاء بأشعار كثيرة تدل على عروبة هذه الكلمة منها قول المرقش الأكبر:

نَشَــرْنَ حَــدِيثا آنِسًــا فَوَضَــعْنَهُ خَفِيضًا فَلاَ يَلْغَى بِهِ كُلُّ طَائِف[2]

والمرقش الأكبر من الشعراء الجاهلين الذين يحتج بشعرهم إجماعا، وقد استعمل كلمة يلغى التي تعني يتكلم، فكان هذا حجّة قوية تؤيد ما ذكرناه.

وقال الفرزدق (ت110ه):

وَلَسْتُ بِمَأْخُوذ بِلَغْوٍ تَقُولُه إِذَا لَمْ تَعْمَدُ عَاقِدَاتُ العَزَائِمِ[3].

والفرزدق من الطبقة الثالثة، وهو من الشعراء الإسلاميين الذين يحتج بشعرهم على الصّحيح، وقد استعمل كلمة لغو التي تدل على الكلام غير المعقود عليه، الذي يصدر عفوا من غير قصد.

ومهما يكن من أمر فإنّ كلمة اللّغة تعني الكلام الذي يدلّ على نطق مفهم، وهذا هو الذي ينبغي الالتفات إليه دون غيره من الآراء، ولا ريب أنّ هذا المعنى اللغوي هو الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي.

1-أبو داود، سنن أبي داود، تح: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1/ 1996، ج1/ 157.

2-المفضل الضبي، المفضليات، تح: عبد السّلام هارون وأحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط 6، د ت، ص 232.

3-محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج420/1.

2-2) - الحدّ اللغّوي لفقه اللّغة باعتبار التّركيب الإضافي:

فقه اللّغة هو فهم اللّغة، والفطنة لأسرارها وخباياها.

3-2) -التعريف الاصطلاحي لفقه اللّغة:

قبل الولوج في هذه المسألة لابّد من الإشارة إلى تيارين متمايزين في الدرس اللّغوي؛ وهما تيار القدامى وتيار المحدثين، ولكل منهما قواعده وأصوله التي يرتكز عليها، وروافده المعرفية التي يستقي منها مادته.

أ) -فقه اللّغة عند القدامى: لم تعرف الدّراسات اللّغوية قبل القرن الرّابع الهجري مصطلح فقه اللّغة، وإن كانت هناك مصنفات تحمل في طياتها هذا المضمون؛ مثل كتاب الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان (ت145ه)، والنّوادر لأبي عمرة (ت157ه)، والوجوه لهارون بن موسى (ت170ه)، وما اتفق لفظه واختلف معناه، وما اختلف لفظه واتفق معناه، وما تكلّم به العرب فكان في أفواه الناس كلّها للأصمعي (ت216ه)، والأضداد لأبي بكر الأنباري (ت328ه) وغيرها من المؤلفات.

وظلّ الأمر على ما هو عليه حتّى أطلّ علينا ابن فارس (ت 395ه) بكتابه الفذّ" الصّاحبي في فقه اللّغة ومسائلها، وسنن العرب في كلامها"، فيكون ابن فارس أوّل من استعمل هذا المصطلح، وقد حاول في مصنفه أن يجمع ما كان متفرقا في بطون مصنفات من سبقه من العلماء المتقدمين، وإلى ذلك أشار بقوله:" والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين، رضي الله عنهم وجزاهم عنّا أفضل الجزاء، وإنّما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق"[1]، وقد عالج ابن فارس في كتابه المذكور آنفا عدة قضايا نوجزها في الآتي :

- مباحث نظرية: مثل القول في منشأ اللّغة.
- مباحث تاريخية: مثل باب الخطّ العربي وأوّل من كتب به.

1-ابن فارس، الصاحبي، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، د ط، د ت. ص 5.

- مباحث عامّة تتعلق بلغة العرب: مثل باب القول على أنّ لغة العرب أفضل اللّغات، وباب القول على أنّ لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها.
- مباحث دلالية: مثل كلامه على المشترك والتّرادف.
- مباحث نحوية: مثل تطرقه إلى أقسام الكلام، ومعاني الحروف.
- مباحث صوتية: مثل حديثه عن بعض الحروف، كالباء وأشار إلى أنّه من حروف الشفة.
- مباحث تصريفية: مثل باب القلب والإبدال ومعاني أبنية الأفعال.
- مباحث بلاغية: مثل باب معاني الكلام، وباب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز.
- مبحث يتعلق بباب الشعر وهو خاتمة الكتاب.

ومما سبق يتبيّن أنّ فقه اللّغة عند ابن فارس هو:" دراسة اللّغة على المستويات الصّوتية، والصّرفية، والتركيبية أو النّحوية والدّلالية والأسلوبية والبلاغية والوزنية والشعرية"[1].

ثمّ يأتي الثّعالبي (ت429هـ) ويؤلّف كتابه فقه اللّغة وسرّ العربية، وهو مؤلّف جليل القدر، عظيم الفائدة بما حواه من درر ونفائس وبدائع، وقد أشار إلى تسميته في المقدّمة فقال: "وقد اخترت لترجمته وما أجعله عنوان معرفته ما اختار- أدام الله توفيقه- من فقه اللّغة وشفعته: بسر العربية ليكون اسما يوافق مسمّا، ولفظ يطابق معناه"[2]، وقد قسّمه المصنف إلى قسمين: القسم الأوّل: فقه اللّغة: ويحتوي على ثلاثين بابا؛ تضم ما يقارب ستمائة فصل، والمتأمّل في هذا القسم يجد أنّ الثعالبي جمع فيه المفردات التي تندرج ضمن معنى معيّن، وعليه فهو معجم من معاجم المعاني، بل من أجودها وأحسنها، وقد بيّن ذلك عبد السّلام هارون فقال: "معاجم المعاني، وأعلاه المخصص لابن سيده، وفقه اللّغة للثعالبي"[3]،

1-محمد علي عبد الكريم الرّديني، فصول في علم اللّغة العام، ص 30.

2-عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللّغة وسرّ العربية، ص 33.

3-عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7/ 1998م، ص63.

والقسم الثاني: سر العربية وهو يشبه إلى حدّ بعيد كتاب الصّاحبي لابن فارس، وقد ضمّنه مسائل مختلفة وهي كالآتي:

- مسائل بلاغية: مثل المجاز، والاستعارة، والتجنيس، والطباق، والكناية والالتفات والحشو.
- مسائل نحوية مثل: الكلام على معاني بعض الحروف
- مسائل صوتية صرفية: مثل الابدال والقلب.
- مسائل دلالية: مثل المشترك اللفظي والتّضاد.

ولا شك أنّ القسم الأوّل مرتبط بالقسم الثاني ارتباطا وثيقا محكما، وذلك أن الحاذق الفقيه بالمسائل اللغوية يطلّع على أسرار و دقائق هذه اللّغة العربية البهيّة ما لا يطلع عليه غيره، فعنوان الكتاب و إن كان من اختيار الأمير أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، إلا أنّه في غاية الإتقان الذي يدلّ على قوة البصيرة، وحسن استعمال الألفاظ في مواقعها، وعليه فإنّ فقه اللّغة عند الثعالبي هو: معرفة الفروق الدّقيقة بين معاني الألفاظ ودراسة خصائص اللّغة الصوتية، والنّحوية، والصّرفية والبلاغية؛ للوصول إلى أسرارها ومكامنها وهذا بالنّظر إلى الكتاب بقسميه، وأنّه كتلة واحدة، وأنّ المقصود من العنوان هو عطف الخاصّ على العام، إلا أننا نجد أن كراوس لا يعدّ كتاب الثّعالبي من كتب فقه اللّغة، وقد صرّح بذلك قائلا : "وليس فيه شيء من فقه اللّغة"[1]. وهذه نكرة في سياق النفي تفيد العموم والحقّ الذي لاريب فيه أن فيه شيئا منّ فقه اللّغة، ومثال هذا الباب التاسع والعشرون الذي درس فيه الموازنة بين العربية والفارسية.

وبتصفح الكتابين يتضّح أن ابن فارس والثعالبي اتفقا في الهدف الذي يصبوان إليه وهو خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك أن فهمها لا يتأتى إلا بفهم اللّغة العربية فهما تامّا متقنا، بيد أننا نجدهما يختلفان في القضايا والمسائل المدروسة، ممّا يدلّ على أنّ معالم

1-سعيد حسن بحيري، المدخل إلى مصادر اللغة العربية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2/ 2010م، ص 232.

فقه اللّغة عند القدامى لم تكن محددة تحديدا دقيقا، بل كان شأنهم هو التعمق في دراسة الألفاظ العربية، ومعرفة دلالاتها الدّقيقة مع محاولة إبراز خصائص لغة الضّاد والكشف عن سنن العرب في كلامها.

ب) -فقه اللّغة عند المحدثين العرب:

لم يكن حظ اللّغويين المحدثين من الاختلاف في تحديد مفهوم فقه اللّغة غير بعيد عمّا كان عليه سلفهم الأقدمون من فقهاء اللّغة، وعلى الرّغم من التطور العلمي الكبير الذي دفع بالدّراسات اللغوية الحديثة إلى الأمام، وزادها أكثر علمية ودقة إلاّ أن الخلاف بقي قائما وأصبح من العسير جدّا أن يجدوا تعريفا جامعا مانعا، وهذا بطبيعة الحال راجع إلى الرّوافد المعرفية التي يستقي منها الباحث أفكاره ومناهجه، بين متأثر بالغرب، وبين متأثر بالتراث العربي، وما إلى ذلك، وسنحاول في هذا الصّدد أن نذكر بعض تعاريف المحدثين. يقول رمضان عبد التّواب "تطلق كلمة فقه اللّغة عندنا الآن على العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللّغة، والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها، ومعرفة سرّ تطورها، ودراسة ظواهرها المختلفة دراسة تاريخية من جهة و وصفية من جانب آخر"[1]. ومن هذا التعريف نستخلص ما يلي:

- وصفه لمفهوم فقه اللّغة بالعلمية.
- إنّ فقه اللّغة ينطلق من فروع اللّغة وجزئياتها؛ لاستنباط قواعد كلية عامّة، بل يسعى إلى التبحر في اللّغة عبر معرفة خصائصها وطرائقها.
- اعتماد مناهج مختلفة في الدّراسة متمثلة في المنهج التّاريخي، والوصفي، والمقارن.
- الاستعانة بعلوم أخرى، ومعارف شتى لدعم درس فقه اللّغة: متمثلة في علم الدّلالة والتاريخ، وعلم الأصوات.
- إنّ فقه اللّغة عمل تاريخي.
- إنّ فقه اللّغة يدرس ظواهر اللّغة في حالتي التّطور والثّبوت.

1-رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص 09.

ويقول محمد حسن حسن جبل:" والتعديل الذي ينقل به المركب الإضافي فقه اللّغة إلى الاصطلاح: أنّه فهم معاني الكلام فهما دراسيا؛ يلمح ويُنَوِّه بما في تلك المعاني من جوانب دقيقة، ويمكن من تمييزها وإبرازها وتنويعها أنواعا: هذا اللّفظ عام المعنى، وهذا معناه مخصص بقيود، وذاك مخصص بمجال أو حقل لا يستعمل إلا لغرض مقصود، وهذا اللّفظ معناه مشتق ومأخوذ من معنى لفظ كذا لعلاقة كذا"[1]. ولقد جنح هذا المصنف إلى أنّ التعريف اللّغوي يتلاءم مع التعريف الاصطلاحي، فلا بدّ أن تكون بينهما مناسبة بوجه من الوجوه، وهذا لا ريب فيه، لذلك عمد إلى الحدّ المذكور أعلاه، كما أنه تبدو عليه صبغة أصولية، التي تتمثل في استنباط الأحكام اللّغوية من الكلام، وفهمه فهما دقيقا مستوعبا، ولا شكّ أنّ التمكن من أصول الفقه يعطي الإنسان ملكة قوية لفهم كلام النّاس وإدراك المعاني البعيدة منه، وما ذاك إلّا أنّ أصول الفقه هو أصول الفهم.

ويطلق أيضا: "فقه اللّغة في الاصطلاح على العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللّغة؛ من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها، وفي خصائصها الصّوتية، والصرفية، والنّحوية، والدّلالية وما يطرأ عليها من تغيرات، وما ينشأ من لهجات، وما يثار حول العربية من قضايا، وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك مما يجري ويدور في فلكه"[2]. ففي هذا التعريف نلاحظ التأثر بالقدامى من فقهاء اللّغة، وذلك باعتبار أنّ الموضوعات التي نوّه إليها المؤلف تعد من صلب فقه اللّغة؛ من دراسة لخصائص اللّغة العربية ومعرفة سنن العرب وأساليبهم، للوصول إلى أسرارها وخباياها، وغيرها من الموضوعات، بالإضافة إلى ما يدور في حيز هذه اللّغة البهية من عقبات وأزمات في الوقت الراهن، وما يناط حولها من هجمات، وكيفية معالجتها، ومن دعوات هدامة تقصف بكنه العربية وجمالها.

ويرى بعض الباحثين أنّ فقه اللّغة عند المحدثين يشبه إلى حدّ بعيد ما ذهب إليه ابن جنيّ في كتابه الخصائص الذي ضمّنه مباحث عديدة، عالجت مواضيع تتعلّق بفقه اللّغة؛

1-محمد حسن حسن جبل، علم فقه اللّغة العربية، ص96.

2-محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللّغة مفهومه موضوعاته قضاياه، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1/ 2005، ص 19.

مثل كلامه على أصل اللّغة: أإلهام هي أم اصطلاح؟ وأدلة النّحو: السّماع، والقياس والاستصحاب، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني، وغيرها من المباحث، وفي هذا الصّدد يقول محمد علي عبد الكريم الرّديني:" ففقه اللّغة –إذن- ينصرف في أبحاث اللغويين العرب إلى ما كان ينصرف إليه ابن جني، ومن جاء بعده من فقهاء اللّغة ،بفرق واحد هو فرق التطور العلمي الذي أصاب الدّراسات الحديثة، بفضل تطور وسائل البحث، وأجهزة الكشف والرقي الذي شمل أكثر ميادين العلوم والحياة"[1]. فكتاب الخصائص لابن جني من أهم كتب فقه اللّغة في التّراث العربي.

وهكذا تبقى المسألة عالقة في أيدي الدّارسين المحدثين؛ من حيث عدم ضبط موضوعات فقه اللّغة ومباحثه بشكل دقيق محكم، ولعلّ الله يسخر جهبذا نحريرا؛ لفكّ عقدة هذه القضية، وتبقى الآمال مفتوحة في ظلّ هذا الركود العلمي الذي تشهده الأمة العربية والإسلامية.

3)-علم اللّغة: أوّلا: التعريف اللّغوي لعلم اللّغة باعتبار مفرديه:

3-1) - تعريف كلمة العلم:

ترد هذه المفردة على عدة معان نذكر منها:

- العلم نقيض الجهل: وهذا تعريف بالضدّ، و إليه أشار ابن منظور في لسان العرب فقال:" والعلم نقيض الجهل"[2].
- الشعور: قال في اللّسان:" وعلم بالشيء: شعر، يقال: ما علمن بخبر قدومه، أي ما شعرت"[3].
- الإتقان: قال في اللّسان :" وعلم الأمر و تعلّمه أتقنه"[4].

1-محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللّغة العام، ص32.

2-ابن منظور، لسان العرب، ج6/ 415.

3- المرجع نفسه، ج416/6.

4-المرجع السابق نفسه، ج6 /416.

- المعرفة والخبرة : قال ابن منظور :" ويجوز أن تقول: علمت الشيء بمعنى عرفته وخبرته"[1].
- الاطلاع على الشيء: ورد في معجم الأفعال المتعدية بحرف واحد:" وأعلمه الأمر وبالأمر أطلعه عليه"[2].
- التمييز: قال السّرقسطي (ت400ه):" علمت الشيء من غيره: "ميّزته"[3].
- اليقين: قال الفيومي (ت770ه):"العلم ا ليقين، يقال: "علم يعلم إذا تيقن"[4].

الظّن: قال محمد محي الدّين عبد الحميد: "وقد تأتي علم بمعنى ظن ويمثل لها العلماء بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾. [سورة الممتحنة، الآية 10][5]. ويتّضح جليا ممّا سبق أنّ السّياق هو المعلم الرئيس للتمييز بين هذه الدّلالات المختلفة.

2-2) -علم اللّغة من الناحية الاصطلاحية باعتبار مفرديه:

أ) -تعريف كلمة العلم: عرّفه أبو هلال العسكري في الفروق اللّغوية بقوله: "اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثّقة"[6]. أي: اعتقاد الشيء على ما هو عليه اعتقادا جازما؛ بمعنى حصول يقينية المعلومة المصرح بها. وذكر الشريف الجرجاني عدة تعريفات فقال:" العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع".

وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأوّل أخصّ من الثاني.

وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به.

1- ابن منظور، لسان العرب، ج416/6.

2-موسى الأحمدي نويوات، معجم الأفعال المتعدية بحرف واحد، ص 248.

3-سعيد بن محمد السّرقسطي، الأفعال، تح: محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، طبعة 1974م، ج1/ 221.

4-الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د تح، مكتبة لبنان، لبنان، دط، دت، ص162.

5-ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، طبعة 1420ه، ص208.

6-أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص81.

وقيل: زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه.

وقيل: هو مستغن عن التعريف.

وقيل: العلم صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات.

وقيل: العلم وصول النّفس إلى معنى الشيء.

وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول.

وقيل: عبارة عن صفة ذات صفة"[1]. ومن هذه التعريفات يتبيّن أنّ العلم هو حكم الذّهن الجازم المطابق لحقيقة الشيء وواقعه، أو بعبارة أخرى؛ هو إدراك حقيقة الشيء إدراكا جازما.

ب)- تعريف كلمة اللّغة: وردت تعريفات عديدة للّغة ،ولعلّ أشهرها ما ذكره ابن جني (ت 392هـ) في الخصائص، حيث قال:" باب القول على اللّغة وماهي : أماّ حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[2]، و هذه التفاتة من ابن جني إلى ثلاث نقاط رئيسة:

- أنّ اللّغة أصوات: وتتمثل هذه النقطة شبه إجماع من الدّارسين وقد بيّن ذلك عبده الرّاجحي بقوله:" ويكاد الباحثون اللّغويون يجمعون على أنّ اللّغة أصوات على اختلاف بينهم في التعبير عن هذه الكلمة"[3]. وهذا القيد يخرج الكتابة والإشارة وغيرهما. وهكذا فاللّغة المنوطة بالدّراسة هي اللّغة المنطوقة، التي تعرف في الاستعمال الشائع بالكلام.
- اللّغة ظاهرة اجتماعية: وفي هذه المسألة إشارة إلى أنّ اللّغة تنشأ في رحاب المجتمع وأحضانه، وأن المتكلّمين بها هم جماعة من الأفراد تجمعهم لغة معيّنة، وأن لكلّ قوم لغة.
- وظيفة اللّغة: أشار ابن جنّي في هذا الحدّ إلى الوظيفة التعبيرية التي بها يعبّر الأفراد عن أحاسيسهم وأفكارهم ومشاعرهم، وقد اقتصر عليها دون غيرها من الوظائف؛ لكونها الوظيفة الأساسية للّغة.

1-الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص110.

2- ابن جني، الخصائص، ج1/ 33.

3-عبد الرّاجحي، فقه اللّغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط. د.ت. ص60.

وعرّفها ابن الحاجب (ت646ه) بأنها :" كل لفظ وضع لمعنى"[1]. بناء على هذا؛ فإنّ اللّغة تتكون من شيئين مُهِمَّيْن هما اللّفظ والمعنى؛ فاللّفظ هو الأساس في التفاهم والتخاطب بين أفراد المجتمع؛ لكونه لم يوضع إلّا للدلالة على معنى من المعاني، فالمقصود من الألفاظ هو فهم معانيها.

- **عند المحدثين العرب:** اختلفت عبارات المحدثين في بيان ماهية اللّغة وحدّها، وقد عرّفها إبراهيم أنيس بقوله:" إنّ اللّغة نظام عرفي لرموز صوتية، يستغلها النّاس في الاتصال بعضهم ببعض"[2]. وقد تضمّن هذا القول ثلاث قضايا وهي:
- أن اللّغة نظام عرفي؛ فهي تخضع لقواعد وأسس منضبطة، لا تقبل الزيادة ولا النقصان وذلك لأنّ النظام كيان قائم بذاته، مستقل، فهو شيء ثابت محدود يحكمه العرف الاجتماعي.
- صوتية اللّغة: فاللّغة قبل كل شيء أصوات تنتظم في إطار معيّن؛ لأداء معنى من المعاني.
- اجتماعية اللّغة: فاللّغة لا تكتسب إلّا في المجتمع، فهي لا تنفكّ عنه البتة، فلو فرضنا أن طفلا صغيرا عزل عن بيئته انعزالا كليا، لا شك أنّه لن يتعلم حرفا من حروف اللّغة.

ويرى عبد الرحمن أيّوب أن "اللّغة نشاط مكتسب يتم بواسطته تبادل العواطف والأفكار بين أفراد جماعة إنسانية معيّنة، وهذا النشاط عبارة عن مجموعة من الأصوات تستعمل وفق نظم معيّنة "[3]. نستنتج من هذا القول ما يلي:

- إنّ اللّغة مكتسبة.
- إنّ الوظيفة الرئيسة للّغة هي الوظيفة التعبيرية.
- إنّ اللّغة أصوات.

1-ابن الحاجب، مختصر منتهى السّؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تح: نذير حمادو، دار ابن حزم، بيروت، ط1/ 2006م، ج220/1.

2-إبراهيم أنيس، اللّغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، د ط، د ت، ص 11.

3-عبد الرحمن أيّوب، محاضرات في اللّغة، مطبعة المعارف، بغداد، طبعة 1966م، ص 23.

- إنّ اللّغة نظام.

3-3) - علم اللّغة من الناحية الاصطلاحية باعتبار التركيب الإضافي:

- **عند القدامى:** لم تعرف الدّراسات اللّغوية العربية في القرون الأولى مصطلح علم اللّغة إلا أنّه قد وجدت مباحث مهمة متناثرة في أمّات كتب العلماء القدامى تدخل في هذا المضمار كما هو الشأن مع الخليل (ت175ه) في كتابه العين، وسيبويه (ت180ه) في الكتاب وقد ضمّنه مباحث صوتية، وصرفية، ونحوية، وكذلك رسائل الأصمعي، والنضر بن شميل التي ضمّت بين دفتيها مجموعة من الألفاظ المتعلقة بموضوعات خاصة؛ كالإبل، والنبات والشجر، وتتبع هذا المقام تطول الكتابة فيه، وفي الإشارة لبعض هذه الأمثلة كفاية ودراية.

ويتبيّن ممّا سبق أن القدامى لم يتطرقوا إلى حدّ مصطلح علم اللّغة، إلّا أنّه في خضم دراساتهم كانت هناك تأصيلات و تقعيدات؛ بنوا عليها ما سجّلوه ودوّنوه في مصنفاتهم، التّي كانت المرجع للمتأخرين الذين اهتدوا إلى ذكر هذا المصطلح والتعريف به، كما هو الشأن مع ابن يعقوب المغربي حيث عرّف علم اللّغة بأنّه:" علم أوضاع المفردات"[1]. أي: إنّ علم اللّغة يهتم بدراسة الوحدات المعجمية التي يتكون منها اللّسان من حيث ثبوتها، وثبوت معانيها.

وقال الرّضي (684ه):" إنّ الواضع إمّا أن يضع ألفاظا معيّنة سماعية، وتلك التي يحتاج فيها إلى علم اللّغة، وإما أن يضع قانونا كليّا يعرف به الألفاظ فهي قياسية "[2]. وعلى هذا فإنّ علم اللّغة عند الرّضي يعنى بالألفاظ المفردة السّماعية مثل: القلم للآلة التي يكتب بها والعين للجارحة التي يبصر بها، وعلم الصّرف يعنى بقانون الألفاظ المفردة القياسية، كاسم الفاعل والمفعول، وعلم النّحو يعنى بقانون الألفاظ المركّبة مثل حرف الجرّ لا يتقدم على مجروره.

وقال ابن خلدون (ت808ه):" علم اللّغة، هذا العلم هو بيان الموضوعات اللّغوية"[3]؛ أي ما اتّفق عليه النّاس من ألفاظ ومعان، ثم يزيد الفكرة وضوحا بقوله:" وكان سابق الحلبة في

1-محمد الحبّاس، محاضرات في فقه اللّغة، دار غبريني للطبّاعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1/ 2006م، ص21.

2-الرّضي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن الحفظي، إدارة الثقافة والنشر، السعودية، ط1/ 1993، ص8.

3-عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1/ 2007م، ص549.

ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي، ألّف فيها كتاب العين ... وألّف الجوهري من المشارقة كتاب الصّحاح، ...ثمّ ألّف فيها من الأندلسيين ابن سيده من أهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم .... ثمّ لمّا كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم، ثمّ تستعمل في الأمور الخاصّة ألفاظا أخرى خاصة، بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال، واحتاج الناس إلى فقه عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض، ثم اختصّ ما فيه بياض من الخيل بالأشهب، ومن الإنسان بالأزهر ..... واختصّ بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي"[1]. بناء على هذا فإن علم اللّغة عند ابن خلدون، هو حفظ الوحدات اللّغوية وتصنيفها في معاجم الألفاظ أو المعاني.

يتّضح ممّا سبق أنّ علم اللّغة عند ابن يعقوب والرّضي وابن خلدون هو دراسة المفردات، وترتيبها في المعاجم، إلا أننا نجد دراسات متشعبة عند الأقدمين شملت مجالات عديدة من صوتيات، ونحو، وصرف، وبحوث في نشأة اللّغة وما يتعلق بها، مما أدى ببعض الباحثين إلى توسعة نطاق علم اللّغة فقال:" وعلى هذا فإنّ مصطلح علم اللّغة أو علم اللّغات أو اللّغة في التّراث العربي كانت تعني دراسة الموضوعات التالية:

أ) البحث في نشأة اللّغة وأصلها.

ب) جمع الألفاظ وتدوينها وروايتها.

ج) البحث في دلالة الألفاظ واشتقاقها.

د) دراسة بعض الجوانب الصّرفية والصّوتية.

هـ) عمل المعاجم."[2] فالملاحظ أن مباحث علم اللّغة عند القدامى لم تكن منضبطة، واضحة المعالم.

- **عند المحدثين:** لقد أثبت اللّسانيون المحدثون قصور المنهج التّاريخي؛ وما ذاك إلّا لأنّ اللّغة تحتل فيه مكانة ثانوية، بمعنى أنّها وسيلة لتحقيق غايات معيّنة، فعالم الاجتماع مثلا

1- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 547، 549.

2-التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللّسان، دار الوعي، الجزائر، ط2/ د ت، ص 16.

يدرس علاقة اللّغة بالمجتمع؛ لأجل الوصول إلى حقائق تخدم هذا العلم، بالإضافة إلى أنّ الدّراسات اللّغوية كانت محلية، وهذا ما أدى إلى ضآلة النّتائج المتوصل إليها، ومن ثم وقوع علم اللّغة في أزمة علمية خانقة، مماّ حتّم على اللّسانيين التفكير في منهج آخر يكون أكثر دقة وموضوعية وشمولية، وفي أواخر القرن التاسع عشر بدأت ملامح المنهج الآني تظهر على يد بعض اللّغويين، ولكن اليد الطولى كانت لفردينان دي سوسير *Ferdinand de Saussure* الذي عرف به، فكانت الانطلاقة معه بعزل اللّغة عن العلوم الأخرى ، ودراستها في ذاتها و من أجل ذاتها؛ أي: ما يهمّ هو اللّغة في حدّ ذاتها.

وكانت من أبرز سّمات المنهج الآني أنّه يدرس الأشياء في حالة سكون، وهذا توازيا مع المنهج التجريبي الذي يدرس الأوضاع على ما هي عليه، ومن هنا نستخلص أن علم اللّغة هو: "دراسة اللّغة على نحو علمي"[1]. وفق أربعة مستويات هي:

- **المستوى الصّوتي:** هو بدوره ينقسم إلى قسمين:
- علم الأصوات العام: الذي يبحث في كيفية إنتاج الأصوات اللّغوية، وانتقالها من السّامع إلى المتكلم، دون الالتفات إلى وظائفها.
- علم الأصوات الوظيفي: الذي يدرس الأصوات اللّغوية من حيث وظيفتها في اللّغة.
- **المستوى الصرّفي:** الذي يهتم بدراسة بنية الكلمات، وما يلحقها من تغييرات تؤدي إلى أغراض لفظية أو معنوية.
- **المستوى النّحوي:** هو جملة من القواعد والقوانين التي تحكم أحوال أواخر الكلمات في حال تركيبها من الإعراب، والبناء وما يتبع ذلك.
- **المستوى الدّلالي:** هو الذي يهتمّ بدراسة معاني المفردات.

رابعا: أهمّ الفروق بين فقه اللّغة وعلم اللّغة:

أ)-من الناحية اللّغوية: ذهب إميل بديع يعقوب إلى مبدأ التسوية بين فقه اللّغة وعلم اللّغة من الناحية اللّغوية فقال: "وهكذا تؤكد سائر المعاجم العربية أنّ لفظة فقه تعني العلم،

1-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت، ص 17.

وفقه اللّغة عندنا هو علم اللّغة"[1]. ويرى بعضهم أن الفقه والعلم شيئان متغايران، وإلى هذا المعنى أشار الرّاغب الأصفهاني (ت502ه) فقال:" الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخصّ من العلم"[2]. وقال أبو حيّان الأندلسي(ت745ه) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الأنعام، الآيتان 97-98]:" لمّا كان الاهتداء بالنّجوم واضحا ختمه بقوله يعلمون، أي من له أدنى إدراك ينتفع بالنّظر في النّجوم وفائدتها، ولمّا كان الإنشاء من نفس واحدة، والتصريف في أحوال كثيرة يحتاج إلى فكر وتدقيق نظر ختمه بقوله يفقهون، إذ الفقه استعمال فطنة ودقة نظر وفكر فناسب ختم كلّ جملة بما يناسب ما صدّر به الكلام"[3]. وهذا تعليل نفيس، يدلّ على قوة أبي حيان العلمية، ودقة نظره.

والذي يظهر من هذه الأقوال أنّ الفقه غير العلم، وذلك للأوجه الآتية:

- ورودهما في القرآن الكريم على أنهما شيئان متباينان؛ كما في الآيتين السابقتين من سورة الأنعام.

-الأصل في الفقه هو الفهم، بينما الأصل في العلم أن يكون نقيض الجهل.

-أن الفقه وسيلة من وسائل العلم، فدلّ هذا على الفرق بينهما، إلّا أنّه قد يرد إطلاق العلم على الفقه من باب تسمية الشيء بسببه، وإلى هذا أشار ابن قتيبة (ت276ه) فقال:" الفقه في اللّغة الفهم، ثمّ يقال للعلم الفقه، لأنّه عن الفهم، يكون على مذهب العرب في تسمية الشيء بما كان له سبب"[4]. فالفقه من أهم الركائز الرئيسة في تحصيل العلم.

1-إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1/ 1982م، ص28.

2-الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دط، دت، ص384.

3-أثير الدين أبو حيّان، البحر المحيط، تح: فادي المغربي، الرسالة العالمية، سورية، ط2/ 2020م، ج9/ 312.

4-الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تح، إسماعيل الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 1400ه، ج1/ 53.

ب)-من الناحية الاصطلاحية: إنّ المتأمل في تراثنا العربي يظهر له جليا أنّ القدامى والمتأخرين لم يفرقوا بين هذين المصطلحين، وأنهما شيء واحد؛ بدليل أنّ ابن فارس ألّف الصّاحبي في فقه اللّغة، وصنّف السّيوطي المزهر في علوم اللّغة، وكلاهما كانا يرميان إلى بيان خصائص العربية وسنن وطرائق العرب في كلامها، وقد انتصر لهذا الرأي إميل بديع يعقوب فقال: " يظهر أنّ القدماء من علماء العربية لم يكونوا يفرّقون بين هذين المفهومين، ودليلنا على ما نذهب إليه ثلاثة أمور: أوّلها أن كتاب ابن فارس الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها –وهو أوّل كتاب وصل إلينا يحمل في عنوانه مصطلح فقه اللّغة لم يعلل لنا سبب تسمية الكتاب، وقد عنونه بالصّاحبي نسبة إلى الصّاحب بن عباد الذي أهداه إليه، و ثانيهما أنّ كتاب الثعالبي فقه اللّغة وسرّ العربية- وهو الكتاب الثاني الذي وصلنا حاملا في عنوانه مصطلح فقه اللّغة –إنما تسمّى بهذا الاسم وفقا لاختيار الأمير الذي أهداه إليه، لا وفق خطة للبحث اتفق عليها علماء عصره وثالثها أنّ كتاب ابن جني الخصائص –وهو أقرب الكتب القديمة إلى كتب فقه اللّغة التي نعرفها اليوم قد ضنّ عليه صاحبه باسم فقه اللّغة فعنونه بالخصائص"[1]. ولعلّ هذه الحجج المذكورة تبدو كافية في نصرة هذا المذهب.

وأمّا المحدثون فانقسموا إلى فريقين، فذهبت طائفة منهم إلى التّسوية بين فقه اللّغة وعلم اللّغة. يقول علي عبد الواحد وافي عن كتابه فقه اللّغة: "فمؤلفنا هذا في منزله الجزء الثاني من كتابنا علم اللّغة، غير أننا آثرنا أن نطلق عليه اسما خاصا شاع استعماله في الموضوعات التي يعرض لها"[2]. و يقول صبحي الصالح: "من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللّغة وفقه اللّغة؛ لأنّ جلّ مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب قديما وحديثا، وقد سمح هذا التداخل أحيانا بإطلاق كل من التسميتين على الأخرى"[3]. وذهبت طائفة أخرى إلى التفرقة بين هذين المصطلحين، وأنهما يختلفان من حيث الأسس

1-إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص29-30.

2-علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط2، دت، ص5.

3-صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 2014م، ص 19.

المعرفية. يقول عبده الرّاجحي: "وغني عن البيان الآن أنّ هناك فرقا واضحا بين موضوعي العلمين ومنهجيهما في درس اللّغة، وهذا التفريق ينبغي أن يكون واضحا عند بحث المنهج اللغوي عند العرب، وهو ما نتقدم للحديث عنه في الفصول التالية"[1]. ويمكن تلخيص أهم الفروق في الآتي:

- فقه اللّغة علم تاريخي، وعلم اللّغة علم وصفي ذو منهج دقيق وأدوات فعالة.
- فقه اللّغة يدرس اللّغة باعتبارها وسيلة، وعلم اللّغة يدرسها في ذاتها، ومن أجل ذاتها، فهي غاية.
- أسبقية فقه اللّغة من النّاحية الزمانية على علم اللّغة.
- اتّصاف علم اللّغة بصفة العِلْمية بخلاف فقه اللّغة.
- يهدف فقه اللّغة إلى تحقيق النّصوص القديمة وتقديمها للمهتمّين بها، بينما يهدف علم اللّغة إلى وضع نظرية عامة لدراسة اللّغات.

وبعبارة مختصرة: إنّ فقه اللّغة وعلم اللّغة يشتركان في أرضية الدّراسة وهي اللّغة ويختلفان في أسلوب البحث ومنهجه، والهدف الذي يرميان إليه.

4- اللسانيات:

أولا: تعريف اللّسان لغة: وردت كلمة اللّسان في القرآن الكريم بمعنى الكلام تارة، وبمعنى اللّغة تارة أخرى، قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ [سورة النحل، الآية 103]، قال محمد الأمين الشنقيطي: "وأطلق اللّسان على القرآن؛ لأنّ العرب تطلق اللّسان وتريد به الكلام فتؤنثها وتذكّرها، ومنه قول أعشى باهلة:

إنّي أَتَتني لِسانٌ مَا أُسَرُّ بها ... من عُلو لا عَجَب فِيهَا ولا سَخَرُ

وقول الآخر:

لِسَانُ اَلشَّرِّ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا ... وَخُنْتُ وَمَا حَسِبَتْكَ أَن تَخُونَا

1-عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص 29.

وقول الآخر:

أَتَتْنِي لِسَان بني عَامِر أَحَادِيثَهَا بَعْدَ قَوْلٍ نَكِرَ

ومنه قول تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[سورة الشعراء، الآية 84] أي: ثناء حسنا باقيا، ومن إطلاق اللسان بمعنى الكلام مذكرا قول الحطيئة:

نَدِمَتْ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنّي فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جوفٍ عَكَمْ[1]

والشاهد على مجيء كلمة اللّسان بمعنى اللّغة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴿٤﴾﴾ [سورة إبراهيم، الآية 04] أي بلغة قومه، وورد في الحديث النبوي بمعنى الكلام. كقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل: " ثكلتك أمك! وهل يَكُبُّ الناس في النّار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم"[2]، قال ابن رجب (ت 795ه) : "والمراد بحصائد الألسن، جزاء الكلام المحرّم وعقوباته"[3]. وقال في القاموس المحيط:" اللسان: المقول، ويؤنث ج: ألسنة وألسن ولسن، واللّغة، والرسالة والمتكلم عن القوم"[4]. وعلى هذا فاللسان -لغة - يعني: اللّغة والكلام والرّسالة.

وترجع كلمة اللّسانيات على وزن رياضيات إلى لفظة اللسان، وهناك تسميات أخرى أطلقها المحدثون العرب على هذا الحقل المعرفي منها: اللّسنيات التي ترجع إلى كلمة لسن- بكسر فسكون- وكذلك الألسنية التي ترجع إلى لفظة الألسن: جمع لسان، قال عبد العزيز حليلي: "أطلق العرب المحدثون على هذا العلم الجديد عدة أسماء؛ منها اللّسانيات واللّسنيات والألسنية، بالإضافة إلى علم اللّغة وفقه اللّغة، وهذه الألفاظ مترادفة، أخذت الأولى من مادة لسان بكسر ففتح بمعنى لغة... وأخذت اللفظة الثانية من مادة لسن بكسر فسكون"[5]. وأول

1-محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2/ص 455.

2-الترمذي، جامع الترمذي، تح: فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دط، دت، ص 425.

3 -ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تح: ماهر ياسمين الفحل، دار ابن كثير، دمشق، ط1/ 2008م، ص614.

4 -الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المادة (لسن)، ص1230.

5 -عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1/ 1991م، ص11.

من استعمل مصطلح اللّسانيات هو عبد الرحمن الحاج صالح، وله محاضرة بعنوان "اللّسانيات" ألقاها في جامعة حلب سنة 1969م[1].

ثانيا: تعريف اللسانيات اصطلاحا:

أ)-عند القدامى العرب: لقد كان الرّعيل الأوّل من أمثال أبي عمرو بن العلاء (ت154ه) والخليل (ت 175ه)، وسيبويه (ت180ه) ومن كان على شاكلتهم يطلقون على هذا الضرب من الدراسات اللّغوية علم العربية، و في هذا الصّدد يقول عبد الرّحمن الحاج صالح " وكان العلماء الأوّلون أبو عمرو بن العلاء (ت154ه) وأصحابه، والخليل (ت 175ه)، وسيبويه (ت180ه) وأصحابهم يعبرون عن هذا المدلول بلفظ العربية أو علم العربية"[2]. وذلك فرقا بينه وبين العلوم الأخرى من حديث، وتفسير، وفقه، وهو في قالبه يهتم بكل دراسة خاصة باللّسان، وقد ورد مصطلح علم اللّسان عند الفارابي (ت 339ه)، حيث قسّمه سبعة أقسام مذكورة في قوله :" وعلم اللّسان عند كل أمّة ينقسم سبعة أجزاء عظمى، علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين تصحيح الأشعار"[3]. وفي كلام الفارابي لطيفة من اللّطائف، وهي أنّه لم يقيّد علم اللسان بلسان معين، بل أطلقه ولعلّ هذا ما تدعو إليه اللّسانيات الحديثة، وذلك بدراسة اللّغة على وجه العموم، وما لها من خصائص جوهرية تجمعها.

وقد وردت لفظة علم اللّسان مقيدة كما هو الشأن مع ابن خلدون (ت 808ه) الذي قسّم اللّسان العربي إلى أربعة علوم فقال: "الفصل الخامس والأربعون في علوم اللّسان

1-ينظر: محمد الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص 40.

2 -عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، طبعة 2012م، ص24.

3 -الفارابي، إحصاء العلوم، تح: عثمان محمد أمين، مكتبة الخانجي، مصر، طبعة 1931م، ص 5.

العربي: أركانه أربعة: اللّغة وهي: اللّغة والنّحو، والبيان، والأدب"[1]. وهذا ما جادت به قريحة أولئك الأفذاذ على مرّ الحقب والأزمان لإنشاء مدوّنة لسانية تراثية.

ب)-عند المحدثين العرب: قال عبد العزيز حليلي: " اللّسانيات (la linguistique) هي العلم الذي يدرس اللّغات الطّبيعية الإنسانية في ذاتها ولذاتها مكتوبة ومنطوقة كانت، أم منطوقة فقط، مع إعطاء الأسبقية لهذه الأخيرة؛ لأّنها مادّة خام تساعد أكثر على التحقق من مدى فعالية أدوات بحث اللّساني المعاصر، ولأّنها لم تنل بعد ما تستحقه من العناية والدرس"[2]. وأوّل منطلقات اللّساني اعتبار اللّغة نظاما، وذلك بصفته كيانا قائما بذاته، لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فهو ذو مميزات وخصوصيات تجعله يتميزّ بالاستقلالية، وتتمّ دراسة النّظام بدراسة مكوّناته، وذلك بتفكيك العلاقات الجامعة بينها؛ بغية الكشف عن البنية القابعة خلف العلاقات التي تشكل مكونات النّظام. وآليات الاشتغال في الدّرس الحديث تعتمد على مرتكزات عديدة منها:

- **الموضوعية:** وذلك بأن يدرس الباحث الظّاهرة اللّغوية كما هي في الواقع، من دون أن يتصرف في مجرياتها.

-**الشمولية:** وذلك بأن ينظر اللّساني إلى الظاهرة اللّغوية من جميع جزئياتها.

- ملاحظة الظواهر اللغوية.

-الاستقراء والتتبع.

-استنباط القوانين العامّة والخصائص الجوهرية المشتركة للّغات الإنسانية.

-إعطاء التعديلات اللازمة لهذه القوانين.

وقد أشار إلى هذه المرتكزات عبد الرحمن الحاج صالح في سياق حديثه عن علم اللّسان فقال: " وهو يتعرض للأحداث اللّسانية كعلم بحت أي:

1 بالموضوعية المطلقة (وله في ذلك مقاييس).

1 -ابن خلدون، المقدمة، ص 547.

2 -عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ص 11.

2 بمشاهدة الظواهر اللّغوية (بأجهزة أو بغير أجهزة).

3- بالاستقراء الواسع المستمر (إجراء التحريات المنتظمة).

4- التحليل الإحصائي.

5- باستنباط القوانين العّامة.

6- باستعمال المثل والأنماط الرياضية اللاّئقة.

7- بتعليل هذه القوانين وجعلها معقولة.

8- ببناء النظريات العامة الفعالة القابلة للتطوير"[1]. بناء على هذه الأسس يتم الوصول إلى نتائج أكثر دقة.

ج-عند المحدثين الغربيين: لقد عمل علماء الغرب على تحديد المقصود من لفظ linguistique وسنكتفي بإيراد بعضها؛ فقد عرّفها جون لايونس j.lyons بأنها" الدراسة العلمية للّغة"[2]. وعرّفها أندري مارتيني André Martinet بقوله: "اللّسانيات هي الدراسة العلمية للّغات الإنسانية"[3]. وأشار إليها جون ديبوا Jean Dubois بقوله: "من المتفق عليه عموما أن مكانة اللّسانيات كدراسة علمية للّغة قد تأكدت بنشر كتاب دورس في اللّسانيات العامة لدي سوسير".[4] ومن هذه التعاريف يتضح أن اللّسانيات هي الدراسة العلمية للّغة؛ من أجل الارتقاء بهذا الحقل المعرفي إلى مصاف العلوم الدقيقة.

ومنه يتبيّن أن هناك اضطرابات في تحديد المفاهيم؛ كما هو الشأن مع الفيلولوجيا وعلم اللّغة، ولعل المخرج من هذا الأمر يتبيّن من النظر في مجال اشتغال كلّ منهما، ونضرب لهذا مثالا بسيطا يتعلق بتائية أبي إسحاق الإلبيري (ت 460ه)، فعمل الفيلولوجي يتمثل في تحقيق المخطوط وإخراجه للمهتمين به، بينما يتمثل عمل عالم اللّغة في دراسة القصيدة من الجوانب الصّوتية والنحوية والصّرفية والمعجمية.

1-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 25.

2 -John Lyons, lntroduction to theoretical linguistic, cambridge, university press, 1968, p 1.

3- André Martinet, éléments de linguistique générale, Armand colin, paris, 1980, p6.

4 - JEAN Dubois, D i c t i o n n a i r e de Linguistique, Larousse Bordas, édition 1,1994, p 338.

ومن جهة أخرى نلاحظ أنّ هناك خلطا في ترجمة المصطلحات، ولعلّ هذا راجع إلى صعوبة المهمّة باعتبارها شيئا معقدا وصعبا للّغاية، ولربما كان السّبيل للخروج من هذه المعضلة هو توحيد هيئة مخصصة للترجمة في العالم العربي كما كان الأمر في سالف الزمان مع بيت الحكمة الذي أنشأه المأمون.

الفصل الأول:

مظاهر البحث الفيلولوجي عند العلماء القدامى عبر دراستهم اللّغة

المبحث الأول: مظاهر البحث الفيلولوجي في ظل الموازنة بين العربية وغيرها من اللّغات:

لقد كانت للعلماء القدامى اهتمامات جليلة باللّغات السامية، وفي ظل الزخم المعرفي الكبير في تراثنا العربي نجد إرهاصات التطلع على اللّغات الأخرى حاضرا، وقد أشار إلى هذا المعنى علي بن محمد الجزري (ت 630 ه) فقال: "وكان زيد يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي وغيره. وكانت ترد على الرسول صلى الله عليه وسلم كتب بالسريانية فأمر زيدا فتعلمها"[1]. إلا أن هذا الخبر يحتاج إلى تحقيق وتمحيص من أهل الاختصاص؛ حتى يتسنى لنا التأكد من ثبوته.

وقد تفطن علماء العربية في فترة مبكرة إلي طبيعة القرابة الموجودة بين اللّغات السامية فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 ه) يقول في كتابه العين: "وكنعان بن سالم بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية"[2]. أي: تشابه العربية. وقال ابن حزم (ت 456 ه): " الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش"[3]. وقال ابن تيمية (ت 728 ه):" والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر. وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرت أفهم كثيرا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية"[4]. وهذا ما يؤكد أن فكرة القرابة بين اللّغات موغلة في القدم بعض الشيء وأن علماء العربية القدامى قد تطلّعوا إلى هذا الأمر عن علم ودراية وبصيرة، وهذا ما يؤدي إلى تبيان الاعتقاد السائد من أن فكرة القرابة بين اللّغات ليست وليدة القرن التاسع عشر

1-علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، د. تح، دار ابن حزم، بيروت، ط1/ 2012م، ص 424، 525.

2-الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، طبعة 1980 م، ج232/1.

3-ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد شاكر، منشورات دار الآفاق، بيروت، د ط، د ت، ج31/1.

4-ابن تيمية، نقض المنطق، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط1951/1م، ص92-93.

عندما اكتشف وليم جونز William Jones أوجه التشابه بين اللّغة السنسكريتية واللّغتين اللاتينية واليونانية. وأن الحضارة العربية بكل مقوماتها لها سابق الفضل في المجال المذكور وليس من العدل أن ينسب الأمر إلى غيرهم إذا ارتضينا أصول التحقيق العلمي في دراستنا اللّغوية.

ولقد كانت للجهابذة المتقدمين إسهامات في مجال الموازنة بين العربية وغيرها من اللّغات، وذلك بإرجاع كل لفظ إلى أصله من لغة عبرانية، أو فارسية، أو سريانية أو نبطية وما أشبه ذلك، وقد دّون هذا كله في كتب المعرّبات على وجه الخصوص، وفي معاجم المتقدمين كالعين، ولسان العرب، والقاموس المحيط وغيرها من المعاجم التي حملت بين دفتيها الإشارة إلى بعض الألفاظ الدخيلة على لسان العرب، وسنتناول بعض الموازنات بين العربية وغيرها من اللّغات عند المتقدمين الذين آثروا على استعمال منهج معين، ونمط خاص في دراساتهم في هذا الباب.

1)-الموازنة بين العربية والفارسية:

إن المتمعن في الألفاظ المعرّبة يجد أن معظمها من اللّغة الفارسية، قال الأزهر (ت 370هـ): "ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب"[1]. وهذا راجع بطبيعة الحال إلى عوامل سياسية واجتماعية وحضارية، فقد كان للعرب اتصال بالحضارة الفارسية في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، فكان من الطبيعي أن يقتبسوا منها ويتأثروا بها، وذلك ظاهر جلي في كلام الشعراء الجاهلين وغيرهم.

وقد أشار محقق المعرّب للجواليقي إلى "أن اللّغة الفارسية التي كانت تعاصر العصر الجاهلي وصدر الإسلام هي اللّغة الفهلوية وليست الفارسية الحديثة، وكانت الفهلوية تختلف عن الفارسية الحديثة اختلافا غير يسير... كما يتضح من مقابلة الكلمات الفارسية بنظائرها الفهلوية:

الكلمات بالفهلوية	الكلمة بالفارسية	الكلمة بالعربية

1-الأزهري، تهذيب اللّغة، د. تح، دار الكتاب العربي، مصر، طبعة 1967م، ج585/10.

دِيبَاك	دِيبَا	ديباج
شَبِيك	شَبي	سبيح
سَتوك	ستو	ستوق"[1].

بناءً على هذه الأمثلة يتبين أن الخلاف بين الفارسية القديمة والفارسية الحديثة يبدو بسيطا، وذلك بحذف الحرف الأخير من الكلمة، وهناك اختلافات أخر تنظر في مظانها من الكتب المتخصصة في هذا المجال، وسنعرض في هذا المقام نمط الموازنة بين العربية والفارسية عند العلماء القدامى، وذلك بالتعريج على بعض الألفاظ مرتبة على حروف المعجم.

حرف الهمزة

- **الإبريق:** وردت في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الواقعة، الآيتان 17-18]. قال ابن كثير عند تفسيره للآية :"أمّا الأكواب فهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين"[2]. وقد ذكر أئمة العربية أنها كلمة فارسية؛ وكان من أولئك الثعالبي، فقد ذكرها في فصل في سياقة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت إلى تعريبها أو تركها كما هي[3]، وكذلك السّيوطي في المهذب[4]، والجواليقي في المعرب من الكلام الأعجمي حيث قال: " والإبريق فارسي معرّب، وترجمته من الفارسية أحد شيئين؛ إمّا أن يكون طريق الماء أو صبّ الماء على هينة .

وقد تكلمت به العرب قديما. قال عدي بن زيد العبادي:

ودَعَـا بالصُّـبُوح يَوْمـاً فجـاءت قَيْنَـــةً فِـي يَمِينِهَـــا إِبْرِيـــقُ"[5].

1-الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، تح: عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط1/1990م، ص31 ،32.

2 -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، د. تح، دار ابن حزم، بيروت ط1/2000م، ص1808.

3 -ينظر: الثعالبي، فقه اللّغة وسرّ العربية، ص360.

4 -ينظر: السيوطي، المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرب، تح: التهامي الرّاجي الهاشمي، اللجنة المشتركة لتحقيق التراث، المغرب، الإمارات، د ط، د ت، ص65 -66.

5 -الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص120.

وأصلها في الفارسية الحديثة ابريز بمعنى يصبّ الماء[1]. وهو ما يؤكد الذي ذهب إليه الجواليقي في حديثه عن ترجمة هذه الكلمة.

-الأبزار: فارسي معرب. قال الجواليقي: " الأبزار فارسي معرّب، وليس بجمع، ويقال: إبزار بكسر الهمزة وهو التّابل"[2]. وذهب العلماء إلى أنها جمع. قال الجوهري ت(398ه):" بزر: البزر: بزر البقل وغيره، ودهن البزر والبزر، وبالكسر أفصح. والأبزار والأبازير التّوبل "[3]. وقال، الفيروز آبادي (ت 817ه) : " البزر : كل حبّ يبذر للنبات، ج: بزور ، والتّابل، ويكسر فيهما، ج؛ أبزار وأبازير."[4] وقال الفيومي (ت770ه): " الإبزار: بكسر الهمزة والفتح لغة شاذة؛ لخروجها عن القياس؛ لأن بناء أفعال للجمع، ومجيئه للمفرد على خلاف القياس"[5]. ويتّضح من أقوال أئمة هذا الشأن ما يلي:

-لم ينص أصحاب المعاجم على أعجمية هذه الكلمة، ولعلهم يذهبون إلى أنها عربية أصلية.

-أشاروا إلى اللغتين الواردتين فيها، مع ترجيح لغة الكسر.

-تجمع كلمة البزر على أبزار وأبازير، ولعلّ أبازير تكون من قبيل جمع الجمع.

وقد جزم بعض المتأخرين أنّ هذا اللّفظ فارسي معرّب، وعلى هذا الدرب سار محمد الأمين بن فضل اللّه الحلبي (ت 1111ه) في كتابه قصد السّبيل[6].

- الأستاذ: مصطلح فارسي يطلق على المعلّم، والحاذق في فن من الفنون، والماهر بصّنعته. قال الخفاجي (ت977ه) :" أستاذ : ليس بعربي؛ لأن مادة س ت ذ غير موجودة، ومعناه الماهر، ولم

1 -ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية، مكتبة العرب، مصر، د ط، د ت، ص1.

2- الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص 114.

3-الجوهري، الصحاح، تح: محمّد محمّد تامر، دار الحديث، القاهرة، طبعة 2009م، (بزر)، ص92.

4-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (البزر)، ص349.

5 -الفيومي، المّصباح المنير، (بزر)، ص19.

6-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السّبيل فيما في اللغة العربية من الدّخيل، تح: عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة، السعودية، ط1/1994م، ج150/1.

يوجد في كلام جاهلي والعامة تقوله بمعنى الخصي؛ لأنه يؤدب الصغار غالبا فلذلك سمّي أستاذ."[1] ومن قبله أشار الجواليقي إلى أنها ليست عربية[2]. دون أن ينصّ على فارسيتها.

وممّا يؤكّد أن الكلمة فارسية هو نصّ بعض المحدثين على ذلك؛ من أمثال أدي شير في كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة[3]، وطوبيا العنيسي في كتاب تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية[4]، و سعدي صناوي في المعجم المفصّل في المعرب والدّخيل[5].

إستبرق: وردت في أربعة مواضع من القرآن الكريم:

-في سورة الكهف، الآية 31. ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴿٣١﴾﴾.

- في سورة الدّخان، الآية 53. ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

- في سورة الرحمن، الآية 54. ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾.

- في سورة الإنسان، الآية 21. ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾.

والإستبرق غليظ الديباج، قال في القاموس المحيط: " والإستبرق: الديباج الغليظ معرّب: اسْتروه، أو ديباج يعمل بالذّهب، أو ثياب حرير صفاق نحو الديباج، أو قدة حمراء كأنها قطع الأوتار"[6]. فقوله: استروه إشارة إلى أصله الفارسي، وقد صرّح أيضا بفارسيته كل من

1-ينظر: الخفاجي، شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تح: عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الحرم الحسيني، مصر، ط1952/1م، ص 34.

2 -ينظر: الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص125.

3-ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، دار العرب، القاهرة، ط1988/2م، ص10.

4 -ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللغة العربية، ص10.

5 -ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرب والدّخيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2004/1 م، ص31.

6 -الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (برق)، ص867.

الجواليقي[1]، وابن الجوزي[2]، والسيوطي[3].

- **الإقليد:** وردت مجموعة في قوله تعالى:" ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الزّمر، الآية63]، وفي قوله تعالى:" ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الشّورى، الآية 12]. والإقليد هو المفتاح قال السيوطي في المهذّب: "مقاليد: حكى ابن الجوزي أنّها المفاتيح بالنبطية، وقال الفريابي: حدّثنا ورقاء عن أبي نجيم عن مجاهد في قوله: مقاليد السّماوات قال مفاتيح بالفارسية.

وقال ابن دريد والجواليقي: الإقليد والمقاليد: المفتاح فارسي معرّب"[4]، وورد في كتاب اللّغات في القرآن: "مقاليد السّموات والأرض يعني: مفاتيح وافقت لغة الفرس، والأنباط والحبشة"[5]. وهذا الاختلاف بين العلماء القدامى في تحديد أصل الكلمة يدل على أنها مشتركة بين لّغات عديدة.

حرف الباء

- **البابونج:** زهرة بيضاء وسطها أصفر، أو صفراء وسطها أبيض، ويعدّ من الأعشاب الطبية النافعة جدا، قال في القاموس المحيط :" البابونج :زهرة معروفة كثيرة النّفع"[6]. وممّا يدل على أهميته أنّه يعدّ مكوّنا أساسيا لبعض الأدوية.

وقد أشار الخفاجي في شفاء الغليل إلى أنّها لفظة مولّدة فقال:" بابونجك :بمعنى الأقحوان مولّدة، قاله الصّاغاني في الذّيل والناس يقولون بابونج على قياس التعريب"[7].

1 -ينظر: الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص108.

2 -ينظر: ابن الجوزي، فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، تح: صلاح بن فتحي هلل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط2001/1، ص162.

3 -ينظر: السّيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص71.

4-السّيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص145 -146.

5 -إسماعيل بن عمرو المقرئ، اللغات في القرآن، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، د ت، د ت، ص43.

6-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (بوج)، ص 181.

7 -الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، ص 73.

والملاحظ أنّ الخفاجي لم يشر إلى أصل الكلمة، ويظهر أنها فارسية؛ لورودها في معجم الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير[1].

- **الباذنجان:** من الخضروات المعروفة، وله فوائد عديدة، ومسميات كثيرة، وقد ذكره ابن البيطار (ت 646ه) في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية فقال :"(باذنجان) :اسم فارسيّ معرّب يسمّى بالعربية الأنب والمغد والوغد"[2]. وذكره أيضا الخفاجي في شفاء الغليل فقال :"بَاذنجان معروف فارسي، واسمه بالعربية الأنب والمغد والوغد، قاله ابن البيطار، وهو بكسر الذّال وبعض العجم يفتحها ذكره في المصباح"[3]. ونصّ على فارسيته ابن منظور في لسان العرب[4] والفيومي[5] في المصباح المنير.

- **البرنامج:** ذكره الفيروز آبادي في القاموس المحيط فقال:" البرنامج: الورقة الجامعة للحساب، معرّب برنامه"[6]. ونقل بعض المحدثين فارسية هذا اللفظ، كما هو الشأن مع طوبيا العنيسي[7] في كتابه تفسير الألفاظ الدخيلة في اللّغة العربية، سعدي صناوي[8] في المعجم المفصل، في المعرب والدخيل.

- **البستان:** هو الحديقة. قال ابن المنظور:" والبستان الحديقة[9]". ونصّ الجواليقي في المعرّب على فارسيته فقال:" البستان: فارسي معرّب، ويجمع على البساتين، قال الأعشى:

يَهَبُ اَلْجِلَّـةَ اَلْجَرَاجِـرَ كَالْبُسْـتَانِ تَحْنُـــــو لِـــــدَرْدَقِ أَطْفَـــــالِ

1-ينظر: أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص 14.

2 -ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مكتبة المثنى، بغداد، د ت، ص 80.

3-الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب الدّخيل، ص 68.

4-ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (بذنج)، ص 239.

5-ينظر: الفيومي، المصباح المنير، (الباذنجان)، ص 16.

6-القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (بردج)، ص 180.

7-ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللغة العربية، ص 6.

8-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفضل في المعرب والدّخيل، ص 84.

9-ابن منظور، لسان العرب، (بست)، ص 279.

الجراجر جمع جرْجور وهي الإبل الكبيرة الصّلاب. وقوله كالبستان أي كالنخل"[1]. وأصله بوستان كما بيّن ذلك الخفاجي في شفاء الغليل[2]، والفيروز آبادي في القاموس المحيط"[3].

-**البخس**: وردت في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة يوسف، الآية 20] قال القرطبي (ت 671 هـ) :" بثمن بخس أي نقص ،وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم أي: باعوه بثمن مبخوس؛ أي: منقوص"[4]. فكلمة بخس في الآية وردت من باب المصدر وإرادة اسم المفعول.

وتطلق أيضا على الأرض التي تنبت بغير سقي. قال في الصّحاح :" والبخس أيضا :أرض تنبت من غير سقي[5]." وإلى هذا المعنى ذهب أدي شير[6] في كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة.

حرف التّــاء

- **التّابلْ**: ما يوضع في الطّعام من الكمون، والكركم، وغيرهما قال في القاموس المحيط: "والتّابل، كصاحب وهاجر وجوهر: أبزار الطعام، ج: توابل "[7]. وقال ابن منظور: "وكان بعضهم يهمز التابل فيقول: التأبل "[8]. وبهذا يتضح أن هذه اللفظة ترد على أربع لغات:

- التّابل بكسر الباء.
- التابل بفتح الباء.
- التّوبل بالواو.
- التّأبل بالهمزة.

1-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص165.

2-ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، ص62.

3-ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (البستان)، ص1180.

4-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة 2003، ج154/9.

5-الجوهري، الصحاح، (بخس)، ص77.

6-أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص27.

7- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (التّبل)، ص970.

8-ابن منظور، السان العرب، (تبل)، ص419.

وقد نصّ على فارسيته كلّ من سعدي صناوي في المعجم المفصّل في المعرب والدّخيل[1]، وطوبيا العنيسي في كتاب تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية[2]، وأدي شير في كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة[3].

- **التّرهة**: تطلق على معان عديدة، جمعها الفيروز آبادي في قوله: "التّرهة، كقبّرة الباطل كالتّره، والطّريق الصّغيرة المتشبعة من الجادّة، والدّاهية، والرّيح، والسّحاب والصّحصح ودويبّة في الرّمل ج: تُرّهات و تراريه[4]." وذكر الجوهري في الصّحاح[5]، ومحمّد الأمين فضل اللّه الحلبي في قصد السبيل[6] أنّه فارسي معرّب.

- **التنّور**: وردت في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة هود، الآية 40]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة المؤمنون، الآية 27]. قال الجواليقي: "التّنور فارسي معرّب، لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء في التّنزيل لأنهم خوطبوا بما عرفوا.

قال ابن قتيبة: روي عن ابن عبّاس أنّه قال: التّنور بكلّ لسان عربي وعجمي. وعن علي: التّنور وجه الأرض."[7] وقال الخفاجي:" تنور فارسي معرّب. وقال ابن عبّاس: إنّه مشترك بكل لسان"[8]. وبهذا يتبيّن أن العلماء القدامى اختلفوا في تحديد أصل هذه الكلمة، ولعل الأقرب للصّواب ما ذهب إليه ابن عباس من أنّها مشتركة بين جميع اللّغات.

- **التّوت**: نوع من الفاكهة معروف، ويقال له أيضا الفرصاد، وقد ذهب إلى فارسيته الجواليقي فقال: "والتوت قيل: هو فارسيّ معرّب وأصله التوت، فأعربته العرب فجعلت التّاء ثاء

1-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصل في المعرّب والدّخيل، ص121.

2-ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية، ص16.

3-ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص23.

4-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (التّرهة)، ص1244.

5-ينظر: الجوهري، الصّحاح، (تره)، ص133.

6-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السبيل فيما في اللّغة العربية من الدّخيل، ج335/1.

7-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص213.

8-الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، ص83.

وألحقته ببعض أبنيتها[1]." ونصّ على فارسيته أيضا محمّد الأمين فضل اللّه الحلبي في قصد السّبيل[2].

حرف الثّاء

-**الثّجير**: هو عصير التّمر قال الجواليقي: "قال الأصمعي: يقال لعصارة التّمر الثّجير بالثّاء منقوطة بثلاث نقط من فوق. وهو فارسي معرّب والعامّة يقولن الثّجير وهو خطأ "[3]. ونقل ابن منظور في لسان العرب عن الليث أنّ الثّجير ما عصر من العنب[4].

-**الثكنة**: الثكنة - بضمّ الثّاء وتشديدها مع سكون الكاف- تعني القلادة، والرّاية، والقبر ومراكز الجند وغير ذلك من المعاني. قال في القاموس المحيط: "الثكنة بالضّم: القلادة والرّاية، والقبر وبئر النار ...ومركز الأجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم، وإن لم يكن هناك لواء ولا علم"[5]. وقد أشار إلى فارسيته ابن منظور فقال: "وثكن الجند مراكزهم، واحدتها ثكنة، فارسية"[6]. ولهذا كان من الخطأ الشائع أن نقول: الثكنة – بفتح الثاء والكاف مع تشديد الثاء.

حرف الجيم

- **الجاموس**: نوع من البقر، يجمع على جواميس قال ابن منظور: " والجاموس نوع من البقر دخيل، وجمعه جواميس، فارسي معرّب، وهو بالعجمية كواميس"[7]. والذي يظهر من كلام ابن منظور أنّ الكلمة في أوّل الأمر نقلت إلى العربية على صيغة الجمع جواميس على وزن فواعيل ثم صيغ منها المفرد جاموس.

وقال الفيروز آبادي: "الجاموس: م، معرّب كاوميش ج: الجواميس، وهي جاموسة"[8] وذهب

1-الجواليقي، المعّرب من الكلام الأعجمي، ص222.

2-ينظر: محمد الأمين الحلبي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، ج350/1.

3-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص228.

4-ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (ثجر)، ص 472.

5-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (الثكنة)، ص1184.

6-ابن منظور، لسان العرب، (الثكنة)، ص495.

7-المرجع نفسه، (جمس)، ص678.

8-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (جمس) ،536.

سعدي صناوي[1] إلى أنّ كلمة كاوميش مركّبة من جزأين كاو: أي بقرة، وميش التي تعدّ علامة للمذكر، بينما ذهب طوبيا العنيسي[2] إلى أن كاوميش في اللّغة الفارسية لفظ مركّب من كاو: معناه بقرة، وميش معناه نعجة.

- **الجَرْم:** هو الحرّ . قال الجواليقي: "والجَرْمُ: الحرّ فارسي معرّب، وهو نقيض الصّرد وهما دخيلان، ويستعملان في الحرّ والبرد"[3]. وقال بفارسيته أيضا الجوهري في الصّحاح[4].

- **الجورب:** وردت مثنّاه في الحديث النّبوي ،فعن المغيرة بن شعبة قال :توضأ النّبي صلى الله عليه وسلّم ومسح على الجوربين و النعلين"[5]. والجورب هو ما يلبس في القدمين، أو هو لفافة الرِجْل. قال ابن منظور : " والجورب لفافة الرّجل معرّب، وهو بالفارسية كورب والجمع جواربة، زادوا الهاء لمكان العجمة"[6]. وما أشار إليه ابن منظور من أن الكلمة معرّبة عن كورب بالفارسية هو عين ما ذكره محمّد الأمين فضل الله الحلبي في قصد السّبيل[7] .

- **الجوز:** نوع من الثّمار، له فوائد جمة، وقد نصّ الجوهري على أن اللّفظ فارسي فقال: "والجوز فارسي معرّب"[8]، وكذلك ابن منظور في لسان العرب فقال: "والجوز الذي يؤكل فارسي معرّب... وأصل الجوز فارسي، قد جرى في كلام العرب وأشعارها"[9]. وأصل الكلمة بالفارسية كَوز كما بيّن ذلك محمّد التونجي في المعجم الذهبي.[10]

حرف الحاء

- **الحُبُّ:** بضّم الحاء والباء، الجرّة الكبيرة يوضع فيها الماء، ويجمع على حباب وحببة. قال في

1-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل، ص143.
2-ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية، ص21.
3-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص235.
4-ينظر: الجوهري، الصّحاح، (جرم)، ص178.
5-التّرمذي، جامع الترمذي، بيت الأفكار الدّولية للنشر والتوزيع، الرياض، د ط، د ت، ص36.
6-ابن منظور، لسان العرب، (جرب)، ص548.
7-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السّبيل فيما في اللّغة العربية من الدّخيل، ص406.
8-الجوهري، الصّحاح، (جوز)، ص212.
9-ابن منظور، لسان العرّب، (جوز)، ص726.
10-ينظر: محمّد التونجي، المعجم الذهبي، دار الملايين، بيروت، ط1/1969م، ص515.

الصّحاح: " والحبّ: الخابية فارسيّ معرّب، والجمع حباب وحببة."[1] وقال الجواليقي: " وأمّا الحبّ الذي يجعل فيه الماء ففارسي معرّب، فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا: حبّ"[2]. وذهب الخفاجّي إلى أن حبّ معرّب حب[3]. ولعلّ الصّواب ما قرّره الجواليقي، وذلك بعد أنّ خنب أصل لكلمة حب.

- **الحرباء**: بكسر الحاء، دويبة من صنف الزّواحف، لها قدرة على تغيير لونها بحسب المكان الذي تطأه، ويضرب بها المثل في سرعة التقلّب. قال الجواليقي: " والحرباء: جنس من العظاء فارسية معرّبة، وأصلها بالفارسية خُربا: أي حافظ الشمس" [4]. وذهب محمّد الأمين فضل الله إلى أنّ الحرباء لفظ فارسيّ: معرب خوربا[5] التي تتكوّن من شقين خور: أي الشمس وبان: أي مترقب: فيكون معناها مترقب الشمس: لأن الحرباء تراقب الشمس وتدور معها.

حرف الخاء

- **الخباء**: واحد الأخبية، وقد وردت هذه الكلمة في معلقة امرئ القيس، إذ يقول:

وبَيْضَـةِ خِـدْرٍ لَا يُـرَامُ خِبَاؤُهَـا تَمَتَعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ"[6]

قال الزّوزني: "والخباء: البيت إذا كان من قطن، أو وبر أو صوف أو شعر، والجمع و الأخبية"[7]. ويرى الجوهري في الصّحاح أنّ الخباء لا يكون إلّا من وبر أو صوف، ولا يقوم إلا على عمودين أو ثلاثة، وإلا فهو بيت[8].

وأشار الجواليقي إلى فارسية اللفظ فقال: " والخباء من الشعر أو الصّوف. قال أبو هلال: هو بالفارسية بيان؛ أعرب فقيل خباء"[9]. وقد ردّ محمّد الأمين فضل اللّه الحلبي قول أبي هلال

1-الجوهري، الصّحاح، (حبب)، ص216.

2-ينظر: الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص266.

3-الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، ص102.

4-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص263.

5-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السبيل فيما في اللّغة العربية من الدّخيل، ج425/1.

6-أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، بيت الحكمة، الجزائر، طبعة 2017م، ص62.

7-الزوزني، المعلقات السّبع، تح: عبد الحميد الأميري، بيت الحكمة، الجزائر، ط2016/3م، ص19.

8-الصّحاح، الجوهري، (خبأ)، ص302.

9-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص282.

فقال: "هو بالفارسية بيان عرّب فقيل خباء، قال ابن بّري: هذا الذي حكاه الجواليقي عن أبي هلال غلط، لأن الخاء لا تكون بدلا من الباء في الأسماء المعرّبة، وكذا الباء لا تبدل من الياء وإنما تبدل من الفاء بين الفاء والباء، والهمزة لا تبدل من النّون في هذا النّحو، فعلم من هذا أنّ الخباء ليس معربا من بيان ولا منقولا عنه"[1]. والذي يظهر ممّا سبق أنّ اللفظ ليس معربا؛ وذلك للاعتبارات الآتية:

- لم ينصّ على فارسيته إلاّ أبا هلال.
- أنّ أصله الفارسي بعيد جدا، ولو كان كذلك لنقله من صنفوا في الألفاظ المعرّبة.
- لم تنصّ المعاجم العربية على أنّ اللفظ معرّب.

- **الخندق** : مكان محفور كالوادي حول أسوار المدن، ويمتاز بعمقه. قال الفيروز آبادي: "الخندق كجعفر: حفير حول أسوار المدن، معرّب: كنده"[2]. وقال محمّد الأمين فضل اللّه الحلبي: " الخندق: فارسي معرّب، وأصله كنده؛ أي: محفور، وقد تكلمّت به العرب قديما. قال الشّاعر:

فَلْيَـأْتِ مَأْسَـدةً تُسَـنُّ سُـيُوفُهَا بَـيْنِ المَـذاذِ وَبَـيْنِ جِـزْعِ الْخَنْـدَقِ

يقوله كعب بن مالك الأنصاري"[3]. وذكر سعدي صناوي في المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل أنّ هذه الكلمة مشتركة بين لغات عديدة من العربية والسّريانية والتّركية والكردية[4].

-**الخوان:** ما يوضع عليه الطّعام، وفيه ثلاث لغات: الخوان بكسر الخاء، والخوان بضمّ الخاء وهاتان اللّغتان هما المشهورتان، وإخوان وهذه اللّغة دونهما. قال الجواليقي: "وفيه لغتان جيدتان؛ خِوان وخُوان، ولغة أخرى دونهما وهي إخوان...والصّحيح أنّه معرّب، ويجمع على أخونة وخون."[5] واكتفى الفيروز آبادي في القاموس المحيط[6]. بذكر اللغتين الجيدتين فقط دون

1-محمّد الأمين الحلبي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدّخيل، ص449.
2-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (خندق)، ص881.
3-محمّد الأمين الحلبي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدّخيل، ج1/ 466 -467.
4-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصل في المعرّب والدّخيل، ص196.
5-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص278.
6-ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (خون)، ص1194.

أن يعرّج إلى اللّغة الأخرى.

وقد نصّ على فارسية اللفظ الثعالبي في فصل في سياقة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت إلى تعريبها أو تركها كما هي[1]، وطوبيا العنيسي في تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية[2]، وسعدي صناوي في المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل[3]،إلا أننا نجد أنّ محمد الأمين الحلبي ينصّ على أنّ اللّفظ عبراني[4]. ولعلّ الصّواب ما ذهب إليه العنيسي وسعدي صناوي؛ لأنهم أشاروا إلى أصل اللفظ في اللّغة الفارسية.

حرف الدّال

-الدّرهم: وردت في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سوة يوسف، الآية67] ،ووردت في الحديث النبوي: فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تعس عبد الدّينار وعبد الدّرهم وعبد الخميصة"[5]. ووردت أيضا في معّلقة عنترة حيث قال:

"جَادتْ عَلَيْهِ كُلّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدِّرْهَمِ"[6].

والدّرهم عملة نقدية قديمة، وفيه لغتان مشهورتان حكاهما ابن منظور فقال: "والدّرهَم والدّرهِم لغتان، فارسيّ معرّب."[7] ولغة ثالثة دونهما حكاها الجوهريّ فقال: "الدّرهم فارسيّ معرّب وكسر الهاء لغة فيه، وربّما قالوا: درهام"[8]. وخالف المستشرق الألماني برجشتراسر في هذه المسألة؛ إذ يرى أنّ اللفظ مأخوذ من الفارسية، لكنّ أصله يوناني drachmé[9].

1-ينظر: الثعالبي، فقه اللّغة وسرّ العربية. ص360.

2-ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخلية في اللّغة العربية، ص25.

3 -ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل، ص198.

4-ينظر: محمد الأمين الحلبي، قصد السّبيل فيما في اللغة العربية من الدّخيل، ج469/1.

5-البخاري، صحيح البخاري، ص712.

6-أحمد الأمين الشنقيطي، المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، ص113.

7-ابن منظور، لسان العرب، (درهم)، ص1370.

8-الجوهري، الصّحاح، (درهم)، ص371.

9-ينظر: برجشتراسر، التّطور النّحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1994/2، ص228.

- **الدّينار**: وردت في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴿٧٥﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية 75]. نقل ابن كثير بإسناد ابن أبي حاتم " عن مالك بن دينار قال: إنّما سمّي الدينار لأنّه دين ونار. وقال معناه: أنّه من أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله النّار."[1] وقد نصّ على فارسية هذا اللفظ الجواليقي في المعرّب[2]، وابن منظور في اللّسان[3]، وحكى والسّيوطي في المهّذب فارسيته[4]، إلّا أنّ براجشتراسر يرى أنّ أصله لاتيني[5]، وكذلك أيّد هذا الرأي طوبيا العنيسي، إذ يرى أن أصله باللاتينية denarium[6].

-الدّيوان: هو السّجّل الذي تدوّن فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، أو هو مجتمع الصّحف قال في اللّسان: " والدّيوان: مجتمع الصّحف؛ أبو عبيدة: هو فارسّي معرّب، ابن السّكيت: هو بالكسر لا غير، الكسائي بالفتح لغة مولّدة، وقد حكاها سيبوية."[7] ويرى سعدي صناوي أنّ كلمة ديوان بالفارسية مكوّنة من شقين، ديو: تعني الشيطان، وأن، علامة الجمع[8]، وكذلك طوبيا العنيسي يرى أن ديوان لفظ فارسي؛ معناه شياطين وجان.[9]

حرف الذّال

-الذّرياب: ماء الذّهب قال الخفاجي: "ذرياب: ماء الذّهب، فارسية معرّبة، قاله الزّمخشري"[10] ونقل هذه العبارة بتمامها محمّد الأمين الحلبي في قصد السبيل[11]. ويطلق على ماء الذهب في الفارسية الحديثة زراب[12].

1-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص374.

2-ينظر: الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص290.

3-ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (دنر)، ص1423.

4-ينظر: السّيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص88، 89.

5-ينظر: براجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص228.

6-ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللغة العربية، ص30.

7-ابن منظور، لسان العرب، (دون)، ص1461 ،1462.

8-يُنظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل، ص213.

9-ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية، ص30.

10-الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، ص132.

11-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السبيل فيما في اللّغة العربية من الدخيل، ج52/2.

12-ينظر: محمّد التونجي، المعجم الذهبي، ص311.

-الذّماء: ترد هذه اللّفظة على عدة معان؛ منها الحركة، وبقية النّفس، وقوّة القلب وقد جمعها ابن منظور في قوله: " الذّماء: الحركة، وقد ذمى، والذّماء ممدود: بقيّة النَّفس؛ وقال أبو ذؤيب:

فَأَبَـــدَهُنَّ حُتُـــوفَهُنَّ فَهَـــارِبٌ بِذِمَائِـــهِ أَوْ بَـــارِكٌ مُتَجَعْجِـــعٌ[1].

وقد حكى فارسيته الجواليقي فقال: " قال بعضهم: الذّماء فارسيّ معرّب"[2]. و ذكر سعدي صناوي في المعجم المفصّل أنّ أصله بالفارسية دم أو دماز[3]. ولعلّ الصّواب أن نقول: إنّ أصله الفارسي دم التي تعني النّفس.

حرف الراء

- **الرّزدق:** السّطر الممدود، قال الجواليقي: "والرّزدق: السّطر الممدود؛ وهو فارسي معرّب وأصله رسته قال رؤبة:

..... ضَوابِعاً نَرْمِي بِهُنَّ الرَّزْدَقا "[4].

وقال الفيروز آبادي: "والرّزدق : الصّف من النّاس، والسّطر من النّخيل، معرّب رسته"[5]. ووافق بعض المحدثين- من أمثال أدي شير[6] وسعدي صناوي[7] - القدامى في أنّ الأصل الفارسي لهذه الكلمة هو رسته.

- **الرّسن:** محركة، هو الحبل، ويجمع على أرسان وأرسن. قال في الصحاح: "الرّسن، الحبل والجمع: أرسان"[8]. وقد حكى فارسيته الجواليقي في المعرّب[9]، ومحمّد الأمين الحلبي في قصد

1-ابن منظور، لسان العرب، (ذمى)، ص1518.

2-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص321.

3-ينظر: سعدي صناوي: المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل، ص232.

4-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص324.

5-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (الرّزدق)، ص886.

6-ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص71.

7-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعّرب والدّخيل، ص238.

8-الجوهري، الصحاح، (رسن)، ص444.

9 -الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص 337.

السّبيل[1]، وخالفهما في هذا طوبيا العنيسي[2]، إذ يرى أن رسن -بكسر الرّاء والسين – الحبل بالعبرية، ورَسَن – بفتح الرّاء والسين – الحبل بالفارسية، ويبدو من رأيه هذا أنه يرى أن أصل الكلمة عبري.

حرف الزّاي

-الزّلابية: نوع من الحلويات، مصنوع من الدّقيق الأبيض والسّكر، وهو من أضرّ الأطعمة على الأبدان ولكن قومي لا يعلمون وقد أشار الجواليقي إلى أن اللّفظة مولدة فقال: أمّا الزّلابية فمولدة وقد جاءت في بعض الأراجيز.

..... كَأَنَّ فِي دَاخِلِهِ زَلَابِيَّةٌ "[3].

وقد بيّن سعدي صناوي أن أصل اللّفظ بالفارسية زليبيا.[4]

-الزنجبيل: نبات معروف، يستعمل لعلاج كثير من العلل، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة الإنسان، الآية17]. قال القرطبي: "كان صلة؛ أي: مزاجها زنجبيل، أو كان في حكم الله زنجبيل، وكانت العرب تستلذ من الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب رائحته ،لأنّه يحذو اللّسان و يهضم المأكول"[5]. وقد نصّ على فارسيته الثعالبي في فقه اللّغة[6]، وحكى السّيوطي في المهذب فارسيته.[7]

ويرى سعدي صناوي أنّ أصله الفارسيّ شنكَبيل[8]. وخالف هؤلاء محمّد السّيد على بلاسي ،إذ يرى أنّ أصل كلمة زنجبيل شرنكوير من اللّغة السنسكريتية، إلّا أن التعريب وقع

1-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدّخيل، ج66/2.
2-ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللغة العربية، ص30.
3-الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص358.
4-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل، ص256.
5-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج141/19.
6-ينظر: الثعالبي، فقه اللّغة وسرّ العربية، ص362.
7-ينظر: السّيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص94.
8-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدخيل، ص259.

من اللّغة الفارسية؛ للتشابه بين زنجبيل وشنكبيل[1]. وهذا ما تيسّر جمعه، ولولا خشية الإطالة لذكرنا موادّ أخرى.

2)-الموازنة بين العربية والحبشية:

لم تكن الأمّة العربية في سالف الزّمان منغلقة على نفسها في جوانب الحياة الفكرية والحضارية، بل كانت منفتحة على الشعوب الأخرى؛ تقتبس منها ما يتلاءم مع طبيعتها، وكان من جملة ذلك أن تتأثر باللّغات الأخرى من الفارسية، واليونانية، واللاتينية، والحبشية، وغيرها.

وما يهمّنا في هذا الصّدد هو اللّغة الحبشية التي تعدّ من اللّغات السّامية التي أخذت منها العرب بعض الألفاظ فعرّبتها؛ وفق قواعد وقوانين خاصة؛ حتى تتلاءم مع طبيعة النّطق العربي. وإنّ المتأمّل والمتفحص في هذه الألفاظ يجد أنّ معظمّها ذات طابع ديني مثل: المحراب، والمنبر، والمنافق، والحواري، والمصحف.

وممّا ينبغي التنبيه عليه أنّ" الرّسم الحبشي القديم كان يكتب من اليمين إلى الشمال...ثمّ انحرف بعد ذلك عن طريقته هذه ،فأصبح يكتب من الشمال إلى اليمين، وظلّ على هذه الحال إلى الوقت الحاضر"[2]. وسنعرض في هذا المقام بعض الألفاظ الحبشية المعرّبة، وهي كالاتي:

حرف الهمزة

- **ابلعي**: وردت في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة هود، الآية 44]. قال البغوي: "وقيل يعني: بعدما تناهى أمر

1-ينظر: محمّد السّيد علي بلاسي، المعرّب في القرآن الكريم، جمعية الدّعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط2001/1م، ص221.

2-علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، د ط، د ت، ص 89-90.

الطوفان "يا أرض ابلعي" تشربي "ماءك ويا سماء اقلعي": امسكي[1] وعلى هذا فإنّ بلع يأتي بمعنى جرع، تقول: ابتلعت الماء إذا جرعته.

وقد نقل السّيوطي في المهذب روايتين عن أصل هذه الكلمة؛ فالرّواية الأولى عن وهب بن منبه الذي يرى أنّ ابلعي بالحبشية ازدريه والرّواية الثانية عن جعفر بن محمّد عن أبيه الذي يرى أنّ ابلعي اشربي بلغة الهند[2]، إلّا أن المتبع للمعاجم العربية القديمة يجد أن مؤليفها لم ينصّوا على أنّ هذه الكلمة معرّبة، وكذلك لم نجد لها ذكرا في كتب المعرّب: كالعرب للجواليقي، وشفاء الغليل للخفاجي، وقصد السّبيل لمحمّد الأمين الحلبي، ممّا يدلّ على أنّ الكلمة عربية خالصة، بل قد تكون من قبيل المشترك بين بعض اللّغات السّامية.

-الأرائك: وردت في موضعين من القرآن الكريم، فالأوّل في قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة يس، الآية 56] والثاني في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المطففين، الآية 23]. والأريكة عبارة عن سرير مزيّن في بيت وتجمع على أرائك وأريك قال في القاموس المحيط: "والأريكة كالسفينة : سرير في حجلة، أو كلّ ما يتكأ عليه من سرير، ومنصّة، وفراش أو سرير منجّد مزيّن في قبّة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة ج: أريك وأرائك[3]". وبهذا يتبن أنّ الأريكة هي السّرير المزيّن المزخرف بخلاف السّرير فلا يشترط فيه أن يكون مزيّنا.

وقد حكى ابن الجوزي[4]، والسّيوطي[5] أن اللّفظة حبشية. وذكر سعدي صناوي في المعجم المفصّل[6] الخلاف حول هذه الكلمة؛ فمنهم من قال : إنها فارسية " أورنك "، ومنهم من قال

1-البغوي، معالم التّنزيل، تح: محمّد عبد الله النّمر، دار طيبة، الرياض، طبعة 1411هـ، ج179/4.

2-ينظر: السّيوطي، المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص66 -67.

3-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (الأراك)، ص931.

4-ينظر: ابن الجوزي، فنون الأفنان في عجائب القرآن، ص165.

5-ينظر: السيوطي، المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص68.

6-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل، ص28.

حبشية. وذهب طوبيا العنيسي[1] إلى أن الكلمة يونانية ari-koité، وبناءً على هذا يصعب التّرجيح بين هذه الأقوال؛ لعدم وجود الأدلة القاطعة الكافية.

-الأوّاب: وردت في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾ [سورة ص، الآية 17]. قال في اللّسان: " وأوّاب كثير الرّجوع إلى الله عزّ و جلّ والأوبة الرّجوع كالتّوبة وقال سعيد بن جبير: الأوّاب المطيع"[2]. وعليه فإنّ كلمة أوّاب صيغة مبالغة ترجع إلى أصل واحد، وهو الرّجوع؛ فالأوّاب هو الرّجّاع التائب إلى ربه؛ بفعل الطّاعات، وترك الذّنوب والمعاصي.

وقال السّيوطي: "عن عمر وبن شرحبيل قال: الأوّاب: المسّبح بلسان الحبشة"[3]. وافقه محمّد الأمين الحلبي في قصد السّبيل[4]، وحمزة فتح الله في الأصل والبيان لمعرّب القرآن[5] وسعدي صناوي في المعجم المفصّل[6]. وبهذا توافقت آراء القدامى مع آراء المحدثين.

- الأوّاه: وردت في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [سورة هود، الآية 75] قال ابن كثير: "عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: الأوّاه الدّعاء....وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: الأوّاه: الموقن بلسان الحبشة، وكذا قال العوفي عن ابن عبّاس أنّه الموقن، وكذا قال مجاهد والضّحاك، وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عبّاس: الأوّاه: المؤمن زاد عليّ بن أبي طلحة عنه، المؤمن التّواب، وقال العوفي هو المؤمن بلسان الحبشة"[7]. وقال الفيروز آبادي: "والأوّاه: الموقن، والدّعاء، أو الرّحيم الرّقيق أو الفقيه أو المؤمن بلسان الحبشة"[8]. وما يمكن ملاحظته من هذه الأقوال أن لفظة الأوّاه ترد على معان عديدة

1-ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية، ص2.

2-ابن منظور، لسان العرب، (أوب)، ص167.

3-السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص76.

4-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السبيل، ج225/1.

5-ينظر: حمزة فتح الله، الأصل والبيان لمعرّب القرآن، دار العلوم العليا، مصر، د ط، د ت، ص6.

6-ينظر: سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل ص54.

7-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص913.

8-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (أوه)، ص1243.

وأنّ أصلها باللسان الحبشي قد أثبته حبر هذه الأمّة الذي هو من أعلم النّاس بتفسير القرآن الكريم، إلّا أنّ السّيوطي بعدما حكى قول ابن عباس في المهذّب، نقل أيضا قولا آخر حيث قال: "وقال الواسطي: الدّعاء بالعبرية"[1]. والذي يترجّح من هذين القولين إن الكلمة حبشية للاعتبارات الآتية:

- أنّ هذه اللّفظة غير معروفة في اللّغة العبرية.

-نص الصّحابي عبد الله بن عباس، وبعض التابعين على حبشتيها، وهو من أفقه النّاس للقران الكريم.

- كثرة القائلين بحبشية الكلمة من القدامى والمحدثين.

حرف الجيم:

- **الجبت:** وردت في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ٥١﴾ [سورة النساء، الآية 51] قال ابن كثير: "عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: **الجبت:** السّحر والطاغوت: الشيطان...وعن ابن عبّاس وأبي العالية، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، وأبي مالك، وسعيد بن جبير، والشعبي والحسن، وعطية: الجبت: الشيطان، زاد ابن عباس: بالحبشية، وعن ابن عبّاس أيضا: الجبت؛ الشرك، وعنه الجبت: الأصنام ،وعن الشعبي: الجبت: الكاهن"[2]. وعلى هذا فإنّ كلمة الجبت تطلق على مدلولات عديدة؛ منها الأصنام، والشيطان، والشرك، والسّحر، والسّاحر، والكاهن، وغيرها من المعاني.

ووردت أيضا في الحديث النبوي. قال أبوداود: "....حدّثنا قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: " العيافة، والطّيرة، والطرق، من الجبت"[3]. قال في عون المعبود:" من الجبت: وهو السّحر، والكهانة على ما في الفائق"[4]. ولعلّ هذا التفسير من العظيم آبادي للجبت راجع إلى ترجيحه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي هو من

1-السّيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، ص75.

2-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص496.

3-أبوداود، سنن أبي داود، ج52/6.

4-شرف الحق العظيم آبادي، عون المعبود على شرح سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت، ط2005/1م، ص1775.

أعلم الصّحابة.

وقال السيوطي: "عن ابن عبّاس قال: الجبت: اسم الشيطان بالحبشية"[1]. وحكى أيضا محمّد الأمين الحلبي في قصد السّبيل أنّ اللّفظ حبشي[2]. إلّا أن بطرس البستاني خالفهما فقال:" وعندي أنّه سرياني الأصل"[3]. فالذي يظهر من هذين القولين أنّ هذا اللفظ حبشي الأصل دون شك؛ لترجيح قول ابن عباس على بطرس البستاني.

حرف الحاء

-حرام: وردت في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الأنبياء، الآية 95] قال ابن كثير: " يقول الله تعالى: " وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ " قال ابن عبّاس وجب يعني قدرا مقدرا أنّ أهل كلّ قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدّنيا قبل يوم القيامة "[4]. وعلى هذا المعنى الذي قرّره ابن كثير لكلمة حرام في هذه الآية، فإننا نذهب إلى أنّ أصلها حبشي قال السّيوطي: " قال ابن أبي حاتم: ذكر الحسن بن محمّد بن الصّباح، حدثنا حجاج بن أبي جريج أخبرني عطاء أن عكرمة قال: وحرام وجب بالحبشية"[5]. وبناءً على ما تبيّن ذكره فإنّ كلمة حرام التي بمعنى واجب مأخوذة من الحبشية، وأمّا الحرام الذّي هو نقيض الحلال فلا يدخل ضمن هذه المسألة.

-حوب: وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾" [سورة النساء، الآية 02] والحوب هو الإثم، وفيه ثلاث لغات، الحوب بالضّمّ، والحوب بالفتح والحاب قال ابن قتيبة: " والحوب: الإثم وفيه ثلاث لغات: حوب. وحوب وحاب"[6]. وقد حكى السّيوطي أنّ هذا اللّفظ حبشي فقال: " روينا في أسئلة نافع بن الأزرق أنّه قال لابن

1-السّيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص81.

2-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السّبيل، ج369/1.

3-بطرس البستاني، محيط المحيط، دط، دت، ص90.

4-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1251.

5-السيوطي، المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص80.

6-ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 1978م، ص118.

عبّاس: حدثني عن قول الله: " إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا " قال: إثما كبيرا بلغة الحبشة "[1]. ووافقه محمّد الأمين الحلبي في قصد السبيل[2].

حرف الدّال

- **الدّري**: هو المضيء قال الزّركشي(ت794ه):" الدّري: المضيء بالحبشية"[3]. وافقه السيوطي[4] على أنّ اللفظ باللّغة الحبشية.

حرف السّين

-**السّجل**: وردت في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ ١٠٤﴾ "[سورة الأنبياء، الآية 104]. قال ابن منظور: "وفي التّنزيل: " كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ" وقُرئ السّجلْ؛ وجاء في التفسير: أنّ السّجلّ الصحيفة التي فيها الكتاب... وقيل السّجل ملك، وقيل السّجل بلغة الحبش الرّجل وعن أبي الحوزاء أنّ السّجل كاتب كان للنبي صلى الله عليه وسلّم، وتمام الكلام للكتاب"[5]. ويفهم من كلام ابن منظور أنّ المفسرين ذكروا أربعة أقوال في تفسير السّجلّ في الآية: الأوّل أنه الصّحيفة، والثاني أنّه ملك من الملائكة، والثالث أنّه الرّجل بلغة الحبشة، والرّابع أنّه كاتب النّبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقد اختلف في تحديد أصل هذه الكلمة. قال السيوطي: "عن ابن عبّاس قال: السّجلّ بلغة الحبشة الرّجل. وفي المحتسب لابن جني: السّجل الكتاب، قال قوم هو فارسي معرّب"[6]. ويصعب التّرجيح بين أقوال القدامى؛ لعدم ذكرهم أصل الكلمة التي عرّبتها العرب.

وذهب محمد السيد علي بلاسي من المحدثين إلى أنّ أصل كلمة سجل لاتيني sigillum أو sigilla[7]، ولعلّ هذا هو الأقرب للصّواب؛ للتشابه بين الكلمة العربية، والكلمة اللاتينية.

1-السّيوطي، المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص85.

2-ينظر: محمّد الأمين الحلبي، قصد السبيل فيما في اللّغة العربية من الدّخيل، ج443/1.

3-الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، طبعة2006م، ص202.

4-ينظر: السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص87.

5-ابن منظور، لسان العرب، (سجل)، ص1946.

6-السيوطي، المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب، ص95،96.

7 -ينظر: محمّد السيد علي بلاسي، المعرّب في القرآن الكريم، ص226.

المبحث الثاني: مظاهر البحث الفيلولوجي في ظل القضايا اللغوية:

لقد كانت للعلماء القدامى للعلماء دراسات لكثير من القضايا اللغوية؛ تجسدت في أبحاثهم حول الحقيقة والمجاز، والاشتقاق والإبدال، والخط العربي، واللّغات العربية القديمة، وأصل اللّغة والاشتراك اللفظي، والتضاد وغيرها من المباحث. وإن المتأمل في هذه الدراسات ليلمس أن بعضها دراسات منفصلة تختص بظاهرة بعينها في مؤلف مستقل؛ كما هو الشأن مع أبي بكر بن الأنباري (ت 328 ه) في كتابه الأضداد، والفيروز آبادي في كتابه الروض المسلوف في ماله اسمان إلى ألوف؛ وهو كتاب يتحدث فيه عن ظاهرة الترادف وبعضها الآخر يتناول عدة قضايا لغوية في مصنف واحد؛ مثل الصاحبي لابن فارس، والمزهر للسيوطي. وسنعرض بعض القضايا اللغوية، وهي كالآتي:

1)-نشأة اللّغة:

تعدّ نشأة اللّغة من المسائل العويصة،" إذ لم يحظ موضوع من موضوعات اللّغة في تاريخ الفكر الإنساني، بقدر من الاهتمام والتفكير مثلما حظي موضوع نشأة اللّغة وأصلها"[1]. إذ شغلت مسألة نشأة اللّغة كثيرا من العلماء المتقدمين؛ من لغويين، وأصوليين، وفلاسفة ومتكلمين، وقد أدلى كل فريق منهم بدلوه في هذه القضية، فجاءت آراؤهم مختلفة، ولم يتفقوا على قول واحد، وسنعرض في هذا الصدد تلك الآراء بشيء من التفصيل.

أ) -الرأي الأول: اللّغة توقيفية: يرى أنصار هذا الرأي أن اللّغة وحي وإلهام من الله سبحانه وتعالى، ولا مجال لوضع الإنسان فيها، ونجد في مقدمة هؤلاء ابن فارس (ت 395 ه) حيث قال في كتابه الصاحبي: "باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح. ودليل ذلك جل ثناؤه: " وعلم آدم الأسماء كلها"؛ وهي التي يتعارفها الناس؛ من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خصيف عن مجاهد قال: علمه اسم كل شيء.

1-حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، د ت، ص 95.

وقال غيرهما: إنما علمه أسماء ذريته".[1] ثم يعرض ابن فارس جملة من الأدلة والبراهين؛ لتقرير ما ذهب إليه، حيث يقول:" وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم.

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وهم البلغاء والفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به. وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم".[2] وكان غرض ابن فارس من هذه الحجج إبطال مذهب الاصطلاح؛ حتى يتبين صحة مذهب التوقيف، وأنه هو الذي ينبغي الجزم به، نظرا لوجود ما يؤيده من الأدلة النقليّة والعقلية.

ونقل ابن جني عن شيخه أبي علي الفارسي أنه يقول بالتوقيف أيضا، وإلى ذلك أشار بقوله:" هذا محوج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللّغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف. إلا أن أبا علي قال لي يوما هي من عند الله، واحتج بقوله سبحانه" وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا". وهذا لا يتناول موضوع الخلاف. وذلك أنه يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة، فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به".[3] وتفسير ابن جني للآية بعيد جدا؛ لأن الآية تحمل على ظاهرها، بعيدة عن التأويلات الفاسدة، وكيف لا يكون ذلك كذلك، وقد فسرها الصحابي الجليل ابن عباس . رضي الله عنه . حبر هذه الأمة بناء على ظاهرها، فالأولى الأخذ بقول الصحابة الذين شاهدوا التنزيل، وكانوا أعلم هذه الأمة بلغة القرآن.

ومن الذين رجّحوا القول بالتوقيف ابن عبد البر (ت 463ه) في كتابه الماتع القصد والأمم في باب القول في أول من تكلم بالعربية، حيث قال: " وأولى ما قيل بالصواب في ذلك - والله أعلم- قول من قال إن آدم عليه السلام أول من تكلم بالعربية وبالسريانية وغيرهما

1-ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص6.

2-المرجع نفسه، ص8.

3-ابن جني، الخصائص، ج40/1.

وأول من وضع الكتاب لذلك؛ لأنه علم اللّغات، علم الأسماء كلها... وقد جاءت الآثار بأنه تكلم بالعربية وغيرها وعلّمه الله تعالى الأسماء ومعانيها، قال الله عزّ وجلّ (وعلم آدم الأسماء كلها) وذلك يقتضي تعليم أنواع اللّغات والأسماء كلها والله أعلم"[1]. وحجة ابن عبد البر في القول بالتوقيف هو الآية الواردة في سورة البقرة.

ثم يأتي السيوطي الذي ألّف كتابه الماتع المزهر، إذ جمع فيه أقوال من سبقوه في قضية نشأة اللّغة فأوعى، وقد أشار فيه إلى أدلة القائلين بالتوقيف حيث قال:" واحتج القائلون بالتوقيف بوجوه:

أولها: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ۝٣١﴾ [سورة البقرة، الآية 31] ....

وثانيها: أنه سبحانه وتعالى ذم قوما في إطلاقهم أسماء غير توقيفية في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٌ سَمَّيۡتُمُوهَآ ۝٢٣﴾ [سورة النجم، الآية 23] وذلك يقتضي كون البواقي توقيفية.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ ۝٢٢﴾ [سورة الروم، الآية 22] والألسنة اللحمانية غير مرادة؛ لعدم اختلافها ولأن بدائع الصنع في غيرها أكثر، فالمراد هي اللّغات.

ورابعها: وهو عقلي . لو كانت اللّغات اصطلاحية لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة. ويعود إليه الكلام، ويلزم إما بالدور أو التسلسل في الأوضاع وهو محال، فلا بد من الانتهاء بالتوقيف".[2] وبناء على ما ذكره السيوطي فإن وجه الاستدلال من آية النجم أن الله سبحانه ذم المشركين وآباءهم، على تسميه بعض الأشياء بأسماء ابتدعوها من عند أنفسهم من غير توقيف. فلو كانت اللّغة اصطلاحية لم يقع الذم. ووجه

1-ابن عبد البر، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مطبعة السعادة، القاهرة، طبعة 1350ه، ص 18-19.

2-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وصاحبيه، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة 1989م، ص 17- 18.

الاستدلال من آية الروم: أن من الآيات الدالة على قدرة الله العظيمة اختلاف لغاتهم من عربية، وعبرية وحبشية، وهذا ما يدل على أنها من عند الله، فهي توقيفية.

وهناك دليل نقلي آخر يصح أن يكون حجة عند أصحاب التوقيف وهو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [سورة الرحمن، الآيات 1-4] وذلك لأن المراد بالإنسان في هذه الآية الكريمة آدم عليه السلام، والمراد بالبيان المنطق والكلام.[1] فتخريج الآيات أن الله سبحانه علم آدم الكلام، فدل هذا على أن اللّغة توقيفية.

وذكر الآمدي[2] [ت 631 هـ] بعض الأدلة النقلية التي احتج بها أهل التوقيف منها قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ۝٣٨﴾ [سورة الأنعام، الآية 38]. وقوله سبحانه: ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ۝٨٩﴾ [سورة النحل، الآية 89]. وقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [سورة العلق، الآيات 1-5]. وتبدو هذه الأدلة بعيدة المنال في الدلالة على المقصود.

ب) -الرأي الثاني: اللّغة تواضع واصطلاح: ملخص هذه النظرية أن اللّغة من وضع البشر وذلك بأن يجتمع جماعة من الحكماء، ويصطلحوا على تسمية كذا بكذا، وكذا بكذا وهكذا وقد عبرّ عن هذا المعنى ابن جني في الخصائص فقال: " وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللّغة تواضع واصطلاح.

قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا، إذا ذكر عرف بهما مسماه؛ ليمتاز عن غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين".[3] ويظهر من قول ابن جني أن المواضعة تكون من

1-ينظر: الزمخشري: الكشاف، ص 1069.

2-ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، السعودية، ط2003/1م، ج102/1.

3-ابن جني، الخصائص، ج44/1.

عقلاء وحكماء بني آدم، ولكن كيف يتسنى لهؤلاء الحكماء أن يجتمعوا، إذ إن التواضع يحتاج إلى لغة سابقة يحصل بها التفاهم.

وينقل ابن جني صورة أخرى من صور المواضعة فيقول: "....إلا أنني سألت يوما بعض أهله فقلت: ما تنكر أن تصح المواضعة من الله تعالى؟ وإن لم يكن ذا جارحة بأنه يحدث في جسم من الأجسام خشبة أو غيرها، إقبالا على شخص من الأشخاص، وتحريكا لها نحوه ويسمع في نفس تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص دفعات، مع أنه . عز اسمه . قادر على أن يقنع في تعريفه بالمرة الواحدة، فتقوم في هذا الإيماء، وهذه الإشارة مقام جارحة ابن آدم في الإشارة بها في المواضعة"[1] وهذا تخريج على أصول المعتزلة وقواعدهم، ولا ريب أن ابن جني كان من فطاحلتهم في زمانه.

وقد استند أصحاب هذا الرأي إلى مجموعة من الأدلة النقلية والعقلية؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾ [سورة إبراهيم، الآية 04] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم؛ ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم"[2]. وجه الاستدلال من هذه الآية أن اللّغة متقدمة على بعثة الرسل، فهي تدل على سبق اللّغات للإرسال، فلو كانت اللّغة توقيفية -والتوقيف لا يحصل إلا بالإرسال- لزم الدور.

ومنها قولهم: إنه لو كانت اللّغات توقيفية لزم من ذلك ثلاث حالات: الأولى: أنه تعالى يخلق علما ضروريا في العاقل بأن الألفاظ موضوعة لمعان معينة.

الثانية: أنه تعالى يخلق علما ضروريا في غير العاقل.

الثالث: أنه لا يخلق علما ضروريا.[3]

1-ابن جني، الخصائص، ج46/1.

2-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1021.

3-ينظر: السيوطي، المزهر، ص 18.

فالحالة الأولى باطلة؛ لأن العلم به تعالى بأنه وضع تلك الألفاظ لتلك المعاني يتضمن العلم به سبحانه وتعالى، فلو كان هذا العلم ضروريا لكان العلم به تعالى ضروريا، وهذا ما يؤدي إلى بطلان التكليف.

والحالة الثانية كالأولى: من حيث البطلان؛ لأنه من المستحيل أن يصير غير العاقل عالما بهذه اللّغات. والحالة الثالثة باطلة أيضا؛ لأنها تستلزم التسلسل.

وقد وجهت لهذه النظرية انتقادات عديدة نذكر منها:

. ما أشار إليه ابن تيمية بقوله:" فلا يمكن لأحد أن ينقل عن العرب، بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا هذه الأسماء الموجودة في اللّغة، ثم استعملوها بعد الوضع".[1] وبهذا يتبين أن هذه النظرية ضرب من الخيال.

. أن المواضعة تحتاج إلى لغة سابقة.

ج) -الرّأي الثّالث: ذهب أنصار هذا الرأي إلى أن بعضها توقيفي، وبعضها اصطلاحي، وقد أشار إلى هذا القول ابن تيمية بقوله:" وقال قوم بعضها توقيفي، وبعضها اصطلاحي. وهذا قول طوائف منهم ابن عقيل وغيره".[2] وتخريج هذا المذهب أن منشأ اللّغات في أول الأمر يكون توقيفا، ثم بعد ذلك لا يمتنع أن تنشأ لغات أخرى اصطلاحا.

واحتج أهل هذا القول "بأن الاصطلاح لا يصح إلا بأن يعرف كل واحد منهم صاحبه ما في ضميره، فإن عرفه بأمر آخر اصطلاحي لزم التسلسل، فثبت أنه لابد في أول الأمر التوقيف ثم بعد ذلك لا يمتنع أن تحدث لغات كثيرة بسبب الاصطلاح، بل ذلك معلوم بالضرورة، فإن الناس يحدثون في كل زمان ألفاظا ما كانوا يعلمونها قبل ذلك".[3] وهذا ما نجسده مجسدا في الواقع مع الألفاظ المستحدثة التي لم تكن مستعملة في سالف الزمان؛ كما هو الشأن مع المصطلحات العلمية، والاكتشافات الجديدة التي ثبتت عن طريق الوضع والاصطلاح.

د) -الرأي الرابع: ابتداء اللّغة وقع بالاصطلاح والباقي توقيف:

1-ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الوفاء، الرياض، ط1/1997م، ج62/7.

2-ابن تيمية، كتاب الإيمان، تح: جماعة من العلماء، دار الإسكندرية، مصر، د ت، ص 82.

3-الشوكاني، إرشاد الفحول، تح: سامي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط1/2000م، ج102/1.

يرى أنصار هذا الرأي أن أصل اللّغة بعضه تواضع واصطلاح، والآخر توقيفي، وعلى هذا سار أبو إسحاق إبراهيم الإسفراييني (ت 418 ه). قال الشوكاني في إرشاد الفحول: "والقول الرابع: أن ابتداء اللّغة وقع بالاصطلاح، والباقي توقيف، وبه قال الأستاذ أبو إسحاق".[1] وحجة هؤلاء القوم أن فقه كلام الموقف لا يكون إلا بعد تقدم الاصطلاح.

وأجيب عن هذه الحجة بأن التعليم قد يكون بواسطة الوحي والإلهام.

هـ-الرأي الخامس: نظرية المحاكاة: يرى أصحاب هذه النظرية أن اللّغات تنشأ نتيجة لتقليد أصوات الطبيعة، ومحاكاة للأصوات المسموعة؛ كحنين الرعد، وخرير المياه، وصهيل الفرس وإلى هذا المعنى أشار ابن جني بقوله:" وذهب بعضهم إلى أن أصل اللّغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللّغات عن ذلك في ما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل".[2] ويظهر من قول ابن جني أنه معجب بهذه النظرية.

" ومما قد يؤيد هذه النظرية، ما نجده في بعض الأحيان من اشتراك بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات، فإن الكلمة التي تدل على الهمس هي في العربية كما نعرف همس، وفي الانجليزية whisper، وفي الألمانية Flüstern، وفي العبرية Safsaf صفصف، وفي الحبشية Fusaya فاصي، وفي التركية susmak. فالعامل المشترك بين هذه اللّغات جميعها في تلك الكلمة هو صوت الصفير؛ السين أو الصاد، وهو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة"[3]. إلا أننا نجد أن هناك اعتراضات على هذه النظرية، وهي كالآتي:

. لو كان الأمر كما ادعى أصحاب هذه النظرية لكانت لغات العالم متفقة غير مختلفة؛ لأن خرير الماء، وحنين الرعد وغيرهما من أصوات الطبيعة لا تختلف من بيئة إلى أخرى.

. أن أصوات الطبيعة لا تعبر عن كل الدلالات والمعاني.

. لا يصح عقلا أن يقلد الإنسان أصوات الحيوانات، وذلك لكرامته.

1-الشوكاني، إرشاد الفحول، ص99.

2-ابن جني، الخصائص، ج1/46-47.

3-رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1982/1، ص 17.

. أن اللّغات العالمية تحتوي على قدر ضئيل من الكلمات التي يتناسب فيها اللفظ مع المعنى.

و) -الرأي السادس: المناسبة بين اللفظ والمعنى: يرى بعض العلماء بناء على هذه النظرية أن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية بمعنى أن اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب لا انفكاك فيها، وممن نادى بهذا الرأي عبّاد بن سليمان الصّميري من المعتزلة، فقد ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية.

ومن العلماء الأفذاذ الذين أجادوا في بيان المناسبة بين اللفظ والمعنى ابن جني في كتابه الخصائص، حيث عقد باب مطولا أسماه باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني. وقد قال فيه: اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته.

قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّا فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو: النقزان والغليان، والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال".[1] وبهذا يتضح أن ابن جني متأثر تأثرا شديدا بقضية التناسب بين اللفظ والمعنى، مؤيدا ما ذهب إليه بذكر أمثلة كثيرة متعلقة بقضايا لغوية عديدة، تؤكد تلك المطابقة بين الألفاظ ومدلولاتها، كما أننا نلمس أن لهذه الفكرة إرهاصات عند القدامى النحويين من أمثال الخليل وسيبويه.

ومن بديع التقريرات، وجميل العبارات، ما ذكره ابن جني في قوله:" ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح. قال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الرحمن، الآية 66]. فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه".[2] فهذا المثال الذي أشار إليه ابن جني لدليل واضح على التناسق بين الدّال والمدلول؛ فلما كانت الحاء من حروف الضعف؛ لاستفالها جعلت دلالتها على الشيء

1-ابن جني، الخصائص، ج152/2.

2-المرجع نفسه، ج158/2.

الضعيف، كما هو الشأن مع النضح، ولما كانت الخاء من حروف القوة؛ لاستعلائها جعلت دلتها على الشيء القوي كما هو الأمر مع النضخ. وهذا باب لطيف جدا، كثير الفوائد، إلا أنه لا يمكن اعتماده قاعدة مطردة في جميع الألفاظ، وفي سائر اللّغات.

ي)-الرأي السابع: تجويز كل الأقوال المشار إليها سابقا، وعدم الجزم بواحد منها. قال الشوكاني في إرشاد الفحول: " القول السادس: أنه جوز كل واحد من هذه الأقوال من غير جزم بأحدها، وبه قال الجمهور كما حكاه صاحب المحصول".[1] وعمدة أصحاب هذا القول أن تلك الأدلة التي ذكرها أصحابها في قضية نشأة اللّغة لا تصلح دليلا للاحتجاج من حيث قطيعتها، لذلك وجب التوقف في ترجيح أحدهما على الآخر.

1-1) -الترجيح في المسألة:

إن المتمعن في أدلة العلماء يظهر له جليا أن الأصل في نشأة اللّغات هو مذهب التوقيف وذلك للاعتبارات الآتية:

أ. **الدليل القرآني**: وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾﴾ [سورة البقرة، الآية 31]. فالآية تدل على أن الله أوقف آدم على اللّغات، وذلك بتعليمه إياها، سواء أكان ذلك الأمر بواسطة أم بغير واسطة.

ب. **الحديث الشريف**: وهو ما ورد في صحيح البخاري؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا. ثم قال: اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيوك، تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن".[2] ففي الحديث إثبات تكليم الله سبحانه لآدم عليه السلام وتعليمه إلقاء السلام على الملائكة، فهذا يدل على أن اللّغة توقيفية.

1-الشوكاني، إرشاد الفحول، ص 99.

2-البخاري، صحيح البخاري، ص 817، 818.

ج. **تفسير الصحابي ابن عباس لقوله تعالى:**" وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا "على أن المراد هو تعليم الله سبحانه لآدم عليه السلام اسم كل شيء، وكذلك ورود هذا التفسير عن مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة.[1] وهذا كله لا يمنع من المواضعة والاصطلاح كما هو الأمر مع الاكتشافات والاختراعات الجديدة التي تواضع العلماء والخبراء على تسميتها.

2-1) - الآثار المترتبة على القول بنشأة اللّغة:

يرى بعض أهل العلم أن مسألة نشأة اللّغة مسألة نظرية بحتة، لا يترتب عليها أي أثر علمي أو عملي. قال السيوطي في المزهر بعد أن ذكر آراء العلماء في قضية أصل اللّغة:" الرابع: قال في رفع الحاجب: الصحيح عندي أنه لا فائدة لهذه المسألة، وهو ما صححه ابن الأنباري وغيره، ولذلك قيل: ذكرها في الأصول فضول".[2] ويرى آخرون أن البحث فيها ذو فائدة. قال السيوطي: "وقيل فائدتها النظر في جواز قلب اللّغة".[3] وبناء على هذا سنذكر بعض الآثار المترتبة على دراسة قضية أصل اللّغة، ونوجزها في النقاط الآتية:

أ- تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز: من الآثار المترتبة على دراسة أصل اللّغة القول بالمجاز في اللّغة العربية، ومدى اختلاف العلماء في وجوده أو عدمه. قال ابن تيمية في صدد حديثه عن المجاز:" وهذا كله يصح لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أوّلا لمعان، ثم بعد ذلك استعملت فيها؛ فيكون لها متقدم على الاستعمال، وهذا إنما يصح على قول من يجعل اللّغات اصطلاحية".[4] وبهذا يتبين من كلام ابن تيمية أن القول بالمجاز إنما يصح على قول من يجعل اللّغات اصطلاحية.

ب- قلب اللّغة: تعد هذه القضية محورا مهما، وذلك لما لها من آثار في غاية الأهمية؛ فالقائلون بالتوقيف يمنعون قلب اللّغة منعا مطلقا؛ فلا يجوز لنا مثلا أن نقلب كلمة النهر ونضعها للبحر، وهكذا قس على جميع الألفاظ. والقائلون بالمواضعة يجوزون هذا القلب؛ لأن

1-ينظر: السيوطي، المزهر، ص 28- 29.

2-المرجع نفسه، ص 26.

3-المرجع السابق نفسه، ص 26.

4-ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج70/7.

اللّغة كانت بتواضع البشر. قال السيوطي : " فحكي عن القائلين بالتوقيف منع القلب مطلقا فلا يجوز تسمية الثوب فرسا، والفرس ثوبا، وعن القائلين بالاصطلاح تجويزه"[1] فالمسألة تبدو في غاية الخطورة؛ لأن دراسة جواز قلب اللّغة من عدمه يؤدي إلى صيانة اللّغة من التلاعب بالألفاظ.

ج- **قضية القياس:** وقد نوّه بهذا المعنى أبو حامد الغزالي (ت 505 ه) فقال: " اختلفوا في أن اللّغات تثبت قياسا... ومحل النزاع القياس على عبارة تشير إلى معنى آخر، وهو حائد عن القياس. كقولهم للخمر خمر؛ لأنه يخامر العقل أو يخمر، وقياسه أن يقال: مخامر أو مخمر فهل تسمى الأشربة المخامرة للعقل خمرا قياسا... وجوز أبو إسحاق مثل هذا القياس، والمختار منعه. وهو مذهب القاضي".[2] وتخريج محل النزاع أن يقال: إن القائلين بالاصطلاح يجوزون مثل هذه الأقيسة، وخير مثال ما ضربه أبو حامد عن الخمر، بينما القائلون بالتوقيف يرون أن هذا المثال هو مجرد إلحاق، ولا يعد قياسا.

2)-الحقيقة والمجاز:

من القضايا المهمة، والمسائل العويصة التي أحدثت اختلافا كبيرا، وجدالا عظيما مسألة الحقيقة والمجاز. ومما يدل على مكانتها اهتمام العلماء بها على اختلاف توجهاتهم؛ من لغويين ومفسرين، وبلاغيين وأصوليين وغيرهم. وقبل الخوض في مضمار هذه الحيثية سنعرف بالمصطلحين.

1.2) - تعريف الحقيقة:

أ- **لغة:** ترجع كلمة الحقيقة إلى الفعل حقّ؛ بمعنى ثبت ولزم، فهو ثابت، وإلى هذا المعنى أشار الأديب الأريب نويوات فقال:" وحقّ عليه القول، وحقّت عليه كلمة العذاب: كله بمعنى اللزوم والثبوت"[3] ويدل على هذا المعنى قوله تعالى:" ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة

1-السيوطي، المزهر، ص 26.

2-أبو حامد الغزالي، المنخول من تعليقات الأصول، تح: محمد حسن هنيتو، دار الفكر، بيروت، دت، ص 71، 72.

3-موسى نويوات، معجم الأفعال المتعدية بحرف، ص 62.

القصص، الآية 63]. وقوله: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [سورة الزمر، الآية 71]، أي وجبت وثبتت.

وقال سعد التفتازاني في المطول:" الحقيقة في الأصل: فعيل بمعنى فاعل، من حق الشيء إذا ثبت أو بمعنى مفعول من حققت الشيء إذا أثبته، نقل إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي، والتاء للنقل من الوصفية.

وعند صاحب المفتاح التاء للتأنيث على الوجهين، أما على الأول فظاهر؛ لأن فعيلا بمعنى فاعل يذكر ويؤنث... وأما على الثاني فلأنه يقدر لفظ الحقيقة قبل النقل إلى الاسمية صفة لمؤنث غير مجراة على موصوفها"[1] وهذا تفصيل لا يحتاج إلى مزيد بيان من هذا العَلَم الفذ.

ب . **اصطلاحا**: الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في الأصل.

فخرج بقولنا . الكلمة المستعملة . الكلمة المهملة فلا تدخل في هذا التعريف.

وخرج بقولنا . فيما وضعت له في الأصل . المجاز.

ومنهم من قال:" إن الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب".[2] ولعل هذا الحد أجود وأوضح؛ لأن هناك بعض المناطق من تطلق الدابة على الحمار مثلا. فتكون عبارة في اصطلاح التخاطب. ضابطة لجميع الدلالات أثناء التواصل بين المتخاطبين.

2-2)-القرائن الدالة على حمل الكلام على الحقيقة[3]:

ترد في العربية عدة قرائن وعلامات تدل على أن الكلام يحمل على وجه الحقيقة فقط وهي كالآتي:

- تأكيد الفعل بالمصدر: قال أبو جعفر النحّاس: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[سورة النساء، الآية 164]. مصدر مؤكد، وأجمع النحويون على أنك إذا أكّدت الفعل بالمصدر

1-سعد الدين التفتازاني، المطوّل، تح: أحمد بن صالح السديس، مكتبة الرشد، الرياض، ط2019/1 م، ج148/3.

2-ينظر: المرجع نفسه، ج 149/3.

3 -ينظر: عبد المحسن العسكر، البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد، دار المنهاج، الرياض، ط1435/1 هـ، ص 81.

لم يكن مجازا".[1] فالآية تحمل على ظاهرها؛ وهو إثبات صفة الكلام لله سبحانه على الحقيقة، بعيدة عن معاول المجاز.

- توكيد الفعل بالتكرار: ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النحل، الآية 40]. قال ابن قتيبة:" وتبين له أيضا أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر، ولا تؤكد بالتكرار... وقال: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون. فوكّد القول بالتكرار، ووكّد المعنى بإنّما".[2] ووجه الاستدلال من الآية هو تكرار كلمة قولنا بأن نقول، وهي مصدر مؤول تقوم مقام المصدر.
- التعبير عن المعنى المراد بألفاظ متباينة: كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٢١٠﴾﴾ [سورة البقرة، الاية 210]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية 158]. وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر، الآية 22]. فعبر المولى تبارك وتعالى عن صفة المجيء بالفعل يأتي تارة، وبالفعل جاء تارة أخرى وهذا ما يرفع احتمال المجيء في الآيات المذكورة، وأنها تحمل على الحقيقة.
- إتباع الخبر ببعض الأساليب المبينة له: كما في حديث جرير قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلّم فنظر إلى القمر ليلة . يعني البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"[3] ففي هذا الحديث إثبات لرؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بدليل قوله عليه الصّلاة والسّلام " إنكم سترون ربكم" وهذه رؤية حقيقية يؤكدها الأسلوب الذي بعدها، وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام " كما ترون القمر".
- الإشارة بالجارحة: ويشهد لهذا ما ورد في سنن أبي داود: حدثني أبو يونس سليم بن جبير

1-أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، تح: خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، ط2/ 2008م، ص 217.
2-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1973/2م، ص 111.
3-محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص 143.

مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٥٨﴾ [سورة النساء، الآية 58]. رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه. قال أبو هريرة: رأيت رسول الله يقرؤها ويضع إصبعيه".

قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني أن الله سميع بصير، يعني أن له سمعا وبصرا".[1] قال ابن القيم: "وكذلك لما قرأ صلى الله عليه وسلم: وكان سميعا بصيرا. وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه. رفعا لتوهم متوهم أنّ السمع والبصر غير الصفتين المعلومتين"[2].فالإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم وردت لإثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه على الحقيقة.

- التنويع والتقسيم في إسناد الفعل: كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ١٥٨﴾ [سورة الأنعام، الآية 158]. قال ابن القيم:" فلما ذكر إتيانه سبحانه ربما توهم متوهم أن المراد إتيان بعض آياته، أزال هذا الوهم ورفعه بقوله: أو يأتي بعض آيات ربك. فصار الكلام مع هذا التقسيم والتنويع نصا صريحا في معناه، لا يحتمل غيره".[3] وهذا الذي ذكره ابن القيم في كتابه الصّواعق المرسلة يعد تأصيلا متينا في بابه، وفقهه يزيل إشكالات كثيرة في التعامل مع نصوص الكتاب والسنة، لاسيما في باب الأسماء والصفات المتعلقة بالله سبحانه.

3.2) تعريف المجاز:

أ-لغة: تأتي كلمة المجاز على وزن مفعل، التي ترجع إلى الفعل جاز. قال ابن فارس:" وأمّا المجاز فمأخوذ من جاز يجوز إذا استن ماضيا، تقول: جاز بنا فلان وجاز علينا فارس، هذا هو الأصل". وللفعل جاز عدة معان ذكرها صاحب معجم الأفعال المتعدية بحرف فقال:" جاز

1-أبو داود، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط2009/1م، ج110/1.

2-الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تح: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، دار أضواء السلف، الرياض، د ت، ص 142، 143.

3-الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص 141.

المكان، وجاز به يجوز جوزا، وجوازا، ومجازا: سلكه وسار فيه وجوّز له ما كان منعه: سوّغه، وأجاز من البيت من الشعر: أتم مصراعه أو أتى ببيت آخر معه، وأجاز له البيع أمضاه، وأجاز له ماء: أعطاه، وأجزت على اسمه: إذا جعلته جائزا، وجاوزت الشيء إلى غيره وتجاوزته بمعنى، وتجوز في كلامه: تكلم بالمجاز، وتجوز في الشيء أفرط".[1] وقال الجرجاني (ت 471 ه):" المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه".[2] وبهذا يتبين أن المعنى اللغوي الذي يناسب هذا المقام هو أن المجاز بمعنى التعدية.

ب- **تعريف المجاز اصطلاحا**: قال ابن جني في الخصائص:" الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللّغة، والمجاز ما كان ضد ذلك".[3] وعليه فالمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولا؛ لعلاقة بينهما مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

فقولنا: اللفظ يشمل الكلمة والجملة. وقولنا المستعمل يخرج المهمل فلا يسمى حقيقة ولا مجازا. وقولنا: في غير ما وضع له يخرج الحقيقة. وقولنا: لعلاقة بينهما يعني الصلة الرابطة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي، كقوله تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ١٩﴾ [سورة البقرة، الآية 19]. فالمراد بالأصابع في الآية الأنامل التي هي جزء من الأصابع فالعلاقة هي الجزئية، وقد تكون المشابهة؛ كقولنا: زيد كالأسد، فالعلاقة الرابطة بين الأسد وزيد هي المشابهة في الشجاعة.

وقولنا لقرينة: فالقرينة هي ما جعله المتكلم دليلا على مقصوده من الكلام. "ومراد المتكلم يعرف بطرق عدة منها:

أولا: أن يصرح بإرادة المعنى المطلوب بيانه.

ثانيا: أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع مع تخلية الكلام عن أية قرينة تصرفه عن هذا الظاهر.

1-موسى نويوات، معجم الأفعال المتعدية بحرف، ص 41.

2-الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، شركة القدس، القاهرة، ط1/1991م، ص 395.

3-ابن جني، الخصائص، ج442/2.

ثالثا: أن يحف كلامه بالقرائن الدالة على مراده".[1] وهذه الأمور الثلاثة مهمة جدا في باب المجاز، فبها يتضح مراد المتكلم على حقيقته.

وتنقسم القرينة إلى قسمين:

. القرينة اللفظية: وهي التي تتحقق بوجود لفظ في الكلام يصرف الذهن عن إرادة المعنى الحقيقي.

. القرينة العقلية: هي أمر عقلي يفهم من دلالة الحال على مراد المتكلم.

4.2) أقوال العلماء في المجاز:

اختلف العلماء في وجود المجاز أو عدمه؛ فذهبت طائفة منهم إلى إثبات المجاز مطلقا كما هو الشأن مع ابن فارس[2]، والثعالبي[3]، وذهبت طائفة أخرى إلى نفي المجاز مطلقا، كما هو الشأن مع ابن القيم[4]، وذهبت طائفة إلى إثبات المجاز في اللّغة دون القرآن[5]. وسنقوم بعرض أدلة المذهبين الأولين لشهرتهما.

أ)-أدلة المثبتين للمجاز مطلقا: كان لهؤلاء أدلة وحجج بينات برهنوا بها على وجود المجاز، وهي كالآتي:

أن المجاز أسلوب عربي دلت عليه شواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي وكلام العرب. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يوسف، الآية 82]. يريد أهل القرية، وما رواه البخاري في باب المعاريض من حديث أنس بن مالك قال: كان بالمدينة فزع، فركب رسول الله صلّى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة فقال:" ما رَأَيْنَا مِن شيءٍ، وإنْ وجَدْنَاهُ

1-عثمان بن علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، مكتبة الرشد، الرياض، ط5/2006م، ص 394.

2-ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص 323.

3-ينظر الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص 426.

4-ينظر: الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة، ص 690.

5-ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، دار عالم الفوائد، السعودية، دت، ص9.

لَبَحْرًا ."[1] فشبه النبي صلّى الله عليه وسلم الفرس بالبحر؛ لسعة جريه وخفته. وفي كلام العرب، وقد أشار سيبويه إلى بعض الشواهد فقال: " من ذلك قول الخنساء:

تَرْتَـعُ مَـا رَتَعَـتْ حَتَّى إذَا ادَّكَـرَتْ فَإنَّمَـــا هـــيَ إقْبَـــالٌ وَإدْبَـــارُ

فجعلها الإقبال والإدبار، فجاز على سعة الكلام".[2] فعبر سيبويه عن المجاز بسعة الكلام. نص أئمة العربية على وجود المجاز. قال سيبويه:" ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جدّه ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يوسف، الآية 82].إنما يريد أهل القرية[3]. وهذا الشاهد الذي ذكره سيبويه، أشار إليه من أتى بعده في باب المجاز.

وبعد سيبويه أشار الأخفش (ت 215 ه) إلى المجاز فقال: "هذا باب المجاز... وأمّا قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة البقرة، الآية 29]. فإن ذلك لم يكن من الله تبارك وتعالى لتحول، ولكنه يعني: فعله، كما تقول: كان الخليفة في أهل العراق يوليهم، ثم تحول إلى أهل الشام؛ إنما يريد: تحوّل فعله".[4] ولا شك أنّ هذا تعطيل لصفة الاستواء، والحق الذي لا ريب فيه أن الآية تحمل على الحقيقة؛ لأن فيها إثباتا لصفة الاستواء التي تليق به سبحانه وتعالى.

انعقاد الإجماع على وجود المجاز، وقد حكاه عالمان؛ الأوّل هو محمد بن أحمد بن جزي (ت 741 ه)، حيث قال: "واتفق أهل علم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز. ولا وجه لمن منعه؛ لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى".[5] والآخر هو يحي بن حمزة العلوي (ت 749 ه) حيث قال في الطراز:" أجمع أهل التحقيق من علماء الدين والنظار من الأصوليين، وعلماء

1-البخاري، صحيح البخاري، ص 1549.

2-سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1988/3م، ج336/1، 337.

3-المرجع نفسه، ج212/1.

4-الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1990/1م، ج61/1.

5-ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1995/1، ج18/1.

البيان على جواز دخول المجاز في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم في كلا نوعيه المفرد والمركّب، ويحكى الخلاف في إنكاره عن أبي بكر بن داود الأصفهاني، والحجة على ما قلناه".[1] والذي يظهر من حكاية الإجماع أنها مبنية على أن الاتفاق وقع في أول الأمر على وجود المجاز في لغة العرب. وأمّا الإنكار فمتأخر، فلذلك اعتد بهذا الإجماع وأنه حجة على قول هؤلاء.

. الاستقراء والاستنباط: لقد تتبع العلماء الكلام العربي فوجدوه ينقسم إلى حقيقة ومجاز. فكما أنهم اهتدوا إلى تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، كذلك اهتدوا إلى هذا التقسيم الثنائي.

. ما نصّ عليه يحيى بن حمزة العلوي بقوله: " المقدمة الثالثة في ذكر الحقيقة والمجاز وبيان أسرارها." أعلم أنّ هذه المقدّمة من أعظم قواعد علم البيان، ومن مهمات علومه، وسر جوهره، لا يظهر إلا باستعمال المجازات الرشيقة، والإغراق في الطائفة الرائقة، وأسراره الدقيقة كالاستعارة والكناية والتمثيل وغيرها من أنواع المجاز، وكلما كان المجاز أوقع فالفصاحة والبلاغة أعلى وأرفع كما ستراه".[2] وبهذا يظهر أن المجاز وسيلة من وسائل البيان، وعامل من عوامل محاسن الكلام، وكنز من كنوز البلاغة، وسبيل من سبل الفصاحة، فإذا أنكرناه فقد ألغينا شطر الحسن، وروعة البيان.

أ) -**أدلة المانعين للمجاز مطلقا**: والتي نوجز بعضها في النقاط الآتية:

. ما نص عليه ابن تيمية بقوله:" فيقال أولا: تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز، وتقسيم دلالتها أو المعاني المدلول عليها إن استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة، فإن هذا كله قد يقع في كلام المتأخرين، ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ، وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء

1-يحي بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار المقتطف، مصر، طبعة 1914م، ج83/1.

2-المرجع نفسه، ج 1/ 43، 44.

القرون الثلاثة"[1]. وبناء على تقرير ابن تيمية فإن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع لم يعرفه الرعيل الأول من أئمة العربية.

. أن المجاز بكل أنواعه المختلفة من استعارة، وتورية، ومشاكلة، وغيرها من أنواع المجازات مطية لتعطيل صفات الباري جل وعلا.

. أن القول بالمجاز يفضي إلى وصف الله بالمتجوز.

. شواهد المجاز غير صالحة للاستشهاد على هذه القضية، وقد حمل لواء هذا الأمر شيخ الإسلام حيث ذكر في كتابه الإيمان جملة من الشواهد القرآنية، وأبطل أن تكون من جنس المجاز، حيث قال:" ردّ ما زعموا من ألفاظ القرآن أنه مجاز.... ومن الأمثلة المشهورة لمن يثبت المجاز في القرآن " واسأل القرية" قالوا: المراد به أهلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فقيل لهم: لفظ القرية والمدينة والنهر والميزان وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحلّ كلاهما داخل في الاسم، ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان. وتارة على المحل وهو المكان، وكذلك في النهر يقال: حفرت النهر وهو المحل، وجرى النهر هو الماء ... وكذلك القرية".[2] وهناك أمثلة أخرى ذكرها ابن تيمية عدلنا عنها خشية الإطالة.

. تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم فاسد؛ لتضمنه إثبات الشيء ونفيه قال في مختصر الصواعق:" الوجه السابع: أن تقسيم الألفاظ إلى ألفاظ مستعملة فيما وضعت له، وألفاظ مستعملة في غير ما وضعت له؛ تقسيم فاسد يتضمن إثبات الشيء ونفيه، فإن وضع اللفظ للمعنى هو تخصيصه به، بحيث إذا استعمل فهم منه ذلك المعنى ولا يعرف للوضع معنى غير ذلك".[3] ووجه فساد هذا التقسيم أنه يتضمن جمعا بين متناقضين.

. تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز ليس له ضابط صحيح ينضبط به؛ مما يدل على فساده. قال في مختصر الصواعق:" الوجه العاشر: أن هذا تقسيم فاسد لا ينضبط بضابط صحيح، ولهذا عامة ما يسميه بعضكم مجازا يسميه غيره حقيقة، وهذا يدعى أنه استعمل

1-ابن تيمية، الإيمان، ص 79، 80.

2-المرجع نفسه، ص 101، 102.

3-الموصلي، مختصر الصواعق على الجهمية والمعطلة، ص 707.

فيما لم يوضع له، وذاك يدعي أن هذا موضوعه، وذلك أنه ليس في نفس الأمر فرق يتميز به أحد النوعين عن الآخر". وخير مثال على هذا آيات الصفات في القرآن الكريم، حيث نجد كثيرا من البلاغيين واللغويين يسلطون عليها معاول المجاز، فلو كان هذا الباب منضبطا بقواعد صحيحة لما آل الأمر إلى ما آل إليه.

القول بأن المجاز مرتبط بالقرينة بخلاف الحقيقة كلام باطل لا أساس له من الصحة بل أي كلام لا بد أن يتوقف على قرينة حتى يتبين مراد المتكلم قال الموصلي:" الوجه العشرون: وهو أنكم فرقتم بقولكم: إن المجاز يتوقف على القرينة، والحقيقة لا تتوقف على القرينة.... فيقال لكم: اللفظ عند تجرده عن جميع القرائن التي تدل على مراد المتكلم بمنزلة الأصوات التي ينعق بها، فقولك: تراب، ماء، حجر بمنزلة قولك: طق غاق ونحوهما من الأصوات، فلا يفيد اللفظ ولا يصير كلاما إلا إذا اقترن به ما يبين المراد، ولا فرق بين ما يسمى حقيقة في ذلك، وما يسمى مجازا"[1]. ومن هذا القول يتبين أن اللفظ إذا تجرد من جميع القرائن يصبح لفظا مهملا لا معنى له ولا فائدة.

ويمكن أن نرد أدلة المانعين إلى شيء واحد رئيس وهو دلالة السياق، فما عيّنه السياق هو المراد من قول المتكلم؛ لأن الكلمات في حد ذاتها تعد مادة خامة لا تدل على شيء، بل هي بحسب التركيب، وإذا كانت كذلك فحينئذ نلجأ إلى السياق الذي يؤدي دورا بارزا في فهم المعنى، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الحج الآية 45]. فلا يمكن أن يتبادر إلى ذهن القارئ أو السامع أن المراد بالقرية البنيان؛ لأن القرية لا توصف بالظلم، بل المراد أهلها؛ لدلالة السياق على هذا المعنى، وهذه حجة قوية ينبغي أن تكتب بماء من ذهب.

وتجدر الإشارة إلى أن أدلة المانعين كثيرة جدا، فلو أردنا سردها اقتضى ذلك منا مجلدا ضخما، وخير من نبه عليها ابن القيم في الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

1-الموصلي، مختصر الصواعق على الجهمية والمعطلة، ص 724.

5.2) -وقفة مع ابن تيمية:

لقد كان ابن تيمية علامة في العلوم الشرعية واللغوية، بل كان أوحد زمانه؛ وذلك لما تمتع به من ذكاء خارق، وفهم ثاقب يدلان على القوة العلمية التي تميز بها هذا الرجل، ويزداد الأمر روعة وجمالا عندما يتعلق الأمر بمعالجته لمسائل بطريقة متميزة، مؤيدة بالحجج البينات، والبراهين القاطعات، فهو بحق وحقيقة علم لا نظير له، وبحر لا ساحل له، وما يهمنا في هذه الوقفة أنه اشتهر على ألسنة الكثيرين أن ابن تيمية من أشد المنكرين للمجاز في زمنه، إلا أننا نجد لابن تيمية قولا آخر يثبت فيه المجاز، وأنه يمكن صرف الكلام عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه، وذلك بتوافر أربعة شروط:" أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل في المعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي مما يراد به اللفظ....

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه....

الثالث: أنه لا بد أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض.

الرابع: أن الرسول إذا تكلم بكلام، وأراد خلاف ظاهره وضد حقيقته، فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد به حقيقته وأنه أراد مجازه، سواء عينه أم لم يعينه، لاسيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح".[1] وبهذا يتبين أن ابن تيمية يقول بالمجاز، ولا يلغيه كلية إذا تحققت الشروط الآنفة الذكر، وإنما اشتد نكيره على أولئك الذين اتخذوا المجاز وسيلة لتعطيل نصوص الكتاب والسنة، لاسيما في باب الأسماء والصفات، وهذا ما حمله على إنكار المجاز في مواضع من كتبه؛ سدا لهذا الباب، وإلا فهو يقول بالمجاز المعتبر الذي دل عليه الدليل.

6.2) -الترجيح في المسألة:

والقول المختار في المسألة أن يقال: إنه لا يمكن إثبات المجاز مطلقا، ولا منعه مطلقا، بمعنى أن المجاز ثابت في كلام العرب والقرآن الكريم، إلا أنه يتعين حمل بعض آيات القرآن على الحقيقة لا المجاز؛ كآيات الصفات مثلا، والأمر نفسه يقال عن الحديث النبوي.

1-ابن تيمية، الرسالة المدنية، تح: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، د ط، ط1408/1 هـ، ص 40 . 41.

المبحث الثالث: مظاهر البحث الفيلولوجي في ظل المنهج المتبع:

يعدّ المنهج الركيزة الأساسية في شتى العلوم، فهو بمنزلة الأساس في الأمور كلها، فلا بد من إصلاح القاعدة لإصلاح البناء، فلذلك كانت حاجة العلوم إليه ملحة جدا؛ فأي خلل في المنهج المتبع يؤدي إلى اضطراب النتائج المتوصل إليها، فلذلك كانت عناية العلماء القدامى بهذا الباب عناية عظيمة، وذلك باعتماد مناهج معينة في دراساتهم.

1)-تعريف المنهج:

أ) -لغة: عرّفه ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة فقال:" النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

الأول: النّهج: الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضا والجمع: المناهج.

والآخر: الانقطاع، وأتانا فلان ينهج: إذا أتى مبهورا منقطع النفس، وضربت فلانا حتى أنهج؛ أي سقط"[1]. وبهذا يتبين أن كلمة المنهج تطلق على أصلين:

الأول: الطريق والسبيل البين الواضح.

والثاني: هو الانحباس.

ولا ريب أن الأصل الأول هو المقصود في هذا الباب، قال تعالى:﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة، الآية 48]. قال ابن كثير في تفسيره: "شرعة ومنهاجا": أي سبيلا إلى المقاصد الصحيحة، وسنة أي: طريقا ومسلكا واضحا بينا"[2]. وكفى بالقرآن حجة في بيان معنى هذا اللفظ.

ب) -اصطلاحا: اختلفت عبارات الباحثين في تعريف المنهج من الناحية الاصطلاحية. فقيل هو:" فن التنظيم لسلسلة من الأفكار العديدة؛ إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين بها"[3]. وقيل:" إنه وسيلة

1-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، طبعة 1969م، ج361/5.

2-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 626.

3-عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1977/3م، ص 3.

محددة توصل إلى غاية محددة"[1]. وقيل: "هو السبيل الفكري والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره؛ بقصد تحقيق العلم"[2]. ويظهر من هذه الأقوال إن المنهج هو ما توافر على الشروط الآتية:

. أن يكون منظما.

. أن يكون واضحا بين المعالم؛ وفق قواعد منضبطة.

. أن يوصل إلى الأهداف المرجوة من الدراسة.

وسنتطرق في هذا المقام إلى بعض المناهج التي اعتمدها العلماء القدامى في تحليلاتهم اللغوية.

1 .1) -المنهج الوصفي:

أ)-تعريفه: ذهب أنطوان مييه (A.Meillet) إلى أن المنهج الوصفي: "يعنى بدراسة الاستعمال اللغوي في عمومه، عند شخص بعينه، ومكان بعينه".[3] وبناء على هذا فإن المنهج الوصفي يتسم بجملة من المميزات، وهي كالآتي:

. اعتماد خاصية الوصف في الدراسة؛ وذلك بنعت الواقع اللّغوي كما هو، دون التدخل في مجريات التعليل والتفسير. ومن أمثلة هذا دراسة دلالة بعض الألفاظ في العصر الإسلامي ووصفها كما هي، دون التطرق إلى أسباب تغير المعاني، وذكر التعليلات وما أشبه ذلك.

. أنّ المنهج الوصفي منهج ساكن ثابت بخلاف المنهج التاريخي.

. يرتكز المنهج الوصفي على دراسة اللّغة المستعملة التي يتداولها الناس.

. دراسة اللّغة باعتبارها كيانا قائما بذاته.

. الفصل بين الجانب الاجتماعي للغة، والجانب الفردي.

. المنهج الوصفي منهج آني.

1-مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة 1994م، ص 393.

2-محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض، طبعة 1406هـ، ص 89.

3-رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1977/3م، ص 182.

. دراسة لغة معينة؛ في فترة زمانية معينة، ومكان معين.

. استبعاد المنطق الأرسطي في مجال الدراسة.

. اعتماد الاستقراء العلمي في الدراسة.

. التزام الباحث بمبدأ الموضوعية.

ب)-المنهج الوصفي عند القدامى: لم تكن الدراسات اللغوية العربية القديمة مجرد أفكار مبثوثة في بطون الكتب، بل كانت تخضع لخطة محكمة منظمة، بمعنى أنها تسير وفق منهج معين ارتضاه أولئك القوم في مجال دراستهم، والمعروف عن العرب القدامى أن المنهج اللغوي الشائع عندهم هو المنهج الوصفي، ويظهر ذلك جليا في جمع المادة اللغوية وذلك بوضع شروط تحكم هذا الباب؛ بتحديد الزمان والمكان، فلا تؤخذ اللّغة عن أهل الحضر؛ لاختلاطهم بالعجم، ولا تؤخذ إلا عن العرب الموثوقين الفصحاء، وهذا كله يوحي أنهم تعاملوا مع اللّغة باعتبارها منطوقة، وهو عين ما دعا إليه أصحاب المنهج الوصفي. وكذلك في الدرس الصوتي فلا تعدو أن تكون مباحثهم إلاّ مبنية على هذا المنهج، بوصف مخارج الحروف وصفاتها كما هو الشأن مع الخليل وسيبويه وابن جني. وفي أبواب أصول النحو عند كلامهم عن السماع والقياس والعامل وغيرها من المباحث. وكذلك عند حديثهم عن سنن العرب؛ من القلب والإبدال، والتقديم والتأخير والاشتقاق، كما هو الشأن مع ابن فارس والثعالبي، فلم يقدموا إلاّ وصفا لهذه الظواهر. وبهذا يتبين أن علماء العربية القدامى عرفوا المنهج الوصفي قبل العالم الغربي بمئات السنين.

وسنتطرق في هذا المقام إلى المنهج الوصفي عند سيبويه وقطرب؛ حتى تتضح الأمور أكثر.

-المنهج الوصفي عند سيبويه: أتحف الله الزمان بسيبويه، وذلك لما قدمه للأمة العربية من بحوث قيمة، لخصها في كتابه؛ الذي يعد مصنفا كثير الفوائد، جم الشواهد، وتزداد جمالية هذا المؤلف في عدم تأثره بالمنطق اليوناني؛ فجاء عربيا خالصا صافيا من كل شائبة تشوبه. وقد امتاز سيبويه بعبقريته الفذة، ونضج تفكيره العلمي، فكان عيالا على من جاء بعده في علم النحو، ويكفيه فخرا شهادة الأعداء له، فضلا عن الأصدقاء بإمامته في العربية. وسنقدم ضمن هذا المضمار تجليات المنهج الوصفي عند هذا العالم النّحرير.

. السماع: عرّفه السيوطي بقوله:" وأعني به: ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لابد في كل منها من الثبوت"[1]. فالسماع يتضمن ثلاثة أقسام:

. القرآن الكريم.

. الحديث النبوي على اختلاف بين العلماء في حجيته، والصحيح صحة الاحتجاج به؛ لأنه وحي محفوظ من التغيير والتبديل.

. كلام العرب المحتج بهم، ويشمل طبقة الجاهليين، وطبقة المخضرمين، وطبقة الإسلاميين.

ويعد السماع الأصل الأول من أصول النحو، قال ابن جني: "أدلة النحو ثلاثة: السماع والقياس والإجماع"[2]. وقد أدرك سيبويه مكانة السماع، وأنه اللبنة الأولى في مجال التقعيد النحوي، فلذلك اعتنى به عناية كبيرة. ونظرته الثاقبة إلى السماع أخذها عن شيوخه من أمثال الخليل وغيره.

وإن المتأمل في سماعات سيبويه في الكتاب يجدها تنقسم قسمين؛ سماعات مباشرة، وهي التي صرح فيها بسماعه من العرب مباشرة، كقوله مثلا: سمعت من العرب، ولا شك أن هذه تأتي في المرتبة الأولى لعلو سندها. وسماعات غير مباشرة، وهي التي تكون بواسطة، كقوله مثلا: حدثني الخليل أنه سمع العرب، وهذه تأتي في المرتبة الثانية.

وإذا عرجنا إلى السماعات المباشرة نجدها كثيرة في الكتاب؛ كقول سيبويه:" وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم"[3]. و"وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم"[4] و"سمعنا العرب الفصحاء"[5]

1-السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، دب، ط2006/2، ص 39.

2-المرجع نفسه، ص 21.

3-سيبويه، الكتاب، ج92/2.

4-المرجع نفسه، ج346/2.

5-المرجع السابق نفسه، ج219/1.

و"سمعت أعرابيا، وهو أبو مرهب"[1] و"مما جاء في النصب أنا سمعنا من يوثق بعربيته يقول"[2] و"سمعنا من العرب"[3] و"سمعنا من العرب"[4] و"سمعنا بعضهم"[5] و"سمعنا بعض بني تميم"[6] و"سمعت مرة عربيا يقول"[7]. وأما السماعات غير المباشرة فكقوله:" وهذه حجج سمعت من العرب، وممن يوثق به يزعم أنها سمعها من العرب"[8]. والذي يظهر من هذه الأقوال ما يلي:

. تلقي سيبويه اللّغة من أفواه العرب الأقحاح، مما يدل على اهتمامه بدراسة اللّغة المنطوقة التي عول عليها المنهج الوصفي.

. اعتماده في الدراسة على اللّغة المستعملة من قبل العرب، وهذا يعد أساسا من أسس المنهج الوصفي الذي يركز على اللّغة المستعملة.

. اعتماده على خاصية الوصف دون اللجوء إلى التعليلات.

. نظرته إلى اللّغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وذلك يتجلى في سماعاته، كقوله سمعنا من العرب.

. اشتراطه الفصاحة والثقة؛ فلا تؤخذ اللّغة إلا عن العرب الفصحاء، الموثوق بعربيتهم، ولا ريب أن هذا الأمر من مقومات المنهج الوصفي الذي يعوّل على المتكلم الأصلي للغة في الدراسة.

. ابتعاد سيبويه عن المنطق الأرسطي في دراسة اللّغة، وهذا من مبادئ المنهج الوصفي.

. قوله: سمعنا من العرب. يدل على وحدة الزمان والمكان؛ لأنه يقصد الزمن الذي عاشت فيه العرب.

1- سيبويه، الكتاب، ج328/1.
2-المرجع السابق نفسه، ج155/1.
3-المرجع السابق نفسه، ج243/1.
4-المرجع السابق نفسه، ج248/3.
5-المرجع السابق نفسه، ج650/3.
6-المرجع السابق نفسه، ج328/1.
7-المرجع السابق نفسه، ج413/2.
8-المرجع السابق نفسه، ج355/1.

. الدراسة الصوتية عند سيبويه: لقد كان للجانب الصوتي مكانة سامية بين علوم العربية عند القدامى؛ وذلك لما له من أثر كبير في الاهتداء إلى النطق الصحيح للقرآن الكريم وقد كان لعلماء العربية قصب السبق في هذا المجال قبل علماء التجويد، فحازوا فضل الاهتمام بالقرآن الكريم قبل غيرهم، وإن المتطلع في ثنايا كتاب سيبويه ليجد معالم الدراسة الصوتية حاضرة، وذلك بحديثه عن تقسيم الحروف إلى أصول وفروع، وكلامه عن مخارج الحروف وصفاتها وغيرها من المباحث. وبالتالي فإن سيبويه أدرك في فترة مبكرة جدا أهمية الصوت في مستويات الدراسة بل "كان على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدمة لا بد منها لدراسة اللّغة"[1]. وسنذكر في هذا المقام تجليات المنهج الوصفي في الدراسة الصوتية عند سيبويه.

قال سيبويه: " فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا.....وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف من فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها، وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار....وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر"[2]. فقد قسم سيبويه الأصوات إلى أصول وفروع، ومردّ هذا أن بعض الأصوات يختلف نطقها أثناء الأداء، ولكن ينظر إليها على أنها صوت واحد مثل صوت النون وأنواعه الفرعية الصوتية المختلفة كقوله تعالى: ﴿مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان، الآية 23] فالنون هنا أسنانية أنفية، وقوله تعالى:" منقلبون" فالنون هنا لهوية أنفية وغيرها من الأمثلة، فنلاحظ أن النون أخذت أشكالا صوتية متنوعة، لكن ننظر إليها في الحالتين بأنها صوت النون.

ومن المباحث التي تناولها سيبويه مبحث مخارج الحروف فقال:" والحروف العربية ستة عشر مخرجا"[3]. ثم ذكرها بالتفصيل وهذا كله نابع من إدراكه لأهمية هذا الباب وأنه لبّ اللّباب في نطق حروف العربية نطقا صحيحا سليما، وقد وافقه من جاء بعده على أهمية

1-تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة 1973م، ص 50.
2-سيبويه، الكتاب، ج4/ 341، 342.
3-المرجع نفسه، ج4/ 433.

دراسة مخارج الحروف. قال أبو عمرو الدّاني (ت 444ه): " اعلموا أن قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها، التي بها ينفصل بعضها من بعض، وإن اشترك في المخرج"[1]. وعليه فإن مبحث مخارج الحروف وصفاتها مبحث رفيع القدر، عظيم الشأن.

وكذلك من الأمور التي عرج عليها سيبويه مبحث الصفات؛ فقد ذهب إلى أنها سبع عشرة صفة، حيث ذكر في باب مخارج الحروف وأحوالها اثنتي عشرة صفة وهي المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة، وبين الشديدة والرخوة، والمنحرف، والغنة، والمكرر، واللينة، والهاوي والمطبقة والمنفتحة[2]. وذكر في مواضع متفرقة خمس صفات وهي: الصفير[3]، والقلقلة[4] والمستعلية[5]، والاستطالة[6]، والتفشي[7]. ويمكن تصنيفها إلى صفات متضادة وغير متضادة.

وبناء على هذه النقولات نلاحظ ما يلي:

. اعتماده على الملاحظة في بيان مخارج الحروف.

. إدراكه أهمية اللّغة المنطوقة، ويتجلى ذلك في دراسته مخارج الحروف وصفاتها.

. اعتماده على خاصية الوصف، ويظهر ذلك في وصفه أصول الحروف وفروعها.

. التصنيف: يعد التصنيف عاملا من عوامل المنهج الوصفي، بل هو من أكبر الركائز في البحث اللغوي، قال نور زاد حسن أحمد: " تدخل العملية التصنيفية ضمن المنهج الوصفي في البحث اللغوي...والتصنيف وسيلة منهجية للتعامل مع الظواهر؛ بغية معالجتها في فئات ولم يكن كتاب سيبويه بعيدا عن هذا الأساس المنهجي في وصف اللّغة"[8]. وقد تجلى عمله التصنيفي في تقسيمه الأصوات إلى أصول وفروع، ثم اهتدى به الأمر إلى أنّ تصنيفها على هذا

1-أبو عمرو الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري، دار عمار، عمان، طبعة 1999م، ص 102.

2-سيبويه، الكتاب، ج4/ 434 . 436.

3-المرجع نفسه، ج 4/ 464.

4-المرجع السابق نفسه، ج 4/ 174.

5-المرجع السابق نفسه، ج 4/ 129.

6-المرجع السابق نفسه، ج 4/ 446.

7-المرجع السابق نفسه، ج 4/ 448.

8-نور زاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط1/ 1996م، ص 60-61.

الشكل غير كاف لمعرفة خصائص الصوت اللغوي ومكوناته، فاتجه إلى تصنيف آخر يكون أكثر دقة، وهو تصنيفها بحسب المخارج والصفات.

. المصطلحات اللغوية: كما هو معلوم أنّ لكل علم مصطلحاته الخاصة به، فكان حريا بكل باحث أن يولي اهتماما كبيرا بهذا الباب؛ فمعرفة المصطلحات هي المفتاح للولوج في أي علم من العلوم. "والمصطلح العلمي هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية؛ فالتصعيد مصطلح كيميائي، والهيولى مصطلح فلسفي، والجراحة مصطلح طبي، والتطعيم مصطلح زراعي وهكذا....والمصطلحات لا توضع ارتجالا، ولابدّ في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي، ومدلوله الاصطلاحي".[1] ولم يكن سيبويه ببعيد عن هذا الأمر في منهجه الوصفي، فقد كثرت في كتابه المصطلحات الصوتية والصرفية والنحوية وغيرها؛ لأنّ مصنفه يعدّ موسوعة لغوية يغترف منها كل باحث في اللّغة العربية. ومن تلك المصطلحات التي استعملها: المجهورة والمهموسة والشديدة، والرخوة، والمنحرف، وحرف الغنّة، والإدغام، والمخرج، وغيرها من المصطلحات.

. المستوى النّحوي: يعد كتاب سيبويه أهم كتاب في النحو على الإطلاق، ويدل على هذا اهتمام العلماء به على كثرتهم؛ وكان من أولئك الأخفش الأوسط، وأبو عمر الجرمي (ت 225 ه)، وأبو عثمان المازني (ت 249 ه)، وأبو العباس المبرد (ت 285 ه) وغيرهم، فقد كانت لهؤلاء القوم حواش على الكتاب، تفك غوامضه، وتبسط معانيه، وتوضح عباراته، فجاءت حلّة قشيبة تدل على المطلوب.

وإذا عرّجنا على المستوى النحوي في كتاب سيبويه فإننا نجد معالم المنهج الوصفي حاضرة في الكتاب، وقد اختصرناها في النقاط الآتية:

. اعتماده على السماع في التقعيد النحوي.

1-مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، د. ط، د.ت، ص 3- 4.

. التصنيف: ويتجلى في قوله:" فالكلم: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"[1] فقد قسّم سيبويه الكلام العربي إلى ثلاثة أقسام. وقال في موضع آخر: " هذا مجاري أواخر الكلم من العربية، وهي تجري على ثمانية مجار: على النّصب والجرّ والرّفع والجزم، والفتح والضمّ والكسر والوقف."[2] فقد قسّم سيبويه الإعراب إلى أربعة أنواع، والبناء إلى أربعة أنواع؛ وهي: الفتح، والضمّ، والكسر، والسكون.

. المصطلحات النحوية: لقد كان كتاب سيبويه موسوعة نحوية، فلذلك شحنه بجملة من المصطلحات بناء على ما تلقاه من أفواه مشايخه المبرزين في علم النحو، فلذلك جاءت المصطلحات في التأسيس النحوي عند القدامى مختلفة بعض الشيء عمّا سطره المتأخرون. وسنضرب لهذا بعض الأمثلة. قال سيبويه: "هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده... وكذلك هذه الحروف منزلها من الأفعال، وهي: إنّ، ولكنّ، وليت ولعلّ، وكأنّ"[3] وقد عرّف هذا الباب عند المتأخرين بإنّ وأخواتها.

ومن المصطلحات أيضا المصدر، فقد أطلق عليه سيبويه عدّة تسميات وهي: أحداث الأسماء[4]، واسم الحدثان[5]، والمحدّث به عن الأسماء[6]، والمصدر[7].

- العطف: ورد بعدة تسميات منها: العطف[8]، والاشتراك[9] والإشراك[10].

1-سيبويه، الكتاب، ج1/ 12.
2-المرجع نفسه، ج1/ 13.
3-المرجع السابق نفسه، ج2/ 131.
4-المرجع السابق نفسه، ج1/ 12.
5-المرجع السابق نفسه، ج1/ 34.
6-المرجع السابق نفسه، ج1/ 34.
7-المرجع السابق نفسه، ج1/ 124.
8-المرجع السابق نفسه، ج1/ 90.
9-المرجع السابق نفسه، ج1/ 60.
10-المرجع السابق نفسه، ج1/ 107.

- الخبر: أطلق عليه سيبويه: الخبر[1]، والمسند[2]، والمبني على المبتدأ[3]، والمستقر[4].
- المفعول المطلق: أطلق عليه سيبويه عدة تسميات منها: المصدر[5]، والتوكيد[6] والمصادر التي عملت فيها أفعالها[7].
- الفعل المضارع: عبر عليه سيبويه بالمضارع[8]، وما هو كائن لم ينقطع[9]، وما لم يمض[10].

وعليه فدراسة المصطلحات في كتاب سيبويه مهمة جدا لكل من أراد أن يدرس هذا المصنف؛ لأنه ليس من السّهل الوقوف على المعنى الذي أرده مؤلفه إلا بضبط مصطلحاته والاطلاع على شروح الكتاب وحواشيه، والدراسات التي اعتنت بهذا المصنف.

. الاستقراء: يعد الاستقراء وسيلة من الوسائل التي استخدمها النحاة القدامى في استنباط القواعد والقوانين النحوية. وهو في جوهره ينبني على تتبع كلام العرب من مصادره الأصيلة. ولمكانته العظيمة عند النحاة الأوائل فإننا نجدهم ينصّون عليه في تعريف النحو. قال ابن السراج (ت 316 ه) في تعريف النحو:" وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب[11]. وقال أبو علي الفارسي (ت 377ه):"النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب"[12]. وهذا كله يدل على أن الاستقراء من الأدلة التي عول عليها القدامى في التقعيد النحوي.

1-ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1/ 45.
2-ينظر: المرجع نفسه، ج1/ 23.
3 -ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1/ 88.
4-ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1/ 55.
5-ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1/ 228.
6-ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1/ 229.
7-ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1/ 230.
8-ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1/ 14.
9-ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1/ 12.
10-ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1/ 35.
11-ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4/ 2015م، ج1/ 35.
12-أبو علي الفارسي، التكملة، دتح، جامعة الرياض، الرياض، طبعة 2009م، ص 3.

وقد حدّه الجرجاني في التعريفات فقال: "الاستقراء هو الحكم على كلي بوجوده في أكثر جزيئاته، وإنما قال في أكثر جزيئاته؛ لأن الحكم لو كان في جميع جزيئاته لم يكن استقراء، بل قياسا مقسما"[1]. وعليه فإن الاستقراء هو تتبع وتصفح معظم الجزيئات للوصول إلى قواعد كلية تضبطها. "وكتاب سيبويه يدل على اتخاذ علمائنا الأوائل الاستقراء منهجا في محاولة الكشف عن أصول اللّغة، فأقام بحثه على تجميع ملاحظات عن الجزئيات، ثم استخلاص قاعدة كلية. وهذه الخصيصة تنسجم مع الاستقراء العلمي بشكل عام"[2]. ويمكن أن نلمس الاستقراء في مواضع من كتاب سيبويه؛ ومن أمثلة هذا تقسيمه الكلم إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى كما مر سابقا، وتقسيمه الإعراب إلى أربعة أنواع، والبناء إلى أربعة أنواع كما مرّ أيضا، فإن هذا كله مبني على هذه الحقيقة المنهجية، وكذلك قوله:" ليس في كلام العرب اسم آخره واو وقبلها حرف مفتوح"[3]. وقوله: "ليس في الكلام حرف آخره ياء ما قبله مفتوح"[4]. وقوله: "ليس في الكلام فعُلَ"[5] وقوله: "ليس في الكلام حرف تتوالى فيه أربع حركات"[6]. وهذه الأقوال كلها مبنية على تتبع وتصفح كلام العرب؛ ليخرج لنا سيبويه بهذه الأحكام الدقيقة.

. القياس: يعد القياس من الأسس التي يعتمدها المنهج الوصفي في الدراسات اللغوية. وقد أشار السيوطي في الاقتراح إلى حدّه فقال: "قال ابن الأنباري في جدله: هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه انتهى. قال: وهو معظم أدلة النحو، والمعول عليه في غالب مسائله. كما قيل: إنما النحو قياس يتبع، ولهذا قيل في حدّه: إنه علم بمقاييس مستنبطة من كلام العرب".[7] فالقياس هو حمل غير المسموع على المسموع في حكم لعلة جامعه بينهما، أو بعبارة أخرى: هو إلحاق فرع بأصل في حكم لعلة جامعة بينهما، وأركانه أربعة:

1-الجرجاني، التعريفات، ص 20.

2-نوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص 56.

3-سيبويه، الكتاب، ج3/ 260.

4-المرجع نفسه، ج3/ 363.

5-المرجع السابق نفسه، ج3/ 244.

6-المرجع السابق نفسه، ج3/ 289.

7-السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص 79.

الفرع: وهو المقيس.

والأصل: وهو المقيس عليه.

والحكم: وهو ما اقتضاه الدليل والشاهد النحوي.

والعلة: وهي التي يثبت بسببها حكم الأصل.

"واهتمام سيبويه بالقياس لا يحتاج إلى شرح أو إيضاح، وكتابه خير دليل على ذلك؛ لاعتماده على القياس في جميع أبواب الكتاب النحوية، أو الصرفية، أو اللغوية، أو في مسائل التمرين والرياضة. فالقياس على كلام العرب منظومه ومنثوره في بناء القواعد لا يخلو منه باب من الأبواب"[1]. وقد امتاز القياس في كتاب سيبويه بأنه قياس طبيعي فطري، بمعنى أنه كان بعيدا عن المنطق والفكر اليوناني، وهذا بطبيعة الحال راجع إلى منهجه العقدي، وتتلمذه على أئمة العربية من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس بن حبيب، والبيئة الصافية التي عاش فيها سيبويه، والتي لم تعرف من الثقافات إلاّ الثقافة العربية سبيلا لها.

ومما قرره سيبويه عن القياس ما جاء في قوله: "وممّا جرى نعتا على غير وجه الكلام: هذا جحر ضبّ خربٍ، فالوجه الرّفع وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم، وهو القياس"[2]. فالقياس يقتضي أن تكون العبارة: هذا جحر ضبّ خربٌ؛ برفع خرب؛ لأنها صفة للجحر، وإنما أتت مجرورة لمجاورتها كلمة ضبّ. ويشهد لهذا أيضا ما ورد في معلقة امرئ القيس حيث قال:

كَـأَنَّ ثَبِيـرًا فِـي عَـرَانِينِ وَبْلِـهِ كَبِيـرُ أُنَـاسٍ فِي بِجَـادٍ مُزَمَّـلِ"[3]

قال الزوزني:"وجرّ مزملا على جوار بجاد، وإلا فالقياس يقتضي رفعه؛ لأنه وصف كبير أناس، ومثله ما حكي عن العرب من قولهم: جحر ضبّ خرب، جرّ خرب بمجاورة ضب، وإلا فالقياس يقتضي رفعه، لأنه وصف لجحر ضب"[4]. وهذا الذي قررناه يكون مقصورا على ما

1-خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ط1974/1م، ص 248، 249.

2-سيبويه، الكتاب، ج1/ 436.

3-أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص 69.

4-الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 51.

سمع فقط، فلا يتخذ قاعدة مطردة؛ لأنه خروج عن مقاييس العرب في كلامها.

ومن أمثلة القياس أيضا ما عبّر عنه سيبويه بقوله:" فإن سمّيت المؤنث بعمرو أو زيد لم يجز الصّرف، هذا قول ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو، وفيما حدّثنا يونس، وهو القياس؛ لأن المؤنث أشد ملاءمة للمؤنث، والأصل عندهم أن يسمى المؤنث بالمؤنث كما أنّ أصل تسمية المذكر بالمذكر، وكان عيسى يصرف امرأة اسمها عمرو؛ لأنه أخف الأبنية"[1]. وبناء على هذا القول فإن تسمية المؤنث بالمؤنث هو الأصل، وتسمية المذكر بالمؤنث فرع عن هذا الأصل فأعطي حكمه؛ فيكون ممنوعا من الصرف للعلمية والتأنيث، وهذا هو الذي يقتضيه القياس عند ابن أبي إسحاق الحضرمي، وأبي عمرو بن العلاء، وأما عيسى بن عمر (ت149ه) فحجته أنّ التأنيث ثقيل، وعمرو ساكن الوسط خفيف، فوازن بين الخفة والثقل فلذلك صرفه. وضرب الأمثلة في هذا الباب يطول، وفي الذي ذكرناه كفاية.

واعتمادا على ما سبق فإن سيبويه يعتمد في القياس على شرطين أساسيين؛ وهما كثرة الاستعمال والفصاحة.

-المنهج الوصفي عند قطرب: كان قطرب شاعرا، متمكنا من اللّغة والنحو، معتزليا، وقد تتلمذ على سيبويه وغيره من فحول العربية في ذلك الزّمان، فلا ريب أن يغترف من ذلك المعين الصافي، ويسير على نهجهم، إلاّ أنّه خالفهم في بعض تقريراته؛ لنحلته الاعتزالية، ويعدّ قطرب أوّل من ألّف المثلث. وقد أطلق عليه سيبويه لقب قطرب؛ لأنه كان يبكر إليه قبل حضور التلاميذ قال عنه اليغموري (ت 673 ه): "أحد من اختلف إلى سيبويه وتعلم منه، ولم يقرأ كتابه عليه، وكان يدلج إليه، وإذا خرج رآه على بابه غدوة وعشية فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل فلقب به...وقال ثعلب: القطرب دويبة كثيرة الحركة، وهو الصّرار"[2] وهذا كله يدل على شدة حرصه على طلب العلم والجدّ فيه. وسنتطرق في هذا المقام إلى بعض معالم المنهج الوصفي في كتابه معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، وهي كالآتي:

1-سيبويه، الكتاب، ج3/ 242.

2-اليغموري، نور القبس المختصر من المقتبس، تح: رودلف زلهايم، دار فرانش شتاينر، قيشبادن، طبعة 1964، ص 147.

. السّماع: إنّ المتأمّل في كتابه المذكور ليجد أنّ مصنفه أعطى للسّماع مكانة مركزية؛ وذلك لإدراكه أنّ اللّغة لا تؤخذ إلا من أفواه العرب الأقحاح الفصحاء. فالسّماع هو السبيل الأول الذي تؤسس عليه الدراسات الصوتية، والنّحوية، والصرفية وغيرها من الدراسات. وإنّ المقتفي لآثار قطرب ليلمس أنّه دقيق العبارة في تحديد طريقة السّماع؛ سواء عن طريق مباشرة العرب، أو غير ذلك من أنواع السماعات. قال قطرب: "وحكى لنا من نثق به معمر التيمي: أن بعض العرب يقول . وسمعنا ذلك في الوقف بغير ألف"[1] وقال في موضع آخر: "وإذا وقفت على: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾ [سورة النجم، الآية 19] فإنّا سمعنا الثقة يقف على تيم اللّات بالتاء"[2]. وقال أيضا: "وسمعت العرب"[3]. وهذا كله يدل على أنّ قطربا يشترط أنّ اللّغة لا تؤخذ إلا من أهل الثقة والأمانة، وهو عين ما دعا إليه أستاذه سيبويه وغيره من فطاحلة العربية.

"وممّا يضفي على منهجه صفة الوصفية أخذه اللّغة العربية من عربي واحد...وهو الذي يعرف في المنهج الوصفي الحديث بالراوي، أو مساعد البحث؛ كونه الممثل الحقيقي للغة"[4]. ويظهر ذلك في قوله :"وقال أعرابي من أهل العالية"[5]، "وقالت امرأة من فقعس"[6]، وقال آخر: سمعناه ممن يوثق به لرجل من طيئ"[7]، "وقال أعرابي"[8]. وهذا يدل على شدة تحريه لضبط العبارة أثناء نقله لأقوال العرب.

وقد يصرح في بعض الأحايين باسم القبيلة المسموع منها كما في قوله" وقال بعض أهل

1-محمد بن المستنير قطرب، معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، تح محمد لقرير، جامعة باتنة، 2015- 2016، ص 201.

2-المرجع نفسه، ص 208.

3-المرجع السابق نفسه، ص 289.

4-نوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص 39.

5-قطرب، معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، ص 215.

6 -المرجع نفسه، ص 215.

7-المرجع السابق نفسه، ص 217.

8-المرجع السابق نفسه، ص 314.

الحجاز"[1]، "وتميم وبعض ربيعة يقولون"[2]، "وبعض فزارة وبعض أهل اليمن يقول"[3]. وقال الرّاجز من بني سعد"[4]، "وحكي عن بعض بني كلاب"[5]. وبناء على ما سبق ذكره فإن قطربا اتجه في دراسته إلى اللّغة المستعملة المنطوقة، مراعيا في ذلك شرطي الفصاحة والثقة، ووحدة الزّمان والمكان، ولا شك أنّ هذا من آليات المنهج الوصفي.

. المصطلحات اللغوية: لقد وظّف قطرب مجموعة من المصطلحات الصّوتية والنحوية والّصرفية بين دفّتي كتابه، وكان من جملة ذلك ما يلي:

. الإشمام: وقد بيّنه بقوله: "فأما الإشمام ففي الرّفع خاصة، وذلك قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة، الآية 05] و﴿هَٰذَا فَوْجٌ ۝٥٩﴾ [سورة ص، الآية59] و﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٣﴾ [سورة البقرة، الآية173] تلفظ بالحرف ثم تضم شفتيك عند انقضاء الحرف ليس إلا"[6]. فلم يقدم لنا المصنف إلا وصفا لصورة الإشمام الصحيحة التي يخطئ الكثيرون في نطقها، وهذه المسألة معروفة عند علماء التجويد خاصة، وهي مدوّنة في مؤلفاتهم ومصنّفاتهم.

. الوقف: قال قطرب: "فالوقف على خمسة أوجه: على الإسكان، والإشمام، وروم الحركة، والإتباع، والتثقيل".[7] فهذا تقسيم لكيفية الوقف، ولا ريب أن التقسيم والتصنيف من أهم ميزات المنهج الوصفي.

. الإمالة: وقد تحدث عن الإمالة في القرآن الكريم فقال: "وإذا كانت الألف لام الفعل، والاسم على ثلاثة أحرف؛ فالإمالة فيه كثيرة من الياء كقولك: حصى ورحى، وكقول الله عزّ

1-قطرب، معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، ص 222.

2-المرجع نفسه، ص 291.

3-المرجع السابق نفسه، ص 302.

4 -المرجع السابق نفسه، ص 311.

5-المرجع السابق نفسه، ص 540.

6-المرجع السابق نفسه، ص 196.

7-المرجع السابق نفسه، ص 196.

وجلّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [سورة النجم، الآية03][1]. وتتعلق هذه المسألة بالجانب الصوتي وهي معلومة عند علماء التجويد، وخير من أشار إلى كيفيتها عمليا هم كبار القرّاء.

. الإدغام: وقد أشار إليه في قوله: "إذا اجتمع حرفان مثلان جاز فيهما الإدغام، إذا كان ما قبل الأول منهما متحركا، فلذلك أحسن ما يكون، كقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ ۝١٠﴾ [سورة الفرقان، الآية 10][2]. ولعل مقصود قطرب من هذا هو التقاء حرف متحرك بحرف متحرك آخر؛ بحيث يصيران حرفا مشددا، وهو ما يعرف عند القرّاء بالإدغام الكبير.

2 . 1) -المنهج المقارن:

لا نفهم من مصطلح المقارنة إلا ذكر أوجه التشابه والاختلاف، ولكن مدلول هذه الكلمة عند العرب على خلاف ذلك.

قال طرفة بن العبد:

عَن المَرْء لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرينه فَكُــلُّ قَــرين بالمُقَــارَن يَقْتَــدي.[3]

وقال الخليل: "والقرين: صاحبك الذي يقارنك"[4].

وقال ابن منظور:" قارن الشيءُ الشيءَ مقارنة وقرانا: اقترن به وصاحبه، واقترن الشيء بغيره، وقارنته قرانا صاحبته"[5].

وقال الفيروز آبادي: "والقرين: المقارن، كالقرانى، كحبارى ج: قرناء، والمصاحب والشيطان المقرون بالإنسان لا يفارقه"[6]. وبناء على هذه النقولات يتبين أنّ المقارن في لغة

1-قطرب، معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، ص 402.

2-المرجع نفسه، ص 234.

3 طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 2002م، ص 32.

4-الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2003/1م، (قرن)، ج3/ 384.

5-ابن منظور، لسان العرب، (قرن)، ص 3611.

6-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (قرن)، ص 1224.

العرب هو المصاحب.

لقد ذاع وانتشر هذا المصطلح بكثرة، فأصبحنا نعرف الفكر المقارن، والأدب المقارن وعلم اللّغة المقارن والتشريع المقارن، وعليه فالأولى أن نستعمل لفظ الموازن، كما هو الشأن مع الثعالبي في فقه اللّغة وسرّ العربية[1]. استعمل كلمة الموازنة، والآمدي في كتابه الموازنة بين أبي تمام والبحتري.

أ)-تعريفه: عرّفه محمد محمد داود بقوله: "يقوم المنهج المقارن على المقارنة بين لغتين أو أكثر، بشرط انتماء هاتين اللغتين أو تلك اللّغات إلى أسر لغوية واحدة؛ لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف، وتحديد صلات القرابة بين هذه اللّغات موضع المقارنة"[2]. ومن هنا يتضح ما يلي:

. المنهج المقارن متضمن في المنهج التاريخي.

. المنهج المقارن منهج متحرك.

. يهدف المنهج المقارن إلى إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الظواهر المنوطة بالدّراسة.

. يقوم المنهج المقارن بتصنيف اللّغات الإنسانية إلى فصائل؛ كالفصيلة الهندية الأوروبية، والفصيلة السامية الحامية.

. تتم الموازنة بين اللّغات ذات الصلة والقرابة؛ كالموازنة بين الفرنسية، والإسبانية والبرتغالية التي تنحدر من اللّغة اللاتينية، أو الموازنة بين العربية والعبرية.

. الاهتمام بالجوانب الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية والدلالية أثناء الموازنة.

ب) -المنهج المقارن عند القدامى: لم تكن الحضارة العربية بمعزل عن الحضارات الأخرى من الأمم المجاورة وغيرها، بل كان بينها تأثير وتأثر، فلا ريب أن تقتبس الأمة العربية من الحضارة اليونانية، والفارسية، وغيرهما في شتّى المجالات، لاسيما المجال اللّغوي، ولا يتم هذا إلا بالاطلاع على اللّغات الأخرى. وإذا رجعنا إلى الماضي السحيق فإننا نجد أن بعض علماء العربية وغيرهم كانوا على دراية ببعض اللّغات الأجنبية كالسريانية، واليونانية، والعبرية، والحبشية

1-ينظر: الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، ص 354.

2-محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، طبعة 2001م، ص 99.

وغيرها، وسنسرد في هذا المقام بعض العلماء القدامى الذين كانوا على اطلاع باللّغات الأخرى ومن كانت لهم موازنات في هذا المجال:

. الخليل بن أحمد الفراهيدي: قال في العين:" وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية"[1]. أي تشابه العربية.

. سيبويه: قال في الكتاب:" هذا باب ما أعرب من الأعجمية: اعلم أنهم ممّا يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه .

فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم... وبهرج.... ودينار.... وديباج.

وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أم لم يكن نحو: خراسان، وخرم، والكركم"[2]. وهذا يدل على أن سيبويه كان على علم باللّغة الفارسية وكيف لا يكون ذلك كذلك، وهو فارسي الأصل.

. إسحاق بن حنين (ت 298هـ): عرف إسحاق بن حنين بإتقانه للغة السريانية، ففي مجال الطب مثلا نجد له كتبا، وهي كالآتي[3]:

. اختصار كتاب الأدوية المفردة لجالينوس.

. جوامع كتاب جالينوس في تشريح العين.

. جوامع كتاب أبقراط في جراحات الرأس.

. جوامع كتاب قطيطريون لأبقراط.

-جوامع كتاب قوى الأغذية لجالينوس.

. شرح تفسير جالينوس لكتاب عهد أبقراط.

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج232/1.

2-سيبويه، الكتاب، ج304/4.

3-ينظر: محمد الديبان، حنين بن إسحاق دراسة تاريخية ولغوية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، طبعة 1993، ص 143.

. شرح كتاب الغذاء لأبقراط.

. شرح كتاب الهواء والماء والمساكن لأبقراط.

وفي مجال اللّغة نجد[1]:

. كتاب أحكام الإعراب على مذاهب اليونانيين.

. رسالة عن المترادفات بالسريانية.

- معجم سرياني.

-كتاب النقط النحو السرياني.

فهذه الأعمال العلمية تثبت أن إسحاق بن حنين كان متقنا لبعض اللّغات الأجنبية وممّا يؤكد هذا الأمر تلك الكتب اليونانية التي ترجمها إلى العربية وخاصة كتب جالينوس في مجال الطب، وإذا أردنا أن ندقق في الأمر فإننا نجده قد قام بترجمة كتب عديدة إلى العربية والسريانية في شتى الميادين من الطب، والفلسفة، والأخلاق، والمنطق والطبيعة والبيليوجرافيا. وبنظرة إحصائية؛ فإن هذه الأعمال الترجمية زادت على مائة وستين كتابا.

. قسطا بن لوقا البعلبكي (ت 300ه): قال عنه هاشم الطعان: " كان جيد النقل فصيحا باللسان اليوناني، والسرياني، والعربي"[2]. وله ترجمات عديدة لكتب كثيرة؛ منها أصول الهندسة لأفلاطون، وكتاب الأصول لإقليدس.

. ابن دريد (ت 321 ه): قال هاشم الطعان: "محمد بن الحسن الأزدي (ت 321 . 933م) اللغوي صاحب كتاب جمهرة اللّغة الذي فيه كثير من الإشارات إلى لغات سامية (يمنية، سريانية)، وله مقارنات صحيحة بين السريانية والعربية، وآراء عن العلاقات بين هذه اللّغات"[3]. وقد ذكر ابن دريد أيضا في كتابه الجمهرة بعض الألفاظ الفارسية المعربة.

1-ينظر: محمد الديبان، حنين بن إسحاق دراسة تاريخية ولغوية، ص 177-178.

2-هاشم الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، دط، دت، ص 24.

3-المرجع نفسه، ص 18.

. ابن النديم (ت 378هـ): ورد في كتاب مساهمة العرب في دراسة اللّغات السامية ما نصه: "وانتبه إلى تشابه القلمين الحبشي والحميري، وأورد مثال الحروف الحبشية"[1]. وقد اشتهر ابن النديم بكتابه الفهرست.

. الثعالبي: خصص الثعالبي في فقه اللّغة بابا للموازنة بين العربية والفارسية فقال:" الباب التاسع والعشرون فيما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية"[2]. وقد قسم هذا الباب إلى خمسة فصول..

. ابن حزم: قال في كتابه الإحكام: "الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرية، والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها"[3]. ففي هذا القول يشير ابن حزم إلى طبيعة القرابة بين العبرية، والعربية، والسريانية التي تنتمي إلى فصيلة واحدة.

. الجواليقي: له كتاب المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، فقد ذكر فيه جملة من الألفاظ الدخيلة على اللّغة العربية، ولابن بري (ت 449هـ) حاشية على مصنف الجواليقي؛ فيها إضافات قيمة، وتعقيبات لطيفة.

. ابن الجوزي: له كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن؛ وقد أورد في باب ذكر اللّغات في القرآن بعض الألفاظ الفارسية، والعبرانية، والحبشية، وما يقابلها في العربية.

. أبو حيان الأندلسي: ورد في كتاب مساهمة العرب في دراسة اللّغات السامية عن أبي حيان ما يلي: "له نور الغبش في لسان الحبش" المفقود، وقد عثرت على نص منه؛ فيه معلومات لغوية صحيحة في جملتها، ومقارنات بين الحبشية والعربية أكثر صحة، وله رأي عن العلاقات بين لغات العالم عامة، وكون اللّغات السامية تشكل مجموعة خاصة بين لغات العالم"[4]. وورد في فقه اللّغة لمحمد الحمد ما نصه: "فأبو حيان الأندلسي ألّف في نحو الحبشية

1-هاشم الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، ص 21.

2-الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص 354.

3-ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 31.

4-هاشم الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، ص 22-23.

والتركية"[1]. فأبو حيان من جهابذة النحويين الذين تميزوا بسعة الاطلاع، وجودة التصنيف ولكن تأثرت الحضارة العربية بضياع بعض مؤلفاته القيمة، لاسيما في مجال الموازنة بين العربية وغيرها من اللّغات.

. ابن تيمية: وقد سبقت الإشارة إليه في المبحث الأول، وأنه من الذين أدركوا وجه القرابة بين العربية والعبرية، وأنه كان يفهم بعض الكلام العبري بمجرد معرفته بالعربية.

. الزركشي: أورد في كتابه البرهان بابا أسماه معرفة ما فيه من غير لغة العرب[2]؛ أي ما ورد في القرآن الكريم من الألفاظ السريانية، والعبرانية، والرومية وغيرها.

. السيوطي: له كتاب المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب؛ فقد ذكر فيه جملة من الألفاظ الأعجمية.

كما لا ننسى أن نعرّج على علماء اليهود الذين عاشوا في كنف الحضارة العربية فاهتدوا بهديها، فاقتبسوا من نورها في مجال الدراسات اللغوية، وذلك راجع إلى دراستهم على أيدي اللغويين العرب؛ ففي بغداد ظهر سعديا بن يوسف الفيومي (ت 945 ه). قال عنه حسن ظاظا :"بل كان يفسّر الألفاظ العبرية المشكلة في التوراة بما يقاربها في اللفظ العربي وقد ترجم الكتاب المقدس اليهودي (التوراة، الأنبياء، كتب الحكمة) إلى اللّغة العربية، فكان يختار أقرب الألفاظ العربية من نطق اللفظة العبرية، كلما أمكنه ذلك"[3]. وفي الأندلس ظهر مروان بن جناح القرطبي المتوفى في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وقد اكتشف: "الصلة المتينة من حيث الأصل بين عدد لا بأس به من اللّغات السامية، وفي مقدمتها العبرية والعربية، ويؤلف باللّغة العربية كتابا في النحو العبري اسمه اللمع"[4]. وقد عقد في الكتاب المذكور موازنة بين اللسانين العربي والعبري. وفي المغرب نجد اليهودي يهودا بن قريش الذي ألّف رسالة أرسلها إلى الجالية اليهودية بفاس، وقد شرح "في هذه الرسالة الروابط اللغوية

1-محمد الحمد، فقه اللغة، ص 75.

2-الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 202.

3-حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار القلم، بيروت، ط2 /1990م، ص 146- 147.

4-المرجع نفسه، ص 147.

المتينة التي تربط العبرية بكل من الآرامية والعربية، ثم يميل إلى الفارسية فيثبت أنها قد أثرت في العبرية ببعض الألفاظ الدخيلة. كما أثرت فيها لغة البربر في إفريقية"[1]. وكذلك نجد أبا سلمان بن إبراهيم الفاسي "الذي ألّف معجما ضخما للّغة العبرية يقع في مجلدين كبيرين وجعل شرحه للألفاظ بالعربية، ونصّ في أكثر من موضع على التقارب والتشابه بين اللّغتين"[2]. وهناك علماء يهود آخرون كانت لهم إسهامات في هذا المجال، وممّن تأثّروا بالمناهج العربية في دراستهم. وفي الذي ذكرناه كفاية.

بناء على ما سبق يتبين ما يلي :

. إنّ الذين اهتدوا إلى القرابة بين اللّغات السّامية هم علماء العربية، وعلماء اليهود الذين عاشوا في ظل الحضارة العربية. يقول جان بيرو: "بينما كانت القرابة بين اللّغات السامية معترفا بها منذ وقت مبكر من النحاة اليهود والعرب الذين كانوا يعيشون في جهات مختلفة من العالم العربي"[3]. ولعل هذا القول يعد إنصافا منه للفكر اللغوي العربي.

. إنّ الحضارة العربية عرفت المنهج المقارن عن طريق بعض علمائها كما هو الشأن مع أبي حيان في كتابه نور الغبش، والثعالبي في فقه اللّغة في الباب التاسع والعشرين، والجواليقي في المعرّب، وكذلك عن طريق علماء اليهود الذين عاشوا في العالم العربي، وتأثروا بمناهج النحاة العرب.

. إنّ الموازنة عند العلماء العرب القدامى لم تستو على سوقها كما هو الشأن مع الدراسات اللغوية الموازنة الحديثة التي عرفت تطورا كبيرا.

. إنّ بعض العلماء القدامى لم يتطرّقوا للموازنة بين العربية وغيرها؛ لاعتقادهم قدسية اللّغة العربية.

. إتقان بعض العلماء القدامى للغات عديدة، وفي هذا ردّ على أولئك الذين يدّعون أنّ اللّغويين القدامى كانوا يجهلون غير العربية. قال الرديني: "هذا، ولم يعرف العرب المنهج

1-حسن ظاظا، اللسان والإنسان، ص 147- 148.

2-المرجع نفسه، ص 147.

3-المرجع السابق نفسه، ص 149.

المقارن للأسباب الآتية :

أ. لأنّ لغويهم يجهلون غير العربية"[1]. ولعلّ هذا من المبالغات التي لم تبن على أساس علمي.

1-محمد الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص 19.

الفصل الثاني:

اللغة العربية في ظل النهضة العربية الحديثة

تعدّ النّهضة العربية الحديثة نقطة انعطاف في مسار الدّراسات اللّغوية العربية، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى انفتاح العالم العربي على عالم الاستشراق، وذلك باستقدام بعض المستشرقين للتّدريس في الجامعات العربية، وما قدّموه من أبحاث ودراسات عن اللّغة العربية وتحقيقات لبعض المخطوطات، ثم تأتي الخطوة الثانية بالعكوف على تحقيق كتب التراث ودراستها، وقد تصدى لهذه المهمّة بعض الأفاضل العرب؛ كمحمد بن أبي شنب، وعبد السّلام هارون، ورمضان عبد التّواب، ومحي الدّين عبد الحميد، وسليمان العيوني، وغيرهم ممن كانت لهم قدم راسخة في هذا المجال، ثمّ تأتي الخطوة الثّالثة متجلية في اهتمام بعض الدّارسين بفقه اللّغة العربية، وما أسدوه من دراسات، من أمثال عبد الواحد وافي، ومحمّد المبارك، ورمضان عبد التّواب، وعبده الرّاجحي، وصبحي الصّالح ولويس شيخو، ومصطفى الشهابي وغيرهم.

المبحث الأوّل: أثر الاستشراف في الدّراسة الفيلولوجية للغة العربية:

تعد ظاهرة الاستشراق من الظّواهر التي لقيت عناية من قبل الباحثين في العالم الإسلامي وهذا عائد إلى أهمية الموضوع ومدى تأثيره في علوم المسلمين، فقد جاءت حملات المستشرقين حاملة في طياتها مناهج العلوم الحديثة بغية دراسة ثقافة المسلمين ولغاتهم وتاريخهم ومعتقداتهم وما إلى ذلك، وهذا ما أفاد الأمّة الإسلامية تارة، وضرّها تارة أخرى في كثير من الأحيان بتلك الهجمات الشرسة على مبادئ المسلمين ومسلماتهم، فكان من الطبيعي أن تختلف الدّراسات حول هذا الموضوع المحيّر بين مناصر ومؤيّد، ومن بين معارض ومعاد لظاهرة الاستشراق، وسنحاول في هذا المضمار أن نسلط الضوء على أثر الاستشراق في الدّراسة الفيلولوجية، محاولين أن نسلك مسعى الإنصاف في هذه القضية ما أمكن ذلك.

1)- تعريف الاستشراف:

أ) لغة: الاستشراق مصدر الفعل استشرق: الّذي يعود إلى الجذر اللّغوي شرق. قال ابن منظور: "شرق، شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا: طلّت، واسم الموضع المشرق... والتّشريق الأخذ في ناحية المشرق، يقال شتّان بين مشرق ومغرب، وشرّقوا: ذهبوا إلى الشّرق أو أتوا

الشرق."[1] وقال إسماعيل محمّد: "يمكننا القول بأنّ السّين والتّاء إذا زيدتا في الكلمة قصد بهما الطّلب؛ مثل استغفر أي؛ طلب الاستغفار...واستشرق أي طلب وأراد تعلّم ودراسة علوم الشّرق وآدابه"[2]. وعليه فالاستشراق هو طلب الشّرق: أي الاطلاع على ما يوجد في الشرق.

ب) اصطلاحا: إنّ المتفحص للتعاريف الواردة في مصطلح الاستشراق ليلمس أن الباحثين لم يستقروا على تعريف جامع مانع؛ وذلك راجع إلى اختلاف الرؤى والتّوجهات الفكرية. وسنذكر في هذا المقام بعض الحدود التي ذكرها علماء العرب، وعلماء الغرب.

1-1) -عند العرب:

عرّفه أحمد حسن الزّيات بقوله: "يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشّرق وأممه، ولغاته، وآدابه، وعلومه، وعاداته، ومعتقداته، وأساطيره ولكنّه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية؛ لصلتها بالّدين، ودراسة العربية لصلتها بالعلم".[3] ووافقه على هذا محمّد حسين علي الصغير فقال: "الاستشراق بتعبير موجز: دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشّرق، وبخاصة كلّ ما يتعلق بتاريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه وعلومه، وتقاليده وعاداته"[4]. وبناءً على ما سبق فإنّ أنصار هذا الرأي يذهبون في تعريفهم للاستشراق إلى التّمايز الجغرافي بين الشرق والغرب.

ومنهم من يرى أنّ الاستشراق "هو تصدّي علماء غير مسلمين - سواء كانوا من الشّرق أم من الغرب - لدراسة علوم المسلمين، وحضاراتهم، ومعتقداتهم، وآدابهم، وتقاليد شعوبهم وعاداتهم، وآثارهم"[5]. فهذا الاتّجاه ألغى التّقسيم الجغرافي السّابق، وبنى تعريفه على التّوجه الدّيني، وذلك بجعله قضية الاستشراق مبنية على دراسة يقوم به غير المسلمين؛ لمعرفة العالم الإسلامي من جميع جوانبه، وضمن هذا الإطار نجد بعضهم يضيف الهدف والغاية من

1-ابن منظور، لسان العرب، (شرق)، ص 2244.

2-إسماعيل علي محمّد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الحكمة، دب، دط، ط3/ 2000، ص 11.

3-أحمد حسن الزّيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت، ص 512.

4-محمّد حسين علي الصّغير، المستشرقون والدّراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1/ 1999م، ص11.

5-علي النملة، كنه الاستشراق، بيسان للنّشر والتّوزيع، بيروت، ط3/ 2013، ص25.

الاستشراق، وهو ما أشار إليه فؤاد عبد المنعم بقوله: "وأرى أنّ القول الأدقّ –من وجهة نظري- أنّ الاستشراق هو دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب للإسلام؛ عقيدة وشريعة، ولغة، وحضارة، بقصد التّشكيك في هذا الدّين القويم، وإبعاد الناس عنه".[1] ولعلّ نظرته هذه مبنية على أصل نشأة الاستشراق الذي نشأ في خضم الكنيسة النّصرانية.

ومنهم من أعطى للاستشراق مفهوما عامًا، ومفهوما خاصا، وهذا ما ذهب إليه محمود زقزوق في قوله: "الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشّرقي...وإنّما كلّ ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدّراسات الغربية المتعلقة بالشّرق الإسلامي؛ في لغاته، وآدابه، وتاريخه، وعقائده، وتشريعاته، وحضارته بوجه عامّ"[2]. فالملاحظ من هذا التّعريف أنّ محمود زقزوق يحاول أن يعطي نظرة شاملة عن الاستشراق، وذلك بالجمع بين الاتجاهين السّابقين اللذين انطلاقا من فكرة التّمايز الجغرافي، ومنشأ الاستشراق.

2-1) -عند الغرب:

لقد تطرّق نزر غير يسير من المستشرفين إلى مفهوم الاستشراق، وكان من هؤلاء الفرنسي روجير بورتال Roger portal، فقد عرّفه بأنّه: "مجموع المعارف المرتبطة بعالم الشّرق".[3] وعلى هذا الأساس فإنّ بورتال لم يخصّ بالدّراسة العالم الإسلامي فقط؛ بل نظر إلى الشّرق بمفهومه الواسع؛ ليضمّ الصّين، واليابان والهند، وآسيا الوسطى، وغيرها من الدّول.

ويرى المستشرق الألماني بارت Paret"بأنّ الاستشراق علم يختصّ بفقه اللّغة خاصّة وبما أنّ الكلمة مشتقة من كلمة شرق الّتي تعني مشرق الشّمس، فإنه يرى بأن الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشّرقي"[4]. وعليه فإذا اعتمدنا على التّقسيم الجغرافي في حدّ الاستشراق

1-عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقيدة في الإسلام، دار العبيكان، الرّياض، ط1/ 2001م، ص18.

2-محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، القاهرة، ط 2/ 1989م، ص 24.

3 -Roger Portal, L'orientalisme est l'ensemble des connaissances qui concernent les people de L'orient, Orientalisme sovietique et Extreme-Orient, Politique etrangere, Volume 13, Numéro 4, annee, 1948, P329.

4-إسماعيل محمّد، الاستشراق بين الحقيقة والتّضليل، ص10.

فإنّ نظرتنا إلى هذا المفهوم تكون غير دقيقة في تحديد الهدف، تحقيق الغاية؛ لأنّ الشرق يختلف من بلد لآخر.

ومهما يكن من أمر فإنّ الاستشراق هو ذلك التّيار الفكري الغربي الذي يعنى بدراسة العالم الإسلامي من جميع جوانبه.

2)-مظاهر الاستشراق في الدّراسة الفيلولوجية للغة العربية:

ممّا لا يشك فيه كلّ باحث أريب أنّ الدّراسات الاستشراقية كان لها أثر كبير في الدراسات اللّغوية العربية، وإنّ المتأمّل لظاهرة الاستشراق يجدها تنطلق من دعامتين أساسيتين:

الأولى: الدعامة الإيديولوجية: ويمثّلها غالبية المستشرقين الذين يرمون إلى تشكيك المسلمين في دينهم.

الثانية: الدعامة العلمية: ويمثّلها أقلية المستشرقين الذين يهدفون إلى التّطلع على الحضارة العربية الإسلامية.

وستنطرق في هذا المبحث إلى الاستشراق، وذلك بالتعريج على الجانب النّحوي والبلاغي.

1-2) -المستوىّ النّحوي:

إنّ الولوج إلى هذا الباب يتطلب البحث في مسائل كثيرة، ولكن سنكتفي بدراسة ظاهرة الإعراب وكيف تعامل معها المستشرقون، وسنبدأ بتعريف هذه الظاهرة؛ وذلك

بعض المستشرقين بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

1-1-2) -تعريف الإعراب:

أ) -لغة: حدّه أبو حيّان الأندلسي بقوله: "الإعراب في اللّغة: الإبانة، يقال: أعرب عن حاجته أبان عنها، والتّحسين: أعربت الشّيء حسّنته، والتّغيير: عربت معدة الرّجل، وأعربها الله غيّرها والانتقال عربت الدّابة في مرعاها: جالت"[1]. وبناءً على قول أبي حيّان؛ فإنّ الإعراب في اللّغة

1-أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضّرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمّد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/1998م، ص833.

يرد على أربعة معّان؛ وهي: الإبانة، والتحّسين، والتغيير، والانتقال، وكلّ له وجه من حيث التّناسب مع المعنى الاصطلاحي.

ب)-اصطلاحا: أشار إليه أبو حيّان بقوله: "وأمّا الإعراب في الاصطلاح؛ فذهبت طائفة إلى أنّه نفسه: هو الحركات اللاّحقة آخر المعربات من الأسماء والأفعال، وعلى هذا فالإعراب عندهم لفظي، وهو اختيار ابن خروف، والأستاذ أبي علي، وابن الحاجب، وابن مالك...وذهب متأخرونا وأصحابنا وطائفة إلى أنّ الإعراب معنوي، وهو تغيير في آخر الكلمة أو ما كالآخر لعامل دخل عليها نفسها، والحركات علامات الإعراب ودلائل عليه"[1]. وبناءً على ما قرّره أبو حيان؛ فإنّ المتقدمين اختلفوا في تعريف الإعراب على مذهبين:

المذهب الأول: يرى أنصار هذا الرأي أن الإعراب أثر يحدثه العامل في آخر الكلمة، وعليه تكون الضّمة، والفتحة والكسرة والسّكون وما ينوب عنهم هو الإعراب نفسه.

المذهب الثاني: يرى أنصاره أنّ الإعراب هو ذلك التّغيير الحاصل في أحوال أواخر الكلم لاختلاف العوامل الدّاخلة عليه، فعلى هذا الرأي تكون الضّمة، والفتحة، والكسرة والسّكون وما ينوب عنهم علامات الإعراب.

2-1-2) -أهميته:

قد بيّنها ابن فارس بقوله: "فأمّا الإعراب فبه تميّز المعاني، ويوقف على أغراض المتكملين وذلك أن قائلا لو قالّ: ما أحسن زيد غير معرب، أو ضرب عمر زيد لم يوفق على مراده، فإذا قال: ما أحْسَنَ زَيْدًا!، أو ما أحْسَنُ زَيْد؟، أو ما أحْسَنَ زَيْدٌ؛ أبَان الإعراب عن المعنى الذي أراده".[2] ويتبيّن من المثال الذي ذكره ابن فارس أنّ ما الأولى تعجبية، والثّانية استفهامية، والثّالثة نافية فبالإعراب ميّزنا بين المعاني المتكافئة.

3-1-2) -أقوال المستشرقين في الإعراب:

اختلف المستشرقون في قضية الإعراب، فذهب بعضهم إلى إثباته كما هو الحال مع نولدكهNoldeke، ويوهان فك Johann Fuck، وذهب بعضهم إلى إنكاره كما هو الشأن مع كارل

1-أبو حيّان الأندلسي، ارتشاف الضّرب من لسان العرب، ص833.

2-ابن فارس، الصّاحبي، ص309.

فوللرز Karl Vollers، وكوهين Cohen، وباول كاله Paul Kalhe.

أ) -القائلون بالإنكار: لقد استند أولئك المستشرقون إلى حجج يرون أنّها كافية في الدّلالة على إنكار الإعراب، ولعلّهم اتكؤوا على رأي قطرب، وسنعرض في هذا الصدد أقوالهم في هذه القضية:

-كارل فوللرز: مستشرق ألماني (1857-1909م)، له كتاب اللّغة الشّعبية واللّغة الأدبية في الجزيرة العربية القديمة، وفيه تناول مسألة الإعراب، مشككا فيها، معتمدا على بعض الحجج الواهية وقد لخّصها رمضان عبد التّواب في قوله: "ومن هؤلاء المستشرقين كارل فوللرز Karl Vollers الذي يرى أنّ النّص الأصلي للقرآن قد كتب بإحدى اللّهجات الشعبية التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها كما لا يوجد في غيرها تلك النهايات المسمّاة بالإعراب، وأنّه انتقل إلى هذا النّص فيما بعد الشّكل، الأدبي للغة العربية الذي هو عليه الآن، وهو يرى أنّ العربية الفصحى التي رواها لنا النحويّون العرب، والتي توجد في القرآن، كما احتفظ بها الشعر في موازينه، هذه العربية يراها فوللرز مصنوعة، وهو ينكر على الإطلاق أن تكون هذه اللّغة كانت حيّة في مكّة على عهد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، كما يشكّ أن يكون البدو الذين خرّج من بينهم الشعراء كانوا يتكلّمون هذه اللّغة"[1].

فأمّا ادعاؤه الأوّل بأن القرآن نقل مجردا من الإعراب فهذا غير صحيح؛ لأن القرآن نقل إلينا عن طريق التواتر؛ أي نقله جمع عن جمع. يستحيل في العادة أن يتواطؤا على الكذب فقد نقله الصحابة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، ونقله التّابعون عن الصّحابة ونقله تابعو التّابعين عن التابعين، وهكذا قد وصل إلينا معربا، بل إنّ المجازين في القراءات في زماننا هذا ممن عرفوا بانتهاء سندهم إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم لا يقرؤون القرآن إلا معربا وما يؤكد هذا الأمر أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة فاطر، الآية 28]؛ بنصب لفظ الجلالة الله، ورفع كلمة العلماء، فلولا الإعراب لا لتبس معنى الآية التباسا كبيرا.

1-رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص377، 388.

وأمّا ادعاؤه أن العربية الفصحى التي رواها لنا النحويون مصنوعة فبعيد جدّا من وجوه:

- أنّ أئمة النّحو من أمثال أبي عمر وبن العلاء، والخليل وسيبويه، يونس بن حبيب وغيرهم فقد عفوا بالصّدق والأمانة فيستحيل في حقّهم أنّ يقدموا على رواية هذه العربية المصنوعة التي ادعاها هذا المستشرق.
- لو كان حقّا ما ادّعاه أنّ النّحويين تواطؤا على هذه اللّغة المصنوعة، لأنكر عليهم غيرهم من العلماء على اختلاف توجهاتهم وتخصصاتهم.
- أن علماء النّحو القدامى كانوا لا يؤخذون اللّغة إلاّ عن العرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم وهذا الأمر معروف عن سيبويه والخليل وغيرهما، فلذلك كانوا لا يؤخذون اللّغة عن أهل الحضر قط، ولا يأخذون عن القبائل التي جاورت أمما أخرى، قال السيوطي في الاقتراح: "وأمّا كلام العرب: فيحتجّ منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم... وبالجملة فإنّه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جذام... ولا من قضاعة، ولا من غسّان"[1]. وهناك تأصيلات أخرى تدخل ضمن هذا الباب سطّرها العلماء القدامى في كتب أصول النّحو.

كما لا يخفى على كلّ باحث لبيب، ودارس أريب أن النّحاة القدامى كانت لهم جهود جبّارة في نصرة العربية، والدّفاع عنها، وبيان خصائصها، فلا يعقل أن يقدموا على رواية لغة مصنوعة فهذا تأباه العقول السّوية، والفطر السّليمة. وهذا التّأصيل الّذي ذكره كارل فوللرز يدلّ على جهله بالعربية.

وأمّا دعاؤه أنّ هذه اللّغة -التي توجد في القرآن واحتفظ بها الشعر في موازينه-لم تكن حيّة على عهد النّبي صلّى الله عليه وسلّم فبعيد جدّا، بل هو باطل أشدّ البطّلان من وجهين:

الأول: أن القرآن متواتر؛ وينتهي سنده إلى النّبي صلى الله عليه وسلّم.

الثاني: أنّ هذه الأمّة أمّة الإسناد؛ فأحاديث النبي صلّى الله عليه وسلّم تمثّل صورة واضحة لتلك اللّغة التي كانت في ذلك الزّمان، وهي مدوّنه في كتب السّنة مسندة.

1-السيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، ص47.

وأما تشكيكه في أنّ البدو الذين خرج من بينهم الشّعراء كانوا لا يتكلّمون هذه اللّغة فغير صواب؛ لأنّ نقلة الشّعر كانوا من الثقات الحفاظ الأمناء؛ من أمثال المفضّل الضّبي والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء أحد القرّاء السّبعة.

-كوهين: مستشرق فرنسي، له كتاب لغات العالم، وقد لخّص ما ذهب إليه علي عبد الواحد وافي في كتابه فقه اللّغة فقال: "وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذه القواعد المتشبعة الدّقيقة وخاصّة قواعد الإعراب لم تكن مراعاة إلّا في لغة الآداب؛ شعرها، وخطابتها، أمّا لهجات الحديث فكانت منذ أقدم العصور غير معربة... واستدلّ على رأيه هذا بأدلة كثيرة أهمّها دليلان:

أحدهما: دليل لغوي؛ وهو أنّ جميع اللّهجات العامّية المتشعبة من العربية، والتي تستخدم الآن في الحجاز نجد ومصر والعراق والشّام وبلاّد المغرب العربي مجردة من الإعراب... وثانيهما: دليل عقلي؛ وهو أنّ قواعد هذا شأنها في التّشعب والدّقة والصّعوبة... لا يعقل أنّها كانت مراعاة في لهجات الحديث؛ لأنّ لهجات الحديث تتوخى في العادة السّهولة واليسر."[1] ومناقشة رأيه يكون من وجوه:

- اكتشاف نقوش تثبت أنّ الإعراب كان موجودا منذ أقدم العصور في العربية البائدة. قال علي عبد الواحد وافي: "النقوش التي كشفت حديثا في شمال الحجاز...لتدلنا أقطع دلالة علّى أنّ الإعراب كان مستخدما في العربية البائدة"[2]. وهكذا كلّه يدلّ على أنّ هذا المستشرق يطلق أحكاما جزافية دون الاستناد إلى دليل علمي.
- ادعاؤه أنّ اللّهجات المتشعبة من العربية خالية من الإعراب يكذّبه الواقع، فعندنا مثلا في الجزائر يقولون: الجزائريين، المسلمين بإثبات حرف الإعراب في جمع المذكّر السّالم. يقول على عبد الواحد وافي: "قد بقي في اللّهجات العامّية الحاضرة كثير من آثار الإعراب وخاصة الإعراب بالحروف: فيقال مثلا في عامية المصريين وغيرهم في العصر الحاضر

1-علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص210- 211.

2-المرجع نفسه، ص214.

ينطق بالأفعال الخمسة مثبتة فيها نون الإعراب."[1] وهذا ما يدلّ على بطلان وفساد ما ذهب إليه كوهين وأنّ قوله هذا يردّه من له أدنى ذرّة علم، فضلا عن الباحث المتخصص المتمرس.

- "يستفاد من كتب التّاريخ، وبخاصة كتب أبي الفداء أنّ بعض علامات الإعراب ظلت باقية في بعض لهجات المحادثة المتشعبة عن العربية حتى أواخر القرون الوسطى"[2]. ولعلّه يقصد بأبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود (ت 732ه) صاحب كتاب المختصر في تاريخ البشر.
- ادعاؤه أنّ القواعد شأنها في التّشعب والدّقة وصعوبة التّطبيق لا يعقل مراعاتها في لهجات الحديث ادّعاء غير صحيح: لأن العربي قديما كان يتكلّم اللّغة سليقة؛ أي بطبعه وسجيته فلا يحتاج أصلا إلى التعلّم.

-باول كاله: مستشرق ألماني، صاحب كتاب الذّخائر القاهرية Die Kairoer Genisa، وقد تحدّث عن قضية الإعراب في فصل من كتاب أسماه نصّ القرآن العربي، وقد قال فيه: "فال الفرّاء: وفج رأينا أهل القراءة، الذين يعرفون الكتاب والسّنة، من أهل الفصاحة اجتمعوا على أنّه نزل بأفصح اللغات، فاعترض في ذلك أقوام ممن ينظر في الأشعار وأيام العرب، فقالوا: إنّما فضل القرآن من فضله، لِمَا أوجب الله من تعظيم القرآن، فإذا صرنا إلى الفصاحة وجدنا في أهل البوادي، واختلفوا في ذلك، فقال أهل الكوفة: الفصاحة في أسد؛ لقرب جوارهم منهم...وقال أهل المدينة: الفصاحة في غطفان... فأحببنا أن نردّهم بالآثار والقياس والاعتبار إلى تفضيل لغة قريش على سائر اللّغات...قال: وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ: عتّى حين يريد: حتّى حين فقال: من أقرأك هذا؟ قال: عبد الله بن مسعود، قال: فكتب إلى عبد الله: إنّ القرآن نزل بلغة قريش، ولم ينزل بلغة هذيل، وقال أبو بكر الصّديق رحمه الله: إنّ إعراب القرآن، لأحبّ إليّ من حفظ بعض حروفه"[3]. ثمّ بيّن كاله معنى كلمة الإعراب في أثر أبي بكر

1-علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص212.

2-المرجع نفسه، ص212، 213.

3-رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، 379.

الصّدّيق رضي الله عنه فقال: "الإعراب يعني: الحركات في أواخر الكلمات طبقا لقواعد العربية"[1]. ثمّ خلص إلى نتيجة مفادها أنّ "الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولا؛ إلا إذا كان يقرأ في الواقع بدون إعراب، وأريد له أن يقرأ بالإعراب الذّي عدّ في وقت متأخر من مظاهر الصّحة"[2]. والرّدّ على ما ذهب إليه يرجع إلى وجهين:

- فهمه السّقيم لمفهوم الإعراب في قول أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن المقصود في هذا الأثر من الإعراب هو المعنى اللّغوي الّذي هو الوضوح والبيان؛ لأنّ المعنى الاصطلاحي بعيد جدّا: لكونه غير معروف في زمن الصّحابة.
- لابدّ من البحث والتفتيش عن هذه الآثار التي ذكرها كاله؛ من حيث الصّحة والضّعف على وفق ما سطّره علماء الحديث.

ب)-المستشرقون القائلون بالإعراب: وعلى الصّعيد الآخر نجد بعض المستشرقين يثبّون الإعراب في اللّغة العربية، ومن أبرزهم وأكثرهم شهرة اثنان:

- نولدكه Noldeke: من المستشرقين الألمان الذين بعنوان ملاحظات على لغة العرب القدامى فقال: "من غير المعقول أن يكون محمّد صلّى الله عليه وسلّم قد استخدم في القرآن لغة تخالف كلّ المخالفة تلك اللّغة التي كانت شائعة في مكة آنذاك، وأن يكون قد اعتنى بالإعراب هذه العناية، وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم"[3]. وقال أيضا: "من الخطأ الشّنيع الاعتقاد بأنّ اللّغة الحية في عهد النبي، لم يكن فيها إعراب، فإنّ العلماء في عهد هارون الرّشيد قد وجدوا الإعراب بكلّ دقائقه لدى البدو"[4]. وفي هذا ردّ على أولئك المستشرقين الذين سعوا جاهدين إلى تجريد اللّغة العربية من هذه الخاصية. وعلى رأسهم فوللرز الّذي يرى أنّ اللّغة الّتي كانت في عهد النّبي صلّى الله عليه وسلم مجردة من الإعراب. وهذا ما يدلّ على

1-رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص380.

2-المرجع نفسه، ص380.

3-المرجع السابق نفسه، ص380.

4-المرجع السابق نفسه، ص381.

إنصاف نولدكه في هذه المسألة، وأنّه كان موضوعيا في معالجتها مستندا إلى الدّليل العلمي وكفى بشهادته شهادة.

-براجشتراسر Bergstrasser : مستشرق ألماني، له كتاب التّطور النّحوي للغة العربية، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية، وقد أشار فيه إلى قضية الإعراب في اللّغة العربية فقال: "والإعراب ساميّ الأصل، تشترك فيه اللّغة الأكدية، وفي بعضه الحبشية ونجد آثارا منه في غيرهما أيضا، غير أنّ العربية ابتدعت شيئين: الأول: إعراب الخبر والمضاف وتتفق في بعض ذلك مع أخواتها، والثّاني: عدم الانصراف في بعض الأسماء، وتنفرد بذلك عن غيرها"[1]. وهذه شهادة أخرى من المستشرق براجشتراسر في إنّ الإعراب خاصية من خصائص اللّغة العربية، بل تشترك فيه مع بعض اللغات السّامية، وهذا الرأي الوجيه صادر عن علم ودراسة، وكيف لا يكون ذلك كذلك، وقد نال براجشتراسر شهادة الأستاذية في اللّغات السّامية والعلوم الإسلامية.

-يوهان فك Johann fuck: مستشرق ألماني، أشار إلى ظاهرة الإعراب في كتابه العربية فقال: "لقد احتفظت العربية الفصحى، في ظاهرة التّصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السّمات اللغّوية التي فقدتها جميع اللّغات السّامية -باستثناء البابلية القديمة- قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، وقد احتدم النّزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحي، فأشعار عرب البادية -قبل الإسلام وفي عصوره الوسطى- ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السّلطان"[2]. ثمّ ضرب بعض الأمثلة من القرآن الكريم؛ ليبيّن حقيقة الإعراب وأنّه لا مناص لإنكاره.

وبناءً على ما سبق يتبيّن أنّ الإعراب من أعظم خصائص العربية، ومن أبرز سماتها وذلك لما يأتي:

-أن القرآن الكريم نقل إلينا بالتّواتر معربا.

1-براجشتراسر، التّطور النّحوي للغة العربية، ص116.

2-يوهان فك، العربية دراسات في اللّغة واللّهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، طبعة 1980، ص15.

-أحاديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم وردت إلينا معربة أيضا.

-كلام الصّحابة نقل إلينا بالأسانيد الّصحيحة معربا.

-أشعار الجاهلين والمخضرمين والإسلاميين نقلت إلينا برواية الثقات معربة.

2-2) -المستوى البلاغي:

لقد حظي الجانب البلاغي بعناية المستشرقين، وذلك لما له من أهمية بالغة في الدراسات اللّغوية، وسنعرج ضمن هذا المضمار على قضية الإعجاز القرآن، وكيف تناولها المستشرقون؟

1-2-2) -تعريف الإعجاز القرآني:

أ)-لغة: عرّفه الزّرقاني في مناهل العرفان بقوله: "إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللّغة، إثبات عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحدّاهم به"[1]. والإعجاز على وزن إفعال؛ من الفعل أعجز، يقال أعجز الرّجل خصمه؛ أي فاته وسبقه، ويقال أيضا أعجز هذا الأمر فلانا؛ أي لم يقدر على الإتيان به، وعليه فالإعجاز في هذا المقام مأخوذ من العجز الذي هو عدم القدرة عن الإتيان بالشيء.

وذهب محمود شاكر إلى أنّ لفظ الإعجاز لفظ محدث مولد، واستدلّ على ما ذهب إليه بما يراه مناسبا فقال: "الأمر الأوّل: أن لفظ الإعجاز في قولنا إعجاز القرآن، ولفظ المعجزة في قولنا معجزات الأنبياء كلاهما لفظ محدث موّلد، وبيقين قاطع، لا نجدهما في كتاب اللّه ولا في حديث رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم. ولم أجدهما في كلام أحد من الصّحابة، ولا في شيء من كلام التابعين ومن بعدهم، إلى أن انقضى القرن الأول من الهجرة، والقرن الثاني أيضا، ثمّ نجدهما يظهران فجأة على خفاء في بعض ما وصلنا من كلام أهل القرن الثالث ثمّ يستفيضان استفاضة ظاهرة في القرن الرّابع، وما بعده إلى يومنا هذا"[2]. وهذا الذي ذهب إليه محمود شاكر من أنّ لفظ الإعجاز لا نجده في حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم ولا في

1-محمّد عبد العظيم الزّقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1/1995م، ج2/259.

2-محمود شاكر، مداخل الإعجاز، شركة القدس، القاهرة، ط2/2014م، ص19، 20.

كلام الصّحابة ولا في كلام التّابعين يحتاج إلى استقراء وتتبع من قبل العلماء حتى يتسنى لنا ترجيح رأيه.

ب)-اصطلاحا: عرّفه أبو البقاء الكفوي بقوله: "إعجازه القرآن: ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته"[1]. وعليه؛ فالإعجاز القرآني هو عدم قدرة البشر عن الإتيان بالذي تحداهم الله به.

2-2-2)-المستشرقون والإعجاز القرآني:

لقد أدلى المستشرقون بدلوهم في قضية الإعجاز القرآني، وكان من هؤلاء المستشرق الإنجليزي جرجس سال Georges Sale الذي طعن في قضية الإعجاز القرآني وأتى بحجج أوهى من بيت العنكبوت؛ لا تقوم على أساس علمي، نوجزها في النقاط الآتية:

1-ليس في القرآن آية في الفصاحة والبلاغة بسبب طريقة كتابته وجمعه، والتي أدت إلى سقوط كثير من الآيات منه.

2-اعتبر (جرجس سال) أنّ القرآن معجز فقط في سبك معانيه لا في لفظه.

3-آيات القرآن فيها كثير من التّعارض.

4-في القرآن غلط في بعض الحوادث التاريخية.

5-وجود اللّغو في القرآن كالحروف المقطعة.

6-نفي الرّسول صلّى الله عليه وسلم صفة الإعجاز عن كلامه.

7-وجود مضامين في القرآن لا يمكن أن تكون وحيا"[2].

فأمّا ادعاؤه الأوّل الذي زعم فيه أنّه ليس في القرآن آية في الفصاحة والبلاغة، فلا يصدر إلاّ من جاهل بلغة العرب؛ لأن الذي درس اللّغة العربية، واطّلع على أسرارها، وخالطت لحمه ودمه، سيبقى منبهرا مندهشا من بلاغة القرآن، بل يعجز عن تأمّل بلاغته. قال أسامة بن منقذ (ت584هـ): "وقد روي عن الأصمعي رضي الله عنه قال: اجتزت ببعض أحياء العرب

1-الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2/1998م، ص149.

2-عبد الغني قمر جمعة، شبهات المستشرقين حول الإعجاز القرآني، ضمن بحوث مؤتمر الاستشراق ماله وما عليه، جامعة القصيم، السعودية، 2016/12/16م، ج1/ 78.

فرأيت صبيّة معها قربة فيها ماء، وقد انحلّ وكاء فمها، فقالت: يا عمِّ أدرك فاها، غلبي فوها لا طاقة لي بفيها فأعنتها، وقلت يا جارية، ما أفصحك! فقالت: يا عمّ، وهل ترك القرآن لأحد فصاحة؟ وفيه آية فيها خبران، وأمران، ونهيان وبشارتان! قلت: وما هي؟ قالت: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [سورة القصص، الآية 07]. قال: فرجعت بفائدة، وكأنّ تلك الآية ما مرّت بمسامعي"[1]. فهذه الجارية التي تعجّب الأصمعيّ –مع إمامته في العربية- من فصاحتها أدركت بلاغة القرآن الكريم؛ لفقهها العربية، وإدراكها أنّ أسلوب القرآن مخالف لأساليب أهل البلاغة والفصاحة من جهابذة العرب.

وأمّا ادعاؤه أنّ القرآن معجز في سبك معانيه دون لفظه فباطل؛ لأن قوّة اللّفظ في القرآن لها أثر بالغ في المعنى، يقول ابن تيمية وهو يتكلّم عن القرآن العظيم: "ولا يذكر فيه لفظا زائدا إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن التّوكيد، وما يجيء من زيادة اللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ ۝١٥٩﴾ [سورة آل عمران، الآية 159]. وقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ۝٤٠﴾ [سورة المؤمنون، الآية 40]. وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [سورة النمل، الآية 62]. فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى وقوّة اللفظ لقوة المعنى"[2]. وعليه فاللّفظ والمعنى شيئان متلازمان متكاملان، فهما كالرّوح والجسد لا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال، ولعل جرجس سال استقى هذه الفكرة من الأشاعرة الذين يرون أن إعجاز القرآن يكون من جهة معانيه الرّاجعة إلى المعنى النّفسي القائم بذات الله.

وأمّا ادعائه أنّ آيات القرآن فيها كثير من التّعارض فهذا باطل أشدّ البطلان، بل هو سهم من سهام المستشرقين للتّشكيك في القرآن الكريم، ولعلّه أخذه من بعض القدامى وقد كفانا

1-أسامة بن منقذ، لباب الآداب، تح: أحمد شاكر، المطبعة الرّحمانية، دب، دط، دت، ص329.

2-ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج537/16.

الخطّابي الرّد عليهم في رسالته إعجاز القرآن، وفي عصرنا هذا يوجد مؤّلف قيّم لمحمّد الأمين الشّنقيطي بعنوان دفع إيهام الاضطراب في آيات الكتاب العزيز.

وهذه الآيات التي يدندن حوبها المستشرقون في غيرهم تبدو في ظاهرها متعارضة ولكنّ العالم البصير بالتّفسير يرى أنّ الآيات القرآنية يصدّق بعضها بعضا استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾. [سورة الأنعام، الآية 115].

وأمّا ادعاؤه وجود اللّغو في القرآن الكريم، وتمثيله بالحروف المقطعة، فدعوى لا أساس لها من الصّحة، وقد تكلم العلماء القدامى من أمثال ابن كثير عن الحروف المقطعة الواردة في أوائل السّور فقال: " اختلف المفسّرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السّور؛ فمنهم من قال: هي ممّا استأثر الله بعلمه فردّ واعلمها إلى الله ولم يفسّروها... ومنهم من فسّرها واختلف هؤلاء في معناها: فقال عبد الرحمن بن زيد بين أسلم: إنّما هي أسماء السّور... وقيل: هي اسم من أسماء الله".[1] وهناك أقوال أخر قيلت في معاني هذه الحروف مدوّنة في كتب التّفسير، وقد اكتفينا بما ذكرناه، والذي يترجّح ممّا سبق أنّ هذه الحروف ممّا استأثره الله في علمه: لعدم وجود دليل صحيح يدّل على معانيها، إلا أنّنا نعتقد اعتقادا جازما أنّ الله أورد هذه الحروف في أوائل السّور؛ لحكمة بالغة؛ فالتركيب الصّوتي من أهم أصول الإعجاز في القرآن الكريم، وقد تحدّث ابن القيّم في كتابه البديع بدائع الفوائد عن العلاقة الموجودة بين الحروف المقطعة ومعاني السّور فقال: "وتأمّل السّور التي اشتملت على الحروف المفردة، كيف تجد السّورة مبنية على كلمة ذلك الحرف: فمن ذلك ق، والسّورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن وذكر الخلق، وتكرير القول ومراجعته مرارا، والقرب من آدم، تلقي الملكين قول العبد، وذكر الرّقيب، وذكر السّائق والقرين، والإلقاء في جهنّم، والتقدم بالوعيد...وسرّ آخر هو أنّ كلّ معاني هذه السّور مناسبة لما في حرف القاف من الشدة، والجهر

1-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص80.

والعلو والانفتاح"[1]. وبهذا يتبيّن دقة فقه ابن القيّم، وادراكه للمعاني في القرآن الكريم وكيف اهتدى إلى هذا السّرّ العجيب، وذلك بربطه بين صفات الحروف والمعاني التي تناسبها، فإذا نظرنا إلى صفات حرف القاف من الجهر والشدة والقلقلة والاستعلاء وجدناها صفات قوة تتلاءم مع ما ورد في سورة ق من ذكر سكرة الموت والنّفخ في الصّور، وذكر السّائق والقرين والإلقاء في جهنم، وإهلاك القرون الأولى، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم حول الحروف المقطعة وما تضمنته من أسرار توحي بقوة الإعجاز القرآني؛ ليفتح الباب لمن بعده للبحث في هذا المجال لعلّهم يجدون أسرارا أخرى حول القرآن العظيم الّذي لا تنقضي عجائبه.

1-ابن القيم، بدائع الفوائد، تح: معروف مصطفى وزمليه، دار النفائس، لبنان، ط1/2001م، ج148/3.

المبحث الثاني: التّعرف على التّراث اللّغوي العربي عبر تحقيق النّصوص القديمة ودراستها:

لقد ترك علماؤنا الأقدمون تراثا ضخما في شتى أنواع العلوم والفنون، إلاّ أنّه ظلّ قرونا عديدة حبيسا في خزائن الكتب مخطوطا، لم ير نور التّحقيق والطّباعة، وهذا التّراث بلا ريب يمثّل وجود الأمّة العربية وكيانها، فهو جزء لا يتجزأ من الحضارة: بل هو عامل من عوامل الرّقي لما حواه من كنوز مخبوءة، ودرر ونفائس تعكس مدى القوة العلمية التي كان عليها العلماء القدامى. ولما كان التّراث بهذه المنزلة العظيمة انصرفت جهود بعض الأعلام إلى تحقيقه، وإخراجه في أبهى صوره؛ حتى يتسنى للدّارسين دراسته، والكشف عن مكنوناته.

وتحقيق النّصوص لا بدّ أن يقوم على أسس علمية متينة، مع تمام التّمرس على هذا العمل النبيل والدّراية بخباياه، لا سيمّا في هذا الزّمان الذّي امتطى فيه كثيرون عملية التحقيق وهم في حقيقة أمرهم من أبعد الناس عن المنهج الأمثل في هذا الباب، ممّا أدّى إلى كثرة الأخطاء والتّحريفات والتصحيفات.

1) تعريف تحقيق النّصوص:

أ)-لغة: قال ابن فارس في مقاييس اللّغة: "الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدلّ على إحكام الشيء وصحته، فالحق نقيض الباطل، ثمّ يرجع كلّ فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التّلفيق...ويقال ثوب محقق إذا كان محكم النسج".[1] وقال الجوهري: "ويقال أيضا: حققت الرّجل وأحققته إذا أثبته".[2] وقال الفيروز آبادي: "وحققت الأمر: تحققته وتيقنته".[3] وعلى هذا فإن التحقيق مصدر من الفعل حقّق الّذي يعود إلى مادّته الأصلية حق الّتي تدلّ على إحكام الشيء وصحته، وجودة الاستخراج، والتّيقن والتثبت، ولا شكّ أنّ هذا المعنى اللّغوي يتناسب تناسبا كبيرا مع المعنى الاصطلاحي الذي سيأتي.

1-ابن فارس، مقاييس اللّغة، (حقّ)، ص15، 16.

2-الجوهري، الصّحاح، (حقق)، ص268.

3-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (الحق)، ص874.

ب)-اصطلاحا: عرّفه عبد السّلام هارون بقوله: "التحقيق هذا هو الاصطلاح المعاصر الّذي يقصد به بذل عناية خاصّة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استفائها لشرائط معينة".[1] وتحقيق الكتاب يرتكز على أربعة أمور مهمّة، وهي:

1- تحقيق عنوان الكتاب.

2- تحقيق اسم المؤلف.

3- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

4- تحقيق متن الكتاب".[2] وعليه فإن التّحقيق هو محاولة إخراج الكتاب طبقا للأصل الذي تركه المؤلف أو مقاربا له.

1-1) -دور المستشرقين في تحقيق التّراث العربي:

قبل الخوض في غمار الكتب التي حققتها المستشرقون لابدّ من الإشارة إلى كتاب مهمّ وهو نقد النّصوص ونشر الكتب للمستشرق الألماني براجشتراسر، ويعدّ كتابه هذا أوّل مؤلف تنظيري في هذا المجال، إذ شرح فيه المنهج الذي ارتضاه في تحقيق النّصوص، وذلك بجعله يرتكز على ثلاثة أمور أساسية وهي: النّسخ، وتحقيق النّص، والعمل والإصلاح، والمتمعن في هذا الكتاب يجد بعض الهنات التي يجب التنبيه عليها وهي كالآتي:

أ)- تصحيح الآيات القرآنية: قال براجشتراسر: "ووظيفة النّاشر هي الرّجوع إلى ما كتبه المؤلف لا إلى ما كان له أن يكتبه، فيجب علينا أن نصحح أخطاء النّساخ، ولا يحق لنا أن نصحح ما ارتكبه المؤلف من الخطأ...ومثال ما قلناه الآيات القرآنية التي يؤتى بها، فلا يجوز أن يصحح النّاشر حروفها ونقطها بناءً على ما يقرأ في نسخ مصاحفنا اليوم".[3] ويبدو من صنيعه أنّه تعامل مع القرآن الكريم كغيره من النّصوص الأخرى، والحق أنّ الخطأ في الآيات القرآنية يصحح في متن الكتاب، وينبه في الهامش على الخطأ الذي وقع في نسخة المؤلف، ولا أظن أنّ

1-عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص48.

2-المرجع نفسه، ص48.

3- براجشتراسر، أصول نقد النّصوص ونشر الكتب، إعداد محمّد البكري، دار المرّيخ، الرّياض، طبعة 1402هـ، ص44.

أحدا من علماء المسلمين يرضى بتعريف النّص القرآني، وتركه كما هو دون تصحيح في صلب الكتاب.

ب)-تزوير النّحاة للشّواهد النّحوية: وقد أشار إلى هذه القضية بقوله: "والنّحويون واللّغويون أيضا لا يوثق بأبيات الشّعر التي يتمثلون بها: لأنهم أوردوها كشواهد يثبتون بها بعض الشّواذ ويخشى أن يكون الذي أتى بها قد زوّرها حبّا في إدخال الدّهشة على النّاس بالغريب الذي أتى به، ويشتدّ الخوف من التّزوير إذا وقع في شاهد واحد شاذان اثنان مثل:

إِنَّ أَبَاهَـا وأَبَـا أَبَاهَـا قَـدْ بَلَغَـا فِي الْمَجْـدِ

فأباها الثانية عوض عن أبيها، غايتاها عوض عن غايته، وهذه العبارة لا يستقيم بها الشعر أصلا".[1] فأمّا ادعاؤه أنّ أبيات الشّعر التي يتمثل بها النّحويون لا يوثق بها، فهذه فرية عظيمة على أولئك العلماء، وكما هو معلوم أنّ علماء العربية القدامى من أمثال أبي عمرو بن العلاء والخليل، والكسائي، وغيرهم كانوا يرحلون إلى البوادي؛ لأخذ العربية من أفواه العرب الأقحاح وفق معايير معينة صارمة، أفيعقل أن يجمع هؤلاء النّحاة على تزوير الشواهد، فهذا لا يقوله أيّ باحث متمدرس مطّلع على تاريخ النّحو العربي.

وأما البيت الذي ذكره فإنّما يستشهد به النّحاة على من يعربون أبا وأخا وحما بالألف مطلقا في باب الأسماء السّتة، وهذه لغة بني الحارث وخثعم وغيرهما، ولا وجه للشذوذ في هذه المسألة، وأما قوله وغايتاها عوض عن غايته، فتخريج هذا نصّ عليه الخضري فقال: "وقوله (غاياتها) مفعول بَلَغَا على لغة من يلزم المثنى الألف، والضّمير للمجد، وأنّثه باعتبار أنّه صفة أو رتبة".[2] فالشّاعر أنّث ضمير غايتها العائد على المجد باعتبار كأنه قال: قد بلغا في صفة المجد أو في رتبة المجد غايتاها، وهذا التّخريج جائز عند العرب. "قال أبو عمرو: وسمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟! فقال: نعم

1-براجشتراسر، أصول نقد النّصوص ونشر الكتب، ص45.

2-الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: صبري عبد العظيم، دار الكاتب، القاهرة، ط1/2022، ص116.

أليس بصحيفة".[1] فما دام هذا الأمر له أصل في لغة العرب، فالأولى الالتفات إلى كلام العرب وتخريجات القدامى للكلام العربي الذي ظاهره أنّه على خلاف القاعدة النّحوية وليس الأمر كذلك، بل هو مطابق لها، خادم لها.

ج)-تصحيح الأخطاء النّحوية: قال براجشتراسر: "وبحث الأخطاء يحتاج إلى ملاحظة، وذلك ذكرنا أنّ بعض المؤلفين قد بدرت منهم أخطاء نحوية لا يجوز تصحيحها...ولا يمكن نسبة الخطأ إلى المؤلف إلا إذا كانت النّسخة الأصلية التي كتبها بيده محفوظة".[2] ويبدوا أنّه مجانب للصّواب في هذه المسألة: لأن الخطأ مردود، فلذلك ينبغي تصحيحه، فإذا كانت عندنا عدة نسخ فإننا نرجع إلى النّسخة العالية، مع تصحيح الخطأ في صلب المتن إن وجد، والتّنبيه عليه في الهامش قال عبد السّلام هارون: "وأمّا النّسخ العالية فإنّ المحقق حري أن يثبت ما ورد فيها على علاته خطأ كان أو صوابا، على أن ينبه في الحواشي على صواب ما رآه خطأ؛ حرصا على أمانة الأداء".[3] وهذا الذي أشار إليه عبه السّلام هارون أقرب إلى مسلمات التّحقيق العلمي النّزيه، فينبغي التعويل عليه دون غيره.

د) -المشافهة والمعاينة: قال براجشتراسر: "والمقابلة نوعان: مشافهة ومعاينة، والطريقة الأولى مألوفة في الشّرق، وهي أن يقرأ الواحد في النسخة الواحدة على آخر يقابل في نسخة أخرى والمعاينة مألوفة في الغرب؛ وهي أن يقرأ الواحد قطعة من النّسخة الواحدة ويحفظها، ثمّ يقرأها في النّسخة الثانية، وكلّ من هاتين الطريقتين تتفوق على الأخرى من جهة: أمّا المشافهة فتتمّ بسرعة وتَحُول دون إسقاط كلمات، وأمّا المعاينة فهي أكثر تدقيقا من المشافهة وخصوصا في الكتب العربية"[4]. والأمر بخلاف الّذي أشار إليه؛ لأنّ الهدف من تحقيق النّصوص هو ضبطها ضبطا تاما أو مقاربا للأصل الذي كانت عليه، ولا شك أنّ المشافهة هي الأقرب إلى هذه الغاية؛ لأنها تحول بخلاف المعاينة التي تحتاج إلى الذاكرة القوية، فهي أكثر

1-السّيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، ص113.

2-براجشتراسر، أصول نقد النّصوص ونقد الكتب، ص84، ص85.

3-عبد السّلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص73.

4-براجشتراسر، أصول نقد النّصوص ونقد الكتب، ص97.

عرضة لسقوط الكلمات مما يؤدي إلى الإخلال بتحقيق الكتاب، وعلى هذا فإنّ الطريقة العربية أقوى وأسلم من الطريقة الغربية وفق مسلمات البحث العلمي، وهناك انتقادات أخرى وجّهت لبراجشتراسر في كتابه المشار إليه، لا يسع المقام لذكرها، وبما أنّ مؤلّفه كان اللّبنة الأولى في هذا المجال فلا ريب أن تعتريه بعض النّقائص، والمهمّ في الأمر أنّ براجشتراسر بإنجازه هذا فتح المجال على مصراعيه لمن جاؤوا بعده من العلماء العرب، ليألفوا مؤلفات عديدة في مجال تحقيق النّصوص، وهي كالآتي:

- ✓ تحقيق النّصوص ونشرها لعبد السّلام هارون، وهو أوّل كتاب عربي في هذا الفنّ.
- ✓ مناهج تحقيق التّراث بين القدامى والمحدثين لرمضان عبد التّواب.
- ✓ منهج تحقيق النّصوص ونشرها لنوري حمودي القيسي، وسامي مكّي العاني.
- ✓ تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره لعبد المجيد دياب.
- ✓ مدخل إلى تاريخ نشر التّراث العرب لمحمود محمّد الطناحي.
- ✓ تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل لعبد الله عسيلان.
- ✓ تحقيق التّراث لعبد الهادي الفضلي وغيرها من المصنفات.

وبهذا يتبيّن أنّ المستشرفين كان لهم الفضل في: "تنبيه المسلمين إلى أهمية إخراج كتبهم التي كانوا عنها في غفلة، وتقديم القواعد والضّوابط اللاّزمة لذلك الإخراج، ممهدة ومطبقة فيما حققوه من كتب في تلك الفترة المبكرة من ظهور التّحقيق في العصر الحديث، وما علم المسلمون أنّ هذه القواعد والضّوابط مسطورة ومقننة في كتب تراثهم الدّفين، وما أن انتبهوا إلى ذلك وأدركوا أهميته حتّى وصلوا ما انقطع من أسباب مجدهم، حيث بدأ الاهتمام بإحياء الكتب القديمة".[1] بهذا يتضح أنّ تحقيق النّصوص في العالم العربي ليس من صنع المستشرقين، بل كانت له جذور ضاربة في أعماق الحضارة العربية الإسلامية، خاصة على أيدي المحدّثين الّذين قننوا ووضعوا بعض أصول التّحقيق العلمي الرّصين، ومن أراد أن يمتع ناظريه بما دوّنوه من تلك القواعد والأصول فليرجع إلى كتاب المحدّث الفاضل بين الرّاوي

1-الصّادق الغرياني، تحقيق النّصوص في القديم والحديث، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، دب، طبعة 1989م، ص60.

والواعي للرامهرمزي (ت360ه)، والكفاية في علم الرّواية للخطيب البغدادي (ت463ه) وتذكرة السّامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم لابن جماعة (ت733ه) وغيرها من الكتب النافعة.

ومن جهة أخرى فقد كانت للمستشرقين جهود في تحقيق التّراث العربي، وسنذكر ضمن هذا المقام بعض الكتب التي قاموا بتحقيقها، وهي كالآتي:

الكامل في اللّغة والأدب للمبرد (ت285ه): قام بتحقيقه المستشرق الإنجليزي وليم رايت W.Wright، ويعدّ الكامل آخر كتاب ألّفه المبرد، فلذلك حظي بمكانة عظيمة عند العلماء قال ابن خلدون: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول هذا الفنّ وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتّبيين للجاحظ كتاب النّوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع".[1] بناءً على هذا فإنّ الكامل يعدّ مصدرا أصيلا من مصادر اللّغة والأدب، وقد شرحه ثلة من العلماء القدامى، منهم القاضي هشام بن أحمد الوقشي (ت489ه)، وابن السّيد البطليوسي (ت521ه) وغيرهما من العلماء.

شرح المفصّل لابن يعيش (ت 643ه): قام بنشره المستشرق الألماني جوستاف يان Gustave، وشرحه هذا من أهم كتب النّحو، بل يعدّ موسوعة نحوية، وقد شرح فيه المفصل في صنعة الإعراب للزّمخشري.

كتاب المعارف لابن قتيبة (ت 276ه): قام بنشره المستشرق الألماني وستنفليد Wiistenfled، وقد خصّص ابن قتيبة في كتابه المذّكور جزءا صغيرا خاصّا برواة الشعر وأصحاب الغريب والنّحو كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب وغيرهم.

كتاب سيبويه (ت 180ه): قام بنشره المستشرق الفرنسي هارتقيج ديرنبورج H.Derenbourg، وكتاب سيبويه أجلّ كتب النحو العربي على الإطلاق؛ لأنّ مؤلفه إمام من أئمة النّحو، وقد تتلمذ على كبار النّحويين في زمانه، فدوّن عصارة علمهم، وآراءهم النّحوية في كتابه.

1-ابن خلدون، المقدمة، ص763، 764.

كتاب الفصيح لثعلب (ت291هـ): نشره المستشرق اليهودي الألماني بارت جاكوب Barth Jacob، وكتاب الفصيح من أهمّ الكتب التي اشتهر بها ثعلب، وقد أثنى على كتابه هذا أكابر العلماء، وفطاحلة الفقهاء، فهذا أبو الحسن بن البنا الحنبلي يشيد بالفصيح فيقول: "وكان بعض شيوخنا يقول" ثلاثة مختصرات في ثلاثة علوم، لا أعرف لها نظيرا: الفصيح لثعلب واللاّمع لابن جني، وكتاب المختصر للخرقي، ما اشتغل بها أحد وفهمها كنا ينبغي إلاّ أفلح وأنجح".[1] فالفصيح كتاب مختصر عظيم الفائدة، لا سيما في بيان لحن العامّة.

معلّقة زهير بن أبي سُلمى مع شرح ابن النّحاس: نشرها المستشرق السّويسري ستينر Steiner، وزهير بن أبي سلمى من الشّعراء الحكماء الذين جمعوا بين جودة اللّغة ورونقها وبين الحكمة المستقاة من تجربته في الحياة، ومن أمثلة شعر الحكمة في معلّقته قوله:

وَمَهْمَا تَكُنْ عند امْرِئ مِنْ خَلِيقةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ".[2]

فلو لم يكن له من شعر الحكمة إلا هذا البيت لكفاه فخرا.

الآجرّومية: نشرها المستشرق الفرنسي لويس برنييه Louis Bresnier، ومتن الآجرومية من المتون المهمة للمبتدئين، بل أحسنها، لأنّه يعطي للمبتدئ مفاتيح في علم النّحو، ولهذا كانت عناية العلماء به شديدة؛ بين شارح له، وبين ناظم، وبين معرب لألفاظه، بل ترجمت إلى لغات عديدة.

نقائض جرير والفرزدق: قام بنشرها المستشرق بيقان Bevan، وهي عبارة عن مساجلات وخصومات شعرية وقعت بين شاعر عظيمين من شعراء العصر الأموي، وسميت بالنّقائض؛ نظرا لما بين الشاعرين من العداء الشّعري، إذ إنّ المناقض في اللّغة هو المخالف، ولا شكّ أنّ هذه النّقائض تمثّل حلقة شعرية جميلة في ذلك العصر، وإنّ المتأمّل في قصائدهما ليرى العجب العجاب من حسن التّراكيب، وبديع الأساليب، فكان حريا بكل من يتذوق الشّعر

1-أبو الحسن بن البنا، كتاب المقنع في شرح مختصر الخرقي، تح: عبد العزيز اليعيمي، مكتبة الرّشد، الرّياض، ط1/1993م، ج1/154.

2-أحمد الأمين الشّنقيطي، المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، ص88.

العربي أن يطلّع على هذا الكتاب القيم، ولا سيّما أنّ جامعه علم الأعلام، وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى التّيمي البصري (209هـ).

شرح المفضليات لابن الأنباري: قام بنشرها المستشرق الإنجليزي تشارلس لايل Ch.Lyall قال رمضان عبد التّواب: "تشارلس لايل الإنجليزي Ch.Lyall، الذي نشر شرح المفضليات لابن الأنباري نشرة دقيقة مع ترجمة أمينة بالإنجليزية، في بيروت سنة 1920".[1]

والمفضليات عبارة عن قصائد شعرية لشعراء كانوا في الجاهلية، وبعضهم في صدر الإسلام، قام باختيارها المفضّل الضّبي، ورجّح عبد السّلام هارون أنّها ليست كلّها من اختيار المفضّلّ الضّبي، وفي هذا الصّدد يقول: هذه المفضليات في يدنا 126 قصيدة، شرحها أبو محمد الأنباري الكبير، يضاف إليها أربع قصائد ألحقت بها وجدت في بعض النّسخ، فتلك 130 قصيدة نستطيع أن نجزم أنّها ليست كلّها من اختيار المفضّل الضّبي، بل إنّه ليس له من الاختيار فيها إلا القليل".[2] ثمّ أسهّب عبد السّلام هارون في ذكر الأدلة على ما ذهب إليه ولعله الأقرب إلى الصّواب، ومهما يكن من أمر فإنّ المفضليات تعدّ من كنوز الشعر العربي وروائعه بل أكثر ما ذكر فيها يصلح كشواهد في النّحو والبلاغة وغيرها من الفنون.

الصّبح المنير في شعر أبي بصير: نشره المستشرق الألماني رودلف جاير R.Geyer، قال رمضان عبد التّواب: "رودلف جاير (الألماني) R.geyer الذي نشر ديوان الأعشى الكبير والأعشين الآخرين في كتاب سمّاه الصّبح المنير في شعر أبي بصير، وقد استخدم في جمع أشعار هؤلاء الشعراء أكثر من خمسمائة مصدر عربي مطبوع ومخطوط، وطبعه في لندن سنة 1928م".[3] وفي هذا الكتاب قام جاير بنشر ديوان الأعشى ميمون بن قيس المكنى بأبي بصير، وآخرين ممّن لقبوا بالأعشى وهم كثر، وكان اعتماده على نسخة في الإسكوريال، قال شوقي ضيف عن نشرة جاير لديوان الأعشى: "وكان اعتماده الأساسي على مخطوطة الإسكوريال؛ لأنها برواية ثعلب وعلى الرّغم من أنّها تنقص أوراقا من نهايتها تحتفظ للأعشى بسبع وسبعين

1-رمضان عبد التّواب، مناهج تحقيق التّراث بين القدامى والمحدثين، ص58.

2-المفضل الضّبي، المفضليات، تح: أحمد شاكر وعبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط2019/12م، ص10.

3-رمضان عبد التّواب، مناهج تحقيق التّراث بين القدامى والمحدثين، ص58.

قصيدة مقطوعة، وقد أضاف إليها خمس قصائد من المخطوطات الخمس الأخرى، وجميعها تتفق في رواية خمس عشرة قصيدة له، كما تتفق في أنها مجهولة النسب، ولذلك لا يمكن الاعتماد على هذه المخطوطات، وأغلب الظّن أنها مختارات جمعت من نسخة ثعلب، وليست رواية مقابلة لها".[1] ولعلّ ما ذهب إليه شوقي هو عين الصّواب؛ لكونه أعلم من جاير فيما يتعلّق بالتّراث العربي، وهذا الذي ذكرناه من الكتب التي قام المستشرقون بنشرها إنّما هو على سبيل التمثيل لا الحصر: لأنهم؛ قاموا بتحقيق كتب كثيرة جدا يعسر استقصاؤها في هذا السياق.

وقد "استعان المستشرقون كثيرا بأهل اللّسان العربي في تحرير نصوص التّراث العربي ونشرها عندما أنشؤوا بجامعاتهم كراسي للغات الشرقية والأدب العربي، ومن عجيب ما يذكر أنهم قد أنشؤوا في هذه الأقسام التي تعنى بالتراث العربي وظيفة قارئ نصوص بجانب الأساتذة والمحاضرين"[2]. وهذا راجع إلى عدم إتقان معظم المستشرقين للغة العربية، وعدم معرفتهم بخباياها وأسرارها، وكان من أولئك الذين استفاد منهم المستشرقون من ذوي اللّسان العربي: رزق الله حسون، ومحمد عياد الطنطاوي، وإبراهيم عبد الفتاح طوقان، والشّيخ طاهر الجزائري، ومحمد بن أبي شنب، وأحمد تيمور باشا وغيرهم، ومن هنا نستنتج أن تحقيقيات العلماء العرب المعاصرين هي التي ينبغي التّعويل عليها؛ لكونها أجود وأتقن من تحقيقات المستشرقين.

ومن جانب آخر قام المستشرقون بعملية إحصائية تتمثل في إعداد فهارس خاصة بالمخطوطات العربية الموجودة في المكتبات العالمية: في ألمانيا، والمملكة المتحدة، والنّمسا وفرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، وهولندا، والدّول الإسكندنافية، وروسيا وأمريكا، يقول عبّاس صالح طاشكندي: "ففي مجال ضبط المخطوطات العربية وفهرستها وتوثيقها، تولى المستشرقون مسؤولية إصدار مئات الفهارس المتميزة كأدوات بيلوجرافية؛ تحصر الإنتاج

1-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط2، دت، ج1/ 339، 340.

2-عبد المجيد دياب، تحقيق التّراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص185.

المخطوط في عدد من المكتبات العالمية الكبرى".[1] ثمّ ذكر ما أصدره المستشرقون في مختلف البلدان حول هذه الفهارس الخاصة بالمخطوطات.

2-1) - دور العلماء العرب في تحقيق التّراث:

لقد اهتمّ بعض العلماء، وثلّة من الأمناء، بتحقيق التّراث العربي، لأنّه يمثل جوهر هُويتنا اللّغوية، ولأنّ الفصل بينا وبين تُراثنا من أخطر ما يكون على هذه الأمّة، فالحضارة لابدّ أن تنطلق من التّراث؛ بتحقيقه تحقيقا محكما، وضبطه، وفهمه على أسس علمية، وسنعرض ضمن هذا المقام أشهر المحققين العرب، وهم كالآتي:

أ)- محمد بن أبي شنب الجزائري (ت 1929م): مفخرة الجزائر، وقد خلت من أمثاله الدّيار إذ يعدّ صاحب أول دكتوراه في الوطن العربي، وله أعمال رائدة في مجال الدراسات الفيلولوجية عموماً، والتحقيق خصوصاً. يقول عنه أبو القاسم سعد الله: "وقد تميّز عن معاصريه باهتمامه بالتحقيق، وكان قد تأثر بأسلوب المستشرقين"[2]. وقد قام بتحقيق كتب كثيرة نذكر منها:

كتاب الجمل للزجاجي (ت337ه): من الكتب النحوية التي كانت لها شهرة في الآفاق، وقد حظي بشروحات كثيرة." حتى كان له في بلاد المغرب وحدها مئة وعشرون شرحا"[3]. وكان من أولئك الشّراح: ابن العريف (ت390ه)، وابن بابشاذ (ت469ه)، والأعلم الشنتمري (ت 476ه)، وابن عصفور (ت 669ه)، وابن الضائع (ت680ه)، وابن أبي الربيع (ت688 ه) وابن هشام (ت761 ه) وغيرهم، وقد اختلفت مناهج الشّراح؛ فمنهم من كان متوسعا في شرحه ومنهم من التزم الاختصار، ومنهم من كان متعقبا للزجاجي، ومنهم من كان مدافعا عنه وقد أشار مازن المبارك[4]. أن لجمل الزجاجي نسختين كبرى وصغرى، وأن أكثر الشّروح كانت على الكبرى.

1-عبّاس صالح طاشكندي، الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التّراث المخطوط، دب، دط، دت، ص10.

2-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1998، ج168/8.

3-مازن المبارك، الزجاجي حياته وآثاره، دار الفكر، دمشق، ط1984/2، ص 5.

4-ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

شرح ديوان امرئ القيس للأعلم الشنتمري: يمثل ديوان امرئ قيس صورة مشرقة لما كانت عليه لغة العرب قديما؛ من روعة البيان، وحسن التعبير، ورونق الأساليب، ولأهميته الكبرى أقبل الأعلم الشنتمري على شرح ألفاظه، وبيان معانيه، بكلمات مضيئة، وعبارات بديعة، حتى يتسنى لطالب العلم تذوق اللّسان العربي. وقد قام محمد بن أبي شنب بتحقيق هذا الشرح متعمدا على نسخ عديدة.

شرح ديوان عروة بن الورد العبسي لابن السّكيتّ (ت 244ه): عروة بن الورد العبسي من الشعراء الصعاليك، "من أهل نجد، ومن شعراء الطبقة الثّانية، كان من دهاة العرب وشجعانها الموصوفين، وكان يقلب بعورة الصعاليك؛ لجمعه إيّاهم، وقيامه بأمورهم"[1]. وقد تميز أسلوبه الشعري بسهولة اللفظ، ووضوح المعنى، بعيدا عن التّكلف، معبّرا عن الحياة الاجتماعية التي عاشها تعبيرا صادقا. وقد قام ابن السّكّيت بشرح ديوانه، وكما هو معلوم أنّ ابن السّكيت من العلماء الذين كانت لهم قدم راسخة في اللّغة العربية، عالما بالشعر، موثوقا بروايته، مما جعل هذا الشرح معتمدا لدى العلماء، وقد حلّاه محمد بن أبي شنب بتعليقات ضافية، وتوضيحات سديدة زادة من قيمة الكتاب.

شرح ديوان علقمة الفحل للأعلم الشنتمري: يعدّ علقمة من الشعراء الجاهلين المقلّين. قال محمد بن أبي شنب: " شاعر جاهلين مقل، من أقران امرئ القيس"[2]. وكان من الفرسان البارعين، والشعراء المبدعين، فلذلك لاقت قصائده الثناء والمدح عند العلماء، وأعجب بحسن تأليفها البلغاء، وقد أقدم الأعلم الشنتمري على شرح ديوانه؛ بحلّ غوامضه، وبيان مراميه عسى أن يهتدي المتذوق للسان العربي إلى مطلوبه. وأخرجه محمد بن أبي شنب إلى النور في حلة قشيبة معتمدا على خمس نسخ.

1-ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، تح: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، دط، 1926م، ص 5.

2 - الأعلم الشنتمري، شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي، تح: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، دط، دت، ص 3.

تحبير الموشين في التعبير بالسّين والشّين: يعالج هذا الكتاب قضية الكلمات التي ترد بالسّين والشّين، وتكون بمعنى واحد، مثل المبسرات والمبشرات، قد رتبها الفيروز آبادي ترتيبا هجائيا فكان لنا هذا المعجم الذي يعدّ طريفا في بابه، محكما في دقة ألفاظه، عجيبا في اختصاره، بديعا في تحريره. ومن الأهمية بمكان أن التأليف في هذا الموضوع يكون نادراً أو منعدماً، وقد قام محمد بن أبي شنب بإخراج هذا السفر العظيم، معتمدا في تحقيقه على نسختين، وطبع الكتاب في الجزائر بالمطبعة الثعالبية.

وتميز منهج محمد بن أبي شنب في التحقيق بالنقاط الآتية:

- في غالب الأحيان نجد في غلاف الكتاب عبارة اعتنى بتصحيحه.

-يضع مقدمة بين يدي الكتاب المحقق؛ حيث يتحدث عن حياة المؤلف، أو حياة الشاعر إن كان الأمر يتعلّق بإحدى الدواوين، والنسخ التي اعتمدها في التحقيق.

-حرصه على جمع النسخ العديدة.

-تخريج الشواهد.

-تذييل المتن بالشرح والتعليق.

-تصحيح الأخطاء.

-وضع الفهارس.

ومهما يكن من أمر فإنّ محمد بن أبي شنب قد ساهم بشكل كبير في تحقيق التراث العربي والإسلامي، فهو من عمدة المحققين الجزائريين، إلا أنه أصبح من الأعلام المنسيين.

ب)-أحمد زكي (ت 1934م): يعدّ أحمد زكي من روادّ المحققين، وعمدة المتقنين، وقد نوّه بفضله في هذا المجال عبد السّلام هارون فقال: "ولعلّ أوّل من نافح في بوق إحياء التّراث العربي على النّهج الحديث هو المغفور له أحمد زكي باشا الذي قام بتحقيق كتابي أنساب الخيل لابن الكلبي والأصنام لابن الكلبي أيضا؟ ... ولعلّ هذين الكتابين مع كتاب التاريخ للجاحظ الذي حققه أيضا من أوائل الكتب التي كتب في صدرها كلمة تحقيق".[1] وهذه شهادة

1-عبد السّلام هارون، قطوف أدبية حول تحقيق التّراث، مكتبة السّنة، القاهرة، ط1988/1، ص39، 40.

من متمرس ومتخصص في حقّ أحمد زكي، إذ لا يعرف فضل أهل الفضل إلا أهل الفضل مثلهم، والنّاظر في تحقيقات أحمد زكي يرى أنّه يعتمد على جمع النّسخ المخطوطة، والمقابلة بينها، مع إثبات الفروق، ووضع تعليقات، والتّنبيه على ما يرد من تصحيفات في صلب المتن، ويهتمّ أيضا بوضع الفهارس التي تعدّ من مكمّلات التّحقيق.

ج) -محب الدّين الخطيب (ت 1969م): من كبار الأعلام الذين عشقوا التّراث العربي، وصرفوا أوقاتهم في نشره؛ بإنشاء المطبعة السّلفية التي أصدرت كثيرا من الكتب التّراثية، نذكر منها: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتب الملاحن لابن دريد، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر وغيرها من الكتب النافعة الماتعة.

د)-محمّد محي الدّين عبد الحميد (ت1972م): محقّق فذّ، اعتنى عناية كبيرة بالتّراث العربي فأخرج للأمّة العربية عددا هائلا من الكتب المحقّقة، يقول عنه الطّناحي: "وأمّا الشّيخ محمّد الدّين عبد الحميد، فهو صفحة حافلة من تاريخ نشر التّراث العربي، قدّم وحده للمكتبة العربية ما لم تقدّمه هيئة علمية مدعومة بالمال والرّجال".[1] وقد اشتهرت تحقيقاته في الأوساط العلمية ولاقت قبولا متميزا، وسنذكر ضمن هذا الإطار بعضها، وهي كالآتي:

شرح قطر النّدى وبلّ الصدى لابن هشام: يعدّ شرحه هذا من الكتب النحوية المعتمدة والمصنفات المختصرة التي أقبل عليها الطلاب في مشارق الأرض ومغاربها، فكان لها أجمل الأثر في تكوين قاعدة نحويّة متينة عندهم، وقد اعتنى محمّد محي الدين عبد الحميد بتحقيقه؛ وذلك بضبط شواهده وأمثلته، وشرح الأبيات الشعرية شرحا مختصرا مع إعرابها، وقد سمّى "هذه التّحقيقات سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر النّدى".[2] وهي مفيدة جدّا.

شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب لابن هشام: أهمّ ميزة امتاز بها هذا الكتاب أنّ مؤلّفه اهتمّ بباب المبني أكثر مما مشى عليه في شرحه للقطر، كما أنّه ذكر أفعال المقاربة التي أهملها في شرحه للقطر.

1-محمود محمّد الطّناجي، مدخل إلى تاريخ نشر التّراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/1984م، ص70.

2-ابن هشام، شرح قطر النّدى وبل الصّدى، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الخير، دمشق، ط1/1990م، ص8.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: يعدّ شرح ابن عقيل من الشروح المهمّة التي لاقت قبولا كبيرا، وانتشارا واسعا، إذ لم يعمد شارحه إلى الإيجاز المخل، ولا إلى الإطناب الممل، وممّا زاد من أهمية الكتاب تلك التّوضيحات السديدة التي أضافها المحقق محمّد محي الدّين عبد الحميد؛ المتمثلة في شرح الشواهد وإعرابها، وتوضيح بعض المسائل التي تحتاج إلى مزيد بيان وأهم ذلك تلك التكملة التي وضعها في تصريف الأفعال.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام: قام محمّد محي الدّين بتحقيق الكتاب وإردافه بتعليقات ماتعة، وتعقيبات صائبة، تدل على المطلوب، وتجلّي للقارئ الإشكالات، فكانت بمنزلة الشرح لأوضح المسالك، قال محمّد محي الدّين عبد الحميد: "وقد سمّيت هذا الشّرح عدّة السّالك إلى تحقيق أوضح المسالك، وقد عنيت في الشّرح الذي أقدّمه اليوم لقارئ العربية بشرح شواهد الكتاب، وضمّ آلافها إليها، وإعرابها إعرابا واضحا وتخريجها، وذكرما للعلماء في ذلك من مذاهب وآراء".[1] وهذا كله يدلّ على اهتمام المحقّق بنشر كتب ابن هشام النّحوية؛ حتى يعرف الطّلاب قدر هذا العلم الذي فاق الأقران، وطارت بمؤلفاته الرّكبان.

مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: من أهمّ الكتب التي ألفها ابن هشام، وقد حظي بمكانة عظيمة عند العلماء، وهذا راجع إلى تلك الموضّوعات القيمة التي أودعها فيه، خاصة فيما يتعلق بحروف المعاني، وطبيعة أسلوبه المتميّز في عرض القضايا النّحوية، ومناقشة آراء النّحاة وتحليلها.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحوين البصريين والكوفيين لابن الأنباري (ت577هـ): يعد هذا المؤلف من أشهر الكتب التي ذكرت الخلاف النّحوي بين البصريين والكوفيين، وذلك بعرض أدلة الفريقين ومناقشتها والتّرجيح بينها، وقد بلغت المسائل المتنازع فيها في هذا الكتاب مائة وعشرين مسألة، وقد حلاه المحقق بتعليقات ضافية.

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: وهو ما يعرف بمنهج السّالك على ألفية ابن مالك ويعدّ من أغزر الشّروح وأنفعها: لأنّ مصنفه استفاد من الشروح التي سبقته، وأضاف إليها ما

1-ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ج4/1.

يراه مناسب بأسلوب تعليمي، وأهمّ ما ميّز هذا الشرح كثرة الشّواهد التي ذكرها المصنف؛ من القرآن، والأحاديث النّبوية، وكلام العرب، وقد عمل محمّد محي الدّين عبد الحميد على تحقيقه إلا أنّه لم يتمّه.

شرح سعد الدّين التفتازاني على تصريف العزّي: تصريف العزي من المتون المشهورة في علم التّصريف، إذ لا ستغني عنه الطالب المبتدي؛ لنفاسته وإيجازه، وقد قام سعد الدّين التفتازاني بتحليل مبانيه، والغوص في معانيه، فحري بطالب علم التصريف أن يقبل على هذا الشرح النّفيس.

الموازنة: هذا الكتاب من كتب النّقد العربي القديم، التي قامت على الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الطائيين، وقد اشتهر هذا المصنف بين النقاد قديما وحديثا؛ إلا أنّه أحدث جدالا واسعا في الدّراسات النّقدية بين مؤيد ومعارض له من القدامى والمحدثين، وكان من جملة المعارضين المحقق حيث قال: "وأحدّثك على الأخصّ عن تحامله على أبي تمام وإغضائه الإغضاء البالغ عن البحتري".[1] وقد وافق المحقق كثير من المحدثين على هذا الرأي.

شرح المعلّقات السّبع للزوزني: المعلّقات السّبع هي قصائد طوال لبعض شعراء الجاهلية، هم: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمر بين كلثوم، وعنترة بن شداد، والحارث بين حلزة، وقد اعتنى الزوزني بحلّ ألفاظها، وشرح معاني أبياتها، بأسلوب بديع ميسر مبني على الإيجاز والاختصار.

شرح القصائد العشر للتبريزي (ت503ه): تشمل القصائد العشر المعلّقات السّبع، مع إضافة قصيدة الأعشى ميمون، والنّابعة الذبياني، وعبيد بين الأبرص، وقد قام الخطيب التبريزي بشرحها؛ مبينا معانيها، ومرجّحا رواياتها، "ولكنه حشد جملّة من مفردات اللّغة متشابهة الرّسم دون أن يضبطها بالعبارة غالبا، كما حشد جملة من قواعد النّحو والصّرف؛ أكثرها في عبارة موجزة، وأسلوب قد يعسر علي الشاذين فهمه، قد جانب الجادّة التي عليها

1- الآمدي، الموازنة، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، مصر، ط1954/2م، ص3.

جمهرة علماء النّحو في بعض ما جاء به من ذلك".[1] إلاّ أنّ هذا لا يقلل من قيمة الشرح، بل يبقى من أهمّ ما ينبغي أن يطّلع عليه كلّ من يتذوق الشعر الجاهلي.

أدب الكاتب لابن قتيبة: من أهمّ الكتب التي اهتمّت بتصحيح اللّغة، وتطهيرها من الأخطاء الشّائعة، والأغلاط الذّائعة التي تقع فيها العامّة، وممّا زاد من أهمية الكتاب كثرة المسائل الصّرفية التي ذكرها المصنف، وبعض المباحث النّحوية، فَقَمِنٌ بكل كاتّب أو مصنف أن يطلع على هذا المؤلف العظيم.

وقد جاوزت الكتب التي حققها محمّد محي الدّين عبد الحميد أربعين كتابا، فالرّجل له جهود جبّارة في تحيق التّراث، فهو فارس من فرسان هذا الفنّ، ونابغة من نوابغ أهل هذا الشأن إلّا أنّه: "لا يعنى كثيرا بالنّسخ الخطية واستقصائها، وقد يعتمد في نشر بعض الكتب على ما سبق لها من طبعات؛ كما صنع في كتاب شرح الحماسة للتبريزي، ولعلّه يعمد إلى ذلك في بعض كتبه دون الأخرى، حيث تجده في تحقيقه لكتاب معاهد التنصيص يشير إلى النّسخ الخطية ويقابل بين النسخ، وغالبا ما تكون مطبوعة لبيان مواضع الاختلاف بينها".[2] ولعل" هذا ما ينتقد عليه، فلكلّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ، بل كبوات، إلا أنّ تحقيقاته تبقى معتمدة، يستفيد منها طالب العلم.

ه) -عبد السّلام هارون: من الجهابذة المحققين، الذين سخّروا جهودهم وأوقاتهم في خدمة التّراث، وهو أوّل من ألّف كتابا عربيا في منهج تحقيق النّصوص ونشرها، وقدّم للأمّة العربية عشرات المصنفات من كتب التّراث محققة تحقيقا علميا، تدلّ على رسوخه في هذا المجال وبراعته فيه، ومن جملة المؤلفات التي حققها ما يلي:

الكتاب لسيبويه: كتاب سيبويه مصدر أصيل من مصادر كتب النّحو، بل هو أعظمها على الإطلاق، ولأهميته البالغة اعتنى به العلماء: فمنهم من شرحه كالأخفش الأوسط، والمازني والأخفش الصّغير، ومنهم من شرح شواهده كالمبرد، الزّجاج، وابن النّحاس، ومنهم من وضع

1-الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، مكتبة محمّد علي صبح وأولاده، مصر، دط، دت، ص5.

2-عبد الله عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص 93- 94.

عليه نكتا وتعليقات كالجرمي، وثعلب، وقد قام عبد السّلام هارون بتحقيق الكتاب معتمدا على عشر نسخ، ويرى عوض القوزي "أنّ هناك نسخا لهذا الكتاب تعدّ أوثق من النّسخ التي اعتمدها المرحوم هارون، فهناك ثلاث نسخ في تركيا، ورابعة في جامعة برنستون بالولايات المتحدة، فضلا عن الكمّ الهائل من المخطوطات التي أحصاها فؤاد زكين، حيث بلغت ستا وستين نسخة، كما تجمع عند أمبير جنيفييف Imbert Genevieve، وهي باحثة فرنسية بالمركز الوطني للبحث العلمي بباريس سبع وسبعون نسخة من كتاب سيبويه، واكتشف أخيرا في إحدى زوايا الغرب الأقصى نسخة أخرى"[1]. فإذا وجدت هذه النسخ فالأولى الرّجوع إليها، وفحصها فحصا دقيقا ولعلّها تكون أحسن من النسخ التي اعتمدها عبد السّلام هارون. ومن الذين اعتنوا بجمع نسخ الكتاب سليمان العيوني حيث قال: "وفي أثناء جمعي لنسخ كتاب سيبويه من أجل تحقيقه وقفت على نسخ لكتاب سيبويه عليها حواش كثيرة".[2] فإذا أتمّ العيوني تحقيقه للكتاب، وأصدره فسيكون بلا ريب أحسن تحقيق.

البيان والتبيين للجاحظ: من أعظم كتب الجاحظ وأجلها، وقد ألّفه في أواخر حياته وذهب عبد السّلام هارون إلى: "أنّ اسم كتاب الجاحظ هو البيان والتبيّن، وليس البيان والتبيين؛ لأن هذه التّسمية الأخيرة لا تمشي مع المنطق، فإنّ البيان هو التبيين بعينه، ونحن نربأ بالجاحظ أن يقع في مثل هذا العيب في تسمية أشهر كتبه".[3] وما نصّ عليه عبد السّلام هارون من أنّ البيان هو التبيين لا مرية فيه، ويؤكّد هذا ما ورد في لسان العرب، حيث قال ابن منظور: "والبيان ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا: اتضح...

1-خالد بن عبد الكريم بسندي، جهود عبد السلام هارون في تحقيق التراث، ضمن مؤتمر التراث العربي، جامعة آل البيت، الأردن، كانون الأول، 2016م، ص 13-14.

2-أبو علي الفارسي والزّمخشري والعيوني، حواشي سيبويه، تح: سليمان العيوني، دار طيبة الخضراء، الرياض، ط1/2021م، ج13/1.

3-منال جابر محمد عكاشة، عبد السّلام هارون محققا: مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد الحادي والعشرين، يوليو 2009، ص13.

والتبيين: الإيضاح، والتبيين أيضا: الوضوح".[1] وبهذا يظهر جليا أنّ البيان والتبيين يردان بمعنى واحد، وهو الوضوح.

الحيوان للجاحظ: يعدّ هذا المصنّف موسوعة جامعة في علم الحيوان، وقد قام عبد السلام هارون بتحقيقه في ثمانية أجزاء، وهذّبه في جزء واحد.

رسائل الجاحظ: فنّ الرّسائل من الفنون النثرية القديمة، وقد كان الجاحظ من الأعلام الذين كتبوا في هذا المجال فأبدعوا، حيث جمع بين جزالة اللّفظ، وقوّة المعنى، وحقّق عبد السّلام هارون رسائل الجاحظ في مجلدين.

تهذيب اللّغة للأزهري (ت370ه): تهذيب اللّغة من معاجم الألفاظ التي اعتنت بتطهير وتنقية اللّغة من الشوائب، وقد اقتفى الأزهري نهج الخليل في ترتيبه؛ بحسب مخارج الحروف كما أنّه قسّم معجمه إلى كتب، كل كتاب يحتوي على ستة أبواب.

معجم مقاييس اللّغة لابن فارس: من أهمّ معاجم الاشتقاق وأجودها تصنيفا: إذ بناه

مؤلِفه على أمرين أساسين؛ الأوّل تمثّل في فكرة المقاييس والأصول، وذلك بردّ جميع كلمات المادة إلى أصلها المشترك، وهذا خاصّ بالثنائي المضعف والثلاثي، والثاني تمثّل في فكرة النّحت وذلك فيما زاد على الثلاثي، والمتأمل في معجم المقاييس يجد أن الفكرة الأولى هي التي طغت على الكتاب، وقد اعتنى عبد السّلام هارون بتحقيقه تحقيقا علميا، وضبطه ضبطا تامّا، ونشره في ستة مجلدات.

الاشتقاق لابن دريد: كتاب فذّ في بابه، تطرق فيه ابن دريد إلى الاشتقاق اللّغوي لبعض أسماء القبائل وساداتها فقال: "فشرحنا في كتابنا هذا أسماء القبائل والعمائر وأفخاذها وبطونها، وتجاوزنا ذلك إلى أسماء ساداتها وثنياتها".[2] وقد حققه عبد السّلام هارون في مجلد واحد.

1-ابن منظور، لسان العرب، (بين)، ص406.

2-ابن دريد، الاشتقاق، تح: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1/1991م، ص3.

وهذه إشارة إلى بعض الكتب التي حققها عبد السّلام هارون منفردا، وهناك بعض المصنفات عمل على تحقيقها بالتعاون مع محققين آخرين، وأكثر من تعاون معه هو ابن عمته المحدّث أحمد شاكر، فقد حقق بالاشتراك معه المفضليات للمفضل الضّبي، والأصمعيات للأصمعي، وإصلاح المنطق لابن السّكيت، وحقّق مع عبد العال سالم مكرم همع الهوامع في شرح جمع الجوامح للسّيوطي، وحقّق مع أحمد أمين الحماسة للمرزوقي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وحقّق مع عبد العليم الطّحاوي التّنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصّحاح لابن بري (ت582هـ).

والمتمعن في تحقيقات عبد السّلام هارون يلاحظ الملاحظات الآتية:

-يضع مقدّمة للكتاب المراد تحقيقه؛ حيث يتحدث عن حياة المؤلف، وكتابه، والنّسخ التي اعتمدها في التّحقيق كما هو الشأن مع تحقيقه كتاب سيبويه.

-يهتمّ بترتيب النسخ، والمقابلة بينها، ووضع الفروق في الحواشي.

-يعتني عناية كبيرة بضبط متن الكتاب، وتخليصه من التحريفات والتصحيفات التي تنخر كتب التّراث نخرا، وقد ذكر في كتابه تحقيق النّصوص ونشرها نموذجا لتصحيح بعض التحريفات

التي ظهرت له أثناء التحقيقات[1] التي قام بها.

-يخرّج الشواهد.

-يضع علامات التّرقيم.

-يعرّف بالأعلام والطوائف.

-يعلق تعليقات موجزة على بعض المواضع.

-يضع الفهارس التي يحتاجها قارئ الكتاب، ففي كتاب المفضليات الذي حققه مع أحمد شاكر وضع ثمانية فهارس وهي: فهرس الشّعراء، وفهرس القوافي، وفهرس اللّغة، وفهرس الحروف

1-ينظر: عبد السّلام هارون، تحقيق النّصوص ونشرها، ص74.

التي لم تذكر في المعاجم، والفهرس الفني، وفهرس الأعلام، وفهرس القبائل والطوائف، وفهرس البلدان والمواضع. وبلغت فهارس كتاب جمهرة أنساب العرب اثنتي عشر فهرسا.

-نالت كتب الأدب العربي الدّرجة الأولى من تحقيقاته، ثمّ كتب المعاجم، ثمّ كتب الشعر العربي، ثمّ كتب النّحو والتّصريف.

-نالت كتب الجاحظ النّصيب الأعظم من تحقيقاته.

-حقّق أكثر من أربعين كتابا.

و)-عبد العزيز الميمني الرّاجكوتي: من علماء الهند المحققين، والجهابذة العاملين؛ الذين أحيوا لغة القرآن، فعكفوا على دراستها، ووقفوا على مكنوناتها وأسرارها، وقد ساعده في هذا حافظته النّادرة: "فكان يدهش أقارنه وجلساءه بسعة روايته، وسرعة استحضار شواهده، سئل مرّة كم تحفظ من أشعار العرب فقال: نحو مئة ألف بيت".[1] فكان أمّة في قلب رجل، وقد عرف بعنايته الشديدة بالتّراث العربي، فكانت له رحلات وجولات في أنحاء العالم بحثا عن نوادر المخطوطات العربية "حتى غدا المرجع الثّقة في الدّلالة على المخطوطات، ومواضعها وأوصافها".[2] وسنذكر في هذا المقام الكتب التي حققها، وهي كالآتي:

الفاضل في اللّغة والأدب: اعتمد في تحقيقه على نسخة وحيدة موجودة في مكتبة أسعد أفندي بإسطنبول، مجردة من عنوان الكتاب، قال محمّد أبو الفضل إبراهيم: "هذا، ولم نجد في الأصل المخطوط ما يدلّ على عنوان الكتاب، سوى ما جاء في خاتمة النّسخة: كمل فاضل المبرد".[3] وقد نسجه المبرد على منوال كتابه الكامل؛ فذكر فيه أشعار العرب، وغريب اللّغة والنّوادر، وبعض الأخبار المستحسنة والطرائق الأدبية: وحققه عبد العزيز الميمني في مجلد واحد.

ديوان حميد بن ثور الهلالي: من الشعراء المجيدين، قال عنه ابن عساكر(ت571هـ): شاعر مشهور، إسلامي، وقيل: إنّه أدرك النّبي صلى الله عليه وسلم وأنشد شعراً وقيل إنه

1-عبد العزيز الميمني، بحوث وتحقيقات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/1995م، ص7.

2-المرجع نفسه، ص7.

3-المبرد، الفاضل، تح: عبد العزيز الميمني: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1/1956م، ص2.

أدرك الجاهلية".[1] وعدّه ابن عبد البر (ت463ه) في الاستيعاب من الصّحابة فقال: "أسم حميد وقدم على النّبي صلّى الله عليه وسلّم".[2] وعدّه ابن قتيبة من الشعراء الإسلاميين فقال: "حميد بن ثور الهلالي هو من بني عامر صعصعة، إسلامي مجيد".[3] وممّا تقدّم يتبيّن أن بعض العلماء عدّه من الشعراء الإسلاميين، وبعضهم عدّه من الشعراء المخضرمين، وهذا الأمر لا يهمّ، مادام أنّ شعره حجة على كلا القولين.

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس: سحيم من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، قال عبد القادر البغدادي (ت1093ه): "سحيم عبد بني الحساس من المخضرمين، قد أدرك الجاهلية والإسلام، ولا يعرف له صحبة... وقتل سحيم في خلافة عثمان".[4] وله ديوان شعري مطبوع، حقّقه عبد العزيز الميمني معتمدا على نسخة نفطويه.

ما تلحن فيه العامّة للكسائي (ت189ه): درس الكسائي على علماء زمانه كأبي عمرو بن العلاء، والخليل، وغيرهما، فاستفاد من علومهم، وتنقل إلى البوادي يأخذ عنهم اللّغة، ويحفظ أشعارهم حتى تمكن من ناصية اللّغة، وأصبح من أعلم النّاس باللّسان العربي، وكانت له مصنفات عديدة، لم يصلنا منها إلا القليل، كهذا المؤلّف الذي شكك بعضهم في نسبته إليه قال الميمني: "وقد نقبت عن الكتاب في جلّ المظان الحاضرة، لعلّي أقف منه على عين أو أثر أو خُبْر أو خَبَر، فلم يقدّر لي الظفر بالوطر، غير أنّه معزو إليه في الأصل كما أثبت صورته هنا، وأمّا مضمون الكتاب فجلّه لا يلائم ما رواه اللّغويون عن الكسائي...وفيه ما يلائمه بعض الملاءمة أو تمامها".[5] والذي يظهر من كلام الميمني أنّه متردد في نسبة الكتاب إلى الكسائي، فلم يجزم برأي معيّن في المسألة.

1-ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار البشير، دمشق، دط، دت، ج339/5.

2-ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: عادل مرشد، دار الأعلام، الأردن، ط2002/1م، ص179.

3-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، دط، دت، ج390/1.

4-عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط1997/4م، ج102/2، 103.

5-الكسائي، ما تلحن فيه العامّة، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1982/1م، ص69، ص70.

ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد: من الكتب المختصرة التي ألّفها المبرد، وقد أشار إلى مضمونة فقال: "هذه حروف ألفناها من كتاب الله عزّ وجلّ؛ متفقة الألفاظ مختلفة المعاني، متقاربة في القول، مختلفة في الخبر على ما يوجد في كلام العرب؛ لأن من كلامهم: اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين".[1] وقد قام عبد العزيز الميمني بتحقيقه، إلاّ أنّ طبعته وقعت فيها أخطاء كثيرة في تحديد أرقام الآيات، في بعض الأحيان في نص الآيات وقد نبّه عليها أحمد محمّد سليمان أبو رعد[2] في تحقيقه لكتاب المبرد.

والمتأمل في تحقيقات عبد العزيز الميمني يلاحظ الملاحظات الآتية:

-يجمع النّسخ المخطوطة، ويذكر الفروق بينها في الحاشية.

-يصحح ما ينبغي تصحيحه في متن الكتاب مع التنبيه عليه في الحاشية.

-التنبيه على كلام النّساخ الذي اختلط بكلام المؤلّف.

-وضع تعليقات سديدة على الكتاب المحقّق.

وقوع بعض الأخطاء كما سبق في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد.

سليمان العيوني: من المحققين المغمورين، الذين اعتنوا بتحقيق التّراث بدقة عالية، مع جلد وصبر في هذا العمل المضني الذي يأخذ السّنين الطوال من حياة المحقق، وسنذكر في هذا الصّدد تحقيقين له، وهما كالآتي:

ألفية ابن مالك: يعدّ تحقيقه لألفية مالك أحسن تحقيق على الإطلاق، وليس في هذا مبالغة، ومن قرأ تحقيقه لا يتردد في الحكم الذي ذهبنا إليه، ولذلك يعتمد كثير من الطلبة على طبعته أثناء حفظهم لألفية ابن مالك، وقد تميزّ تحقيقه لها بما يلي:

-كتب في الصّفحة الأولى: حققها وخدمها سليمان بن عبد العزيز بن عبد الله العيوني.

-ذكر مقدّمة، ودراسة بين يدي الألفية؛ تضمّنت ترجمة ابن مالك، ونبذة عن الألفية.

1-المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، تح: أحمد محمد سليمان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1/1989م، ص47.

2-المرجع نفسه، ص40، 43.

-ذكر النّسخ التي اعتمدها في التّحقيق، ونماذج لصور المخطوطات.

-ذكر في الحاشية الفروق بين النّسخ.

-ذكر في الهامش الانتقادات التي وجهت لابن مالك؛ ومثال على هذا قول ابن مالك:

وَاحِـــدُهُ كَلِمَـــةٌ وَالْقَـــوْلُ عَـــمّْ وَكِلْمَـــةٌ بِهَـــا كَـــلَامٌ قَـــدْ يُـــؤَمّْ

قال العيوني في الهامش: وكلمة بها كلام قد يؤمّ: هذا معنى لغوي لا نحوي، وكلام ابن مالك في النّحو لا اللّغة؛ فلذا أخذ عليه،... ولذا أصلحه بعضهم إلى:

وَاحِـــدُهُ كَلِمَـــةٌ وَقَـــدْ يُـــؤَمّْ بِهَـــا كَـــلَامٌ لُغَـــةً، وَالقَـــوْلُ عَـــمّْ.[1]

وغيرها من الاعتراضات التي نصّ عليها في الحاشية.

-ذكر تعليقات ماتعة مفيدة مناسبة للمقام كقوله: "يؤيؤ ووعوعا: اليؤيؤ طائر جارح يشبه الباشق، ووعوع فعل ماض من وعوع الذئب ونحوه وعوعة إذا صوت".[2] وغيرها من التعليقات.

-وضع خمسة عشر فهرسا، ممّا يعين الطالب على دراسة الألفية.

حواشي كتاب سيبويه: هي حواش لأربعة وثلاثين عالما: منهم الأخفش الأوسط (ت210ه) وأبو عمر الجرمي (ت225ه)، وأبو عثمان المازني (ت249ه)، والمبرد (ت285ه)، وأبو العبّاس ثعلب (ت291ه)، وأبو إسحاق الزجّاج (ت310ه)، والأخفس الأصغر (ت315ه). وأبو بكر بن السّراج (ت316)، وأبو علي الفارسي (ت377ه)، وغيرهم من العلماء، ولا ريب أن لهذه الحواشي أهمية كبيرة، نوجزها في النقاط الآتية:

"1-ارتباطها بكتاب سيبويه الذي هو أهمّ كتب النّحو، وما زال بحاجة إلى تفسير لبعض مواضعه.

2-أنّ أصحاب هذه الحواشي يتميّزون بميزتين مهمتين، وهما التّقدم الزّمني، والتّقدم العلمي...

3-أنّه جاء في هذه الحواشي تفسيرات وفروق مهمّة لكتاب سيبويه وخاصة في مواضع مشكلة...

4-أنّه جاء في الحواشي كلام على بعض أسرار كتاب سيبويه.

1-ابن مالك، ألفية ابن مالك في النّحو والتّصريف، تح: سليمان العيوني، مكتبة دار المنهاج، الّرياض، دط، دت، ص69، 70.

2-ابن مالك، ألفية ابن مالك في النّحو والتّصريف، ص178.

5- أنّه جاء في الحواشي ذكر لنسخ قديمة جدًا لكتاب سيبويه، ومنها نسخة بخط سيبويه نفسه...

6-أنّه جاء في هذه الحواشي آراء وتعليقات وتعليلات لعلماء لم ترد في كتبهم، أو ما نسب إليهم في كتب النّحو".[1] ونظرا للمنزلة العظيمة لهذه الحواشي في الدّرس النّحوي، تولّى جمعها اثنان من المتقدمين وهما أبو علي الفارسي والزّمخشري، وأتمّ عملها سليمان العيوني في هذا العصر.

وقد تميّز منهج سليمان العيوني في تحقيقه لهذا السّفر العظيم بما يلي:

-ذكر وصفا للنسخ المعتمدة في التّحقيق؛ وهي سبع وثلاثون نسخة.

-اشتمل تحقيقه على بعض صور المخطوطات.

-ذكر الفروق بين حواشي الفارسي والزّمخشري.

-خرّج الشواهد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام العرب.

-ترجم لبعض الأعلام غير المشهورين.

-وضع تعليقات ماتعة.

-وضع علامات التّرقيم الخاصة بالإشمام والرَّوْمِ والإمالة.

-ضبط متن الكتاب ضبطا متقنا.

-وضع عشرة فهارس تحليلية.

وقد استغرق في تحقيقه لهذا المصنّف خمس عشرة سنة.

1-الفارسي والزّمخشري والعيوني، حواشي سيبويه، ج1/5- 9.

المبحث الثالث: طلائع الدّرس الفيلولوجي للغة العربية:

لقم اهتمّ الدّارسون المحدثون بفقه اللّغة العربية، وكانت البدايات الأولى مع طائفة من العلماء الذين سخروا أقلام لخدمة هذا المجال من الدّرس اللّغوي؛ نذكر منهم عبد الواحد وافي ومحمّد المبارك، ورمضان عبد التّواب، وابن شنب الجزائري، وليويس شيخو، ومصطفى الشهابي، وفليب حتى وغيرهم، حيث أسهموا في بناء صرح الدرس الفيلولوجي للغة العربية؛ إمّا عن طريق تحقيق النّصوص القديمة ونشرها، وإمّا عن طريق بعض الدراسات اللّغوية التي قاموا بها؛ كحديثهم عن نشأة اللّغة، والمشترك اللفظي، والتّرادف، والتّضاد، والاشتقاق والخط العربي، والدّعوة إلى العامية، والدّعوة إلى تيسير النّحو، وغيرها من المباحث، وسنذكر في هذا الصّدد جهود وإسهامات بعض هؤلاء الأعلام في فقه اللّغة العربية.

1-علي عبد الواحد وافي:

يعدّ علي عبد الواحد وافي من الدّارسين الأوائل الذين اهتمّوا بفقه اللّعة، وقد تمثلت جهوده في دراسة كثير من المسائل في كتابه فقه اللّغة؛ الذي سطره على النّحو الآتي:

-الباب الأوّل: في اللّغات الأكادية: إذ تناول فيه نشأتها، وخصائصها، ورسمها، ولهجاتها، ومراحلها.

-الباب الثاني: قسّمه إلى ثلاثة فصول: حيث تناول في الفصل الأوّل نظرة عامّة عن الشعوب الكنعانية، وفي الفصل الثاني تحدّث عن اللّغة الفينيقية واللّهجة البونية، وفي الفصل الثالث تحدث عن اللّغة العبرية: مبينا أهميتها، والمراجع التي وصلت إلنا عن طريقها، ومراحل اللّغة العبرية ورسمها.

-الباب الثالث: خصّه للغات الآرامية: مبيّنا نشأتها، ولهجاتها، ونهايتها.

-الباب الرّابع: تحدث فيه عن اللّغات اليمنية القديمة؛ مبيّنا نشأتها، وأقسامها، ورسمها ونهايتها.

-الباب الخامس: خصصه للغات الحبشية؛ موضحا نشأتها، ورسمها، وأقسامها.

-الباب السّادس: تناول فيه اللّغة العربية، وقد قسّمه إلى أربعة فصول: إذ تناول في الفصل

الأوّل: حياة اللّغة العربية، وفي الثّاني عناصرها، وفي الثالث كفاية اللّغة العربية، وفي الرّابع: صيانتها.

وهذه المباحث كلها تصبّ في حقل فقه اللّغة، وقد تناولها علي عبد الواحد وافي بشيء من التفصيل، وأدلى بدلوه، والذي يهمنا في هذا المقام هو ما يتعلّق بفقه اللّغة العربية، وسنكتفي بالحديث عن رأيه في ظاهرة الاشتقاق.

تعدّ خاصية الاشتقاق من أهمّ خصائص اللّغة العربية؛ وذلك لما لها من أثر بليغ في تقريب المعاني وحصرها، وقد اهتم علماء العربية قديما بهذه الظّاهرة اهتماما عظيما، ويدلّ على هذا كثرة المؤلفات في هذا المجال؛ ككتاب الاشتقاق لقطرب، واشتقاق الأسماء للأصمعي، وكتاب الاشتقاق للأخفش الأوسط، وغيرها من المصنفات البديعة التي ألّفها أولئك القوم؛ إيمانا منهم بغزارة العربية وقوّة خصائصها، وقد سار على هذا الدّرب العلماء المحدثون، فتناولوا قضية الاشتقاق، وكان منهم علي عبد الواحد وافي الذي قسّم ظاهرة الاشتقاق إلى ثلاثة أنواع: الاشتقاق العام، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الأكبر.

1-1) - الاشتقاق العام:

يقول في تعريفه: " يرتبط كلّ أصل ثلاثي في اللّغة العربية بمعنى عام وضع له، فيتحقق هذا المعنى في كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة حسب ترتيبها في الأصل الذي أخذت منه".[1] ومن هذا الحدّ يتبين أن الاشتقاق العام هو استلال الكلمات من الجذر اللغوي مع تناسبهما لفظا ومعنى، وذلك بمراعاة أربعة أمو ر رئيسة وهي:

-مناسبة الألفاظ للمعاني مناسبة وضعية.

-وجود الأصل والفرع.

-الاتفاق في الحروف الأصلية الثلاثية.

-التناسب في المعنى؛ لإخراج مثل الذّهب والذّهاب، فهما يتناسبان في الحروف الأصلية دون المعنى.

1-علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص178.

ومن أمثلة الاشتقاق العام كلمة علم يمكن أن نشتق منها: عالم، وعلاّم، وعلّامة، ومعلوم وعليم، ومتعلّم، ومتعالم، وتعالم، ومعلّم، وعلامات، ومعلومة، واستعلام، وغيرها من الكلمات التي تعود إلى الأصل الثلاثي.

ثمّ يستطرد في حديثه عن الاشتقاق العامّ فيقول: "ومن أنواع هذا الاشتقاق نوعان، لم يتوسّع فيهما العرب كل التوسع، ولكن رأى مجمع اللّغة العربية استخدامها قياسا لشدة الحاجة إليهما في مصطلحات العلوم والفنون معتمدا في ذلك على مذهب بعض النّحاة واللغويين:

أحدهما: الاشتقاق من أسماء الأعيان، وقد استخدمه العرب في مئات الألفاظ؛ كاشتقاقهم من أسماء الذّهب والفضة، والجصّ والزّفت كلمات مذهب، ومفضض ومجصص ومزفت...وكاشتقاقهم من أسماء الحجر والناقة...كلمات استحجر الطين إذا يبس، وصار كالحجر واستنوق الجمل إذا حاكى النّاقة...

وثانيهما: المصدر الصناعي، وهو ما يتكون بزيادة ياء النّسب والتّاء على اللفظ... ولم يستخدم العرب هذا المصدر إلا في بضع عشرات من الكلمات منها كلمات الجاهلية والأعرابية واللصوصية"[1]. وتدعيما إلى ما ذهب إليه فإننا نجد في القرآن الكريم كثيرا من الكلمات مشتقة من أسماء الأعيان؛ كقوله تعالى: ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا ٥٧﴾ [سورة النّساء، الآية57]. فكلمة ظليل على وزن فعيل؛ صفة مشبّهة مشتقة من اسم العين الظّل، وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ ٤﴾. [سورة المائدة، الآية 4].

فمفردة مكلبين اسم فاعل؛ مشتقة من اسم عين، وهو الكلب، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ ٢٦﴾. [سورة إبراهيم، الآية 26]. فالفعل اجتث مشتق من الجثة، وهو اسم عين.

1-علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 179-180.

كذلك ورد المصدر الصناعي في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة، الآية 50]. وقوله تعالى:﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحديد، الآية 27]. ووجه الشاهد من الآيتين هو الجاهلية والرّهبانية. وهذه التّسمية أعني المصدر الصناعي لم تكن معروفة بهذا اللفظ عند القدامى، وإنّما أطلقها المحدثون، ولعلّ أوّل من استعملها الحملاوي في كتابه شذا العرف في فن الصّرف.

وما اصطلح عليه علي عبد الواحد وافي اسم الاشتقاق العامّ يقابل عند القدامى الاشتقاق الأصغر، الذي يعدّ أهمّ أنواع الاشتقاق، وأكثر استعمالا في اللّغة العربية، ولا تنصرف أذهان الدّارسين عند إطلاق لفظة الاشتقاق إلّا إليه، بل إنّ علماء العربية الأوائل كانوا يرون بنوع واحد من الاشتقاق، وهو الاشتقاق الأصغر.

2-1) -الاشتقاق الكبير:

أشار إليه بقوله "الاشتقاق الكبير: ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطا مطلقا غير مقيّد بترتيب، فتدلّ كلّ مجموعة منها على المعنى المرتبط كيفما اختلف ترتيب أصواتها".[1]

وبهذا يتّضح أنّ الاشتقاق الكبير يرتكز على أربعة عناصر:

الأوّل: الاتفاق بين الكلمات في الحروف الأصلية دون ترتيب.

الثاني: التناسب بين الألفاظ في المعنى.

الثالث: حصر الاشتقاق الكبير في ثلاثي الحروف الأصلية.

الرابع: اعتماد نظام تقاليب الكلمة.

ثمّ ينوه بفضل ابن جني في هذا المقام فيقول: "ويرجع الفضل في توضيح هذه الطائفة من الرّوابط إلى ابن جني، وقد عقد لها فصلا على حدة في كتابه الخصائص، وأطلق عليها اسم الاشتقاق الأكبر".[2] وبناءً على ما قرره هنا، فإنّ الدّراسات اللّغوية قبل ابن جني لم تعرف

1-علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص180.

2-المرجع نفسه، ص183.

مصطلح الاشتقاق الكبير، حتّى أطلّ علينا هذا العالم الفذ بهذا المصطلح، فهو رائد فكرة تقسيم الاشتقاق إلى قسمين؛ صغير وكبير، والذين جاؤوا من بعده كانوا عيالا له، فقد اقتفوا آثاره وسلكوا مسلكه، واغترفوا من تأصيلاته وتعقيداته.

ومن أمثلة الاشتقاق الكبير مادة ر ك ب التي تكون تقاليبها على النحو الآتي: ركب، وكرب وبرك، وربك، وبكر، وكبر. فهذه التقاليب الستة كلها تعود إلى معنى؛ وهو الإجهاد والمشقة. تعود إلى معنى وهو الإجهاد والمشقة.[1] إلا أنّ المتأمل في هذا الباب يظهر له جليا أنّه غير مطرد في جميع الموادّ، وهذا ما نصّ علي عبد الواحد وافي بقوله: "وقد بالغ بعضهم في هذا النّوع من الاشتقاق وزعم أنّه يطرد في معظم المواد، والحق أنّه لا يبدو في صوة واضحة إلا في طائفة يسيرة من المواد".[2] ولا ريب أنّه أصاب كبد الحقيقة فيما قرره من أنّ الاشتقاق الكبير لا يوجد في اللّغة العربية إلا قليلا، ومن الأمثلة التي نذكرها ضمن هذا النّوع مادة الباء والعين والضّاد، فهي لا تطرد في التّقاليب السّتة كلّها؛ إذ نجد البعض والبضع والعضب والضبع مستعملة ترجع إلى معنى القطع، والعضب والضّعب مهملتان.

3-1) -الاشتقاق الأكبر:

عّرفه بقوله: "ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطا غير مقيّد بنفس الأصوات، بل بنوعها العّام وترتيبها فحسب، فتدلّ كل مجموعة منها على المعنى المرتبطة به متى وردت مرتبة حسب ترتيبها في الأصل، سواء أبقيت الأصوات ذاتها، أم استبدل بها أو ببعضها أصوات أخرى متفقة معها في النّوع، ونعني بالاتفاق في النّوع أن يتقارب الصّوتان في المخرج، أو يتحدا في جميع الصّفات ما عدا الإطباق".[3] وعلى هذا الأساس فإنّ الاشتقاق الأكبر هو ما توفرت فيه الشروط الآتية:

-تناسب الحروف الأصلية من حيث النّوع والمرجع أو من حيث النّوع والصّفة؛ مثال الأوّل: نعق ونهق؛ يشتركان في نوع الحرف والنون والقاف، وفي المخرج؛ لأنّ العين والهاء

1-ينظر: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص182.

2-المرجع نفسه، ص183.

3-المرجع السابق نفسه، ص184.

حرفان حلقيان ومثال الثاني: صقع وسقع، صراط وسراط، فاض وفاظ، صغب وسغب.

-الاتفاق في المعنى: فنعق ونهق مثلا بدلان على الصّوت المستكره.

-عدم الموافقة في جميع الحروف: لأنّه لو كان الأمر كذلك لالتبس بالاشتقاق الصغير والاشتقاق الكبير.

ثمّ يستطرد في توضيح هذه المسألة فيقول: "وقد يختلف في هذا الباب مدلول الكلمتين؛ أحدهما عن الآخر بعض الاختلاف مع بقاء المعنى العامّ للمادة مشتركا فيهما، فمن ذلك أزّ وهزّ...فالأزّ معناه الازعاج والإقلاق، فهو مشترك مع الهزّ في المعنى العامّ للمادّة، وإن كان أقوى منه في الدّلالة على هذا المعنى وأعظم منه وقعا في النفس عندما يراد التعبير عن آثار نفسية ذات بال"[1]. وهذا الذّي ذكره نصّ عليه رائد من رواد الاشتقاق وهو ابن جني، إلّا أنّه لم يخصّه باصطلاح معيّن، وإنّما أدخله ضمن باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ومقصوده من هذا الباب أنّ تقارب الحروف في الكلمتين يؤدي إلى تقارب معناهما، وهذا التقارب قد يكون في حرف واحد أو حرفين أو ثلاثة أحرف من أصول الكلمة، مثل الأزّ والهزّ فإنّ معناهما راجع إلى الازعاج والإقلاق: لتقارب الحرفين الهاء والهمزة في المخرج، وهو الحلق إلا أنّ الأزّ أقوى في الدّلالة على معنى الإزعاج، وذلك لاشتمال الهمزة على صفات القوّة وهي: الجهر والشدة والإصمات، بخلاف الهاء التي تشتمل على صفات ضعيفة وهي: الاستفال والانفتاح والهمس والرّخاوة.

2)- رمضان عبد التواب:

كان من الطلبة المتفوقين، والعلماء البارزين، وقد بزّ الأقران، وخدم لغة القرآن، وذلك بجهوده الكبيرة، وإسهاماته العظيمة، في تحقيق كتب الأولين، من العلماء المتقدمين، وسنذكر في هذا المقام بعضا منها، وهي كالآتي:

لحن العوام لأبي بكر الزّبيدي (ت379ه): هذا الكتاب سبيل من السّبل لإحصاء الأخطاء الشائعة التي انتشرت في زمان المؤلف، فما بال زماننا اليوم، ومقصود الزبيدي من العوام هم

1-علي عبد الواحد وافي، المرجع نفسه، ص185.

الطبقة المثقفة، وهذا ما أشار إليه بقوله: "ثمّ نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وبأفقنا فألفيت جملا لم يذكرها أبو حاتم ولا غيره من اللّغويين فيما نبّهوا إليه ودلوا عليه، مما أفسدته العامّة عندنا: فأحالوا لفظة أو وضعوه غير موضعه، تابعهم على ذلك أكثر الخاصّة... فرأيت أن أنبه عليه وأبيّن وجه الصّواب فيه".[1] فحري بنا أن نهتمّ بمصنفات القدامى التي اهتمّت بالأغلاط الذائعة؛ حتّى يتسنى لنا التّحدث بلغة سليمة، لا سيما في هذا العصر.

وقد قام رمضان عبد التّواب بتحقيق الكتاب متعمدا على نسخة وحيدة موجودة في إسطنبول.

البلاغة للمبرد: هذا الكتاب عبارة عن جواب للمبرد، عن رسالة بعثها إليه أحمد بن الواثق؛ من أولاد الخليفة العبّاسي يسأله:" أي البلاغتين أبلغ، أبلاغة الشعر، أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسّجع؟"[2] فأجابه المبرد، فكانت هذه الرّسالة البديعة القيمة، وقد حققها رمضان عبد التّواب معتمدا على نسختين خطيتين؛ الأولى كاملة، والثانية ناقصة.

قواعد الشعر لثعلب: استهل ثعلب كتابه بذكر قواعد الشعر، وهي أربع: الأمر، والنّهي والخبر، والاستخبار، واستدل عليه بذكر بعض الشواهد، ثمّ أشار إلى أن هذه الأصول تتفرع إلى: المدح، والهجاء، والرّثاء، والاعتذار، والتسبيب واقتصاد الأخبار، ذاكر بعض الشّواهد، ثمّ عرّج بعد ذلك على بعض القضايا البلاغية مثل: التّشبيه الخارج عن التعدي والتّقصير والإفراط في الإغراق، ولطافة المعنى والاستعارة، وحسن الخروج، ومجاورة الأضداد، والمطابق وجزالة اللّفظ، ثمّ تحدّث عن عيوب الشّعر ممثلة في السّناد، والإقواء، والإكفاء، والإجازة وختم كتابه بتقسيمه أبيات الشعر إلى خمسة أقسام وهي: الأبيات المعدّلة، والغرّ، والمحجلة والموضحة، والمرجلة، موضحا هذا التقسيم بالشواهد الشعرية، وقد حقق هذا المصنف رمضان عبد التواب معتمدا على مخطوطتين.

البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لابن الأنباري (ت577ه): ظاهرة التأنيث من الظواهر التي اعتنى بها العلماء القدامى عناية كبيرة، قال السّجستاني (ت255ه): "معرفة التّأنيث

1-الزّبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط2/2000، ص62.

2-المبرد، البلاغة، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط2/1985م، ص80.

والتذكير ألزم من معرفة الإعراب، وكلتاهما لازمة".[1] وممّا يدلّ على هذه الأهمية كثرة المصنفات في هذا المجال: كما هو الشأن مع سهل السّجستاني في كتابه المذكّر والمؤنث، وابن فارس في مصنفه المذكّر المؤنث، والمبرد في مؤلفه المذكّر والمؤنث، وكتابنا هذا الذي اعتنى بتحقيقه رمضان عبد التواب معتمدا على نسخة وحيدة موجودة بإسطنبول.

كتاب البئر لمحمد بن زياد الأعرابي (ت231ه): يعدّ هذا الكتاب من الكتب التي اعتنت بجمع الألفاظ التي تصبّ في معنى واحد، فقد جمع ابن الأعرابي "مجموعة لا بأس بها من الألفاظ التي توصف بها الآبار في حفرها، واستخراج المياه منها، وقلة تلك المياه وكثرتها، وأجزاء البئر، وأنواعها، وأسماء كلّ نوع".[2] وبهذا مهّد ابن الأعرابي وغيره المؤلفين في هذا المجال كالأصمعي وقطرب وأبو زيد الأنصاري لظهور المعاجم فيما بعد.

زينة الفضلاء في الفرق بين الضّاد والظاء لابن الأنباري: لقد اهتمّ علماء العربية والتّجويد بهذا الباب، وأعطوه مكانة مرموقة، حتى كثرت المصنفات في هذا المضمار، وقد أحصاها محمّد عبد الجبّار المعيبد فأوصلها إلى ثمانين كتابا،[3] والمتفحص لها يجد أنها على قسمين؛ قسم يهتم برسم هذين الحرفين، وقسم يهتم بهما من النّاحية النطقية، والكتاب الذي بين أيدينا يبيّن لنا الدّقة التي كان عليها العلماء الأقدمون، وحرصهم الشديد على التفرقة بين الضاد الظاء: حتى لا يقع الخلط بينهما نطقا ورسما، وقد حققه رمضان عبد التّواب معتمدا على نسخة وحيدة موجودة في إسطنبول.

مختصر المذكّر والمؤنث للمفضل بن سلمة (ت300ه): يمثّل هذا الكتاب تلك الحركة اللّغوية التي اهتمّت بباب التذكير والتأنيث عند القدامى، وقد قسّمه المصنّف إلى مقدمة وثلاثة وعشرين بابا.

المذكر والمؤنث للفرّاء: رغم أن كتاب الفرّاء أقدم مؤلف في هذا المجال، إلا أنّه أجاد

1-سهل السجستاني، المذكّر والمؤنث، تح: حاتم الضّامن، دار الفكر، دمشق، ط1/1997م، ص34.

2-ابن الأعرابي، البئر، تح: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية للنّشر والتأليف، مصر، دط، دت، ص6.

3-ينظر: محمّد عبد الجبّار المعيبد، كتب الضّاد الظاء عند الدّارسين العرب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج3، ج2، ص55، 634.

تصنيفه إلىّ حد البراعة، وأتقنه إتقانا، فكان عيالا على من بعده يقتبسون منه، وقد أخرجه رمضان عبد التّواب في أبهى حلة فقال: "واليوم أخرج بحمد اللّه هذه الطبعة الجديدة من كتاب الفرّاء بعد أن أعدت النّظر فيه، فنقحت بعض التعليقات، وأضفت إلى الحواشي شيئا من التخريجات وصححت ما أصاب من النّص من التّحريفات"[1]. فَقَمِنٌ بنا أن نهتمّ بهذا الكتاب البديع الرّائع حتىّ لا نقع في بعض الأخطاء المتعلقة بباب التّذكير التأنيث.

الممدود والمقصور لأبي الطّيب الوشاء(ت325ه): تناول أبو الطيب هذه الظّاهرة نظرا للتشابه بين المقصور والممدود. قال رمضان عبد التّواب: "وقد أدّت هذه الظّاهرة، ظاهرة ترك الهمز إلى اشتباه الممدود بالمقصور، ويبدو بصورة واضحة إذا كانت لكلمة صورتان؛ إحداهما مقصورة بمعنى، والأخرى ممدودة بمعنى آخر، مثل الحيا بمعنى الغيث، والحياء بمعنى الخجل".[2] وهذا كلّه يدلّ على عظمة هذه اللّغة البهية: بما أودعه الله فيها من أسرار وعجائب وقد نشر هذا المؤلف رمضان عبد التّواب معتمدا على نسخة وحيدة بإسطنبول.

واقتصرنا على ذكر هذه الكتب فقط: لأنّ المجال لا يتّسع لأكثر من هذا، وإلاّ فإنّ المصنفات التي حققها فاقت الثلاثين مصنفا، فلله دره من عالم سخر جهوده لإخراج ذخائر العرب، وقد امتازت تحقيقاته بالنقاط الآتية:

-يترجم للمؤلف.

-يذكر نبذه عن الكتاب.

-يذكر النّسخ التي اعتمدها، وعادة ما تكون نسخة واحدة، ولعل هذا راجع إلى عدم عثوره على نسخ أخرى.

-يصنع نماذج مصورة لبعض الصفحات المخطوطة.

-يعلق تعليقات مناسبة في الحواشي.

-بضع الفهارس.

1-الفرّاء، المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، دت، ص4.

2-أبو الطّيب الوشاء، الممدود والمقصور، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، دط، دت، ص3.

ومن جهة أخرى فقد تناول رمضان عبد التّواب كثيرا من القضايا المتعلقة بفقه اللّغة: كحديثه عن نشأة اللّغة، وظاهرة الاشتقاق، والنّحت والتّرادف، والاشتراك اللّفظي، والتّضاد وقضية الإعراب، والخطّأ العربي، والدّعوة إلى العامّية وغيرها من الظواهر اللغوية، وسنكتفي بذكر موقفه من الدعوة إلى العامّية.

1-2) -الدّعوة إلى العامية:

دعوة تدعو إلى استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فهي تدعو إلى إحلال العامية مكان الفصحى في التخاطب والتعبير، فهي بلا ريب دعوة خبيثة، تأباها الفطر السّليمة والعقول السّوية، ولكن للأسف تبناها كثيرون في عالمنا العربي، ودافعوا عنها بحجج واهيات تخلو من التّحقيق العلمي، إلاّ أنّ في هذه الأمّة بقايا خير من أفاضل العلماء، وزينة الفضلاء انبروا للرّد على هذه الفكرة الخطيرة بأدلة بينات، وحجج ساطعات، لا تقبل التّأويل، وكان منهم رمضان عبد التواب الذي قال: "وقد قاد هذه الحملة الشرسة أقوام من المستشرقين وتعاون معهم ذيولهم في الوطن العربي، ممن يتسمون بأسماء عربية: سلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وأنيس فريحة، وسعيد عقل، وغيرهم، ومالهم من العروبة إلا هذه الأسماء. أمّا قلوبهم وأما اتجاهاتهم فإلى الغرب، ضد العربية وضد الدّين، وقد ذهب منهم من ذهب إلى غير رجعة، ومنهم من لا يزال حياّ ينشر المقالات، ويرصد الجوائز والمكافآت لحرب الفصحى وزعزعة أركان الدّين الإسلامي".[1] ولقد صدق فيما قرّره في هذه الأسطر، فحقيقة هذه الدّعوة حرب على الدين الإسلامي والمسلمين: لأنّ القرآن والسّنة لا يمكن فهمهما فهما صحيحا إلاّ بمعرفة الفصحى وضبطها، ولا يتأتى فهم الفصحى والاطلاع على قواعدها وخصائصها إلا بالعكوف على كتب التّراث التي دوّنت باللّغة العربية الفصحى، فهي تهدف–إذن- إلى فصل الأمّة الإسلامية عن تراثها الضخم المجيد.

ثم استطرد رمضان عبد التّواب في ذكر حجج الدّاعين إلى العامية فقال: "أمّا الدّعوى الأولى فقد أثرت بعض التأثير في نفوس الشباب... بأنّ لغتنا الجميلة العربية الفصحى معقدة

1-رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات في اللّغة، مكتبة الخانجي، مصر، ط1/1982م، ص165. 166.

القواعد، صعبة التعلم، كثيرة الشذوذ في مسائلها وقضاياها، بحيث تجعل من استخدامها والتّحدث بها عبئا ثقيلا على أهلها"[1] ثمّ يردّ هذه الدّعوى الباطلة بأن هناك لغات كثيرة في العالم أكثر تعقيدا من اللّغة العربية. "فهذه هي اللّغة الألمانية مثلا تقسم أسماءها اعتباطا إلى مذكر ومؤنث... وجنس ثالث لا تعرفه العربية وهو المحايد ... وإنّ من يشكو كثرة جموع التكسير في العربية، وغلبة الشذوذ على قواعد هذا الجمع فيها، سيحمد للعربية الاطراد النّسبي في هذه القواعد إذا درس الألمانية، ورأى كثرة صيغ هذه الجموع فيها، وفقدان القاعدة التي تخضع لها تماما".[2] وعلى هذا الأساس يتبيّن أن اللّغة العربية ليست معقّدة القواعد، صعبة التّعلم، بل هي محكمة القواعد، سهلة التعلم لمن درسها فوق تأصيل علمي صحيح، وإنّما المشكلة في تلقي ودراسة هذه القواعد على أسس غير سليمة، فلو درس المبتدئ مثلا قواعد النّحو معتمدا على متن الآجرّومية لابن آجرّوم مع شروحه الكثيرة جدّا ثمّ ارتقى إلى قطر الندى وشروحه لكان مسلكه سليما، مراعيا سنة التّدرج في التعّلم، ولو كان دعاة العامّية منصفين حقا لوجّهوا سهام النّقد إلى اللّغات العالمية الأخرى الأكثر تعقيدا من لغة القرآن.

وأمّا حجتهم الثانية فلخّصها وأبطلها في قوله" "أمّا الدّعوى الثّانية؛ وهي أنّ العربية قاصرة على استيعاب علوم العصر، فالرّد عليهم هيّن جدّا؛ لأنّ المنصفين من علماء اللّغة يعتقدون اعتقادا جازما في قدرة كل لغة على التعبير عن آية فكرة متى قامت في نفوس أصحابها".[3] فاللّغة العربية تمتاز بالثراء اللّغوي وكثرة مرادفاتها، فيستحيل أن تبقى عاجزة على مواكبة عصر النّهضة والتّطور، وما ذكره رمضان عبد التّواب عن المنصفين من علماء اللّغة يعدّ دليلا قويا كافيا شافيا في الرّد على دعاة العامّية.

ثم يضيف دليلا ثانيا على بطلان حجتهم الثانية فيقول: وقد امتحنت العربية الفصحى في التّاريخ مرّتين، في ناحية القدرة على استيعاب الأفكار الجديدة، فهذه هي الأفكار الدّينية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الغرّاء قد استوعبتها العربية الفصحى وعبّرت عنها أدق تعبير

1-رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات في اللّغة، ص166.

2- المرجع نفسه، ص166.

3-المرجع السابق نفسه، ص170.

وأبلغه، كما أنّ حركة الترجمة من اللّغات الأجنبية في العصر العبّاسي الأوّل، لم تقتصر العربية الفصحى عن تحمّل تبعاتها"[1]. ويؤكد ما ذهب إليه تلك الترجمات التي قام بها إسحاق بن حنين في العصر العباسي، فقد نقل كتب أجنبية عديدة إلى العربية في شتى العلوم من الطّب والفلسفة، والطبيعة، والبيليوجرافيا، والمنطق، والأخلاق، فقد نشطت حركة التّرجمة في ذلك الزّمان، واستوعبت العربية الأفكار التي كانت موجودة في الحضارة اليونانية.

ثمّ يذكر دليلا ثالثا على بطلان الحجةّ الثانية فيقول: "وما نجاح تدريس الطّب بالعربية الفصحى في سوريا الشقيقة في عصرنا الحاضر، إلا برهان آخر على قدرة لغتنا الجميلة على استيعاب علوم العصر والتعبير عن مظاهر مستحدثات الحضارة".[2] فهذه حجّة دامغة فالواقع يكذّب ما استند إليه دعاة العامّية من قصور العربية عن استيعاب العلوم، وأنّ حجتهم أوهى من بيت العنكبوت، فلو كان ما ادعوه صحيحا لفشل مخطط تدريس الطّب في سوريا، ولكنّه استمر.

ثمّ ينتقل رمضان عبد التّواب إلى الحجّة الثاّلثة التي ارتكز عليها دعاة العامّية فيقول: "أمّا الدّعوى الثالثة فإننا نرى كيف تعلو من آن لآخر صيحات أثيمة في الوطن العربي تدّعى صعوبة الكتابة بالفصحى، وتدعو لذلك إلى هجرها، والكتابة بالعامّية".[3] وهذه فرية افتراها أولئك القوم تنفيرا من الفصحى البهية، ولا يشكّ في بطلانها من له أدنى معرفة بقواعد الرسم في العربية: فلو تأمّلنا مثلا كتاب قواعد الإملاء وعلامات الترقيم لعبد السّلام هارون لوجدنا أنّ قواعد الكتابة في اللّغة العربية سهلة مبسوطة لمن أراد أن يتعلّمها، لأنّ لغة القرآن تتميز بنظام معيّن، بخلاف العامّية التي تختلف ضمن البلد الواحد، فما بالك بالبلدان الأخرى، ممّا يجعل قواعد الكتابة فيها صعبة جدّا، بل قد تستحيل؛ لأنّ العامية لا تسير وفق نظام معيّن له خصائص معيّنة.

ثمّ يستطرد رمضان عبد التّواب في ردّ صعوبة الكتابة بالفصحى فيقول: "ولقد يلفت

1-رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات في اللّغة، ص171، 172.

2-المرجع نفسه، ص172.

3-المرجع السابق نفسه، ص172.

النّظر أن قطب الدّعاة إلى العامّية في نصف القرن الماضي، وهو سلامة موسى، لم يكتب واحدا من مؤلفاته، أو يسطّر كلمة في مقالاته باللّغة التي كان يدعو إليها، فهل ترى أقسى من هذا على نفوس هؤلاء الحاقدين الحاسدين؟"[1]. وبهذا يتبين أنّ دعاة العامّية يعتقدون في قرارة أنفسهم أنّ العربية الفصحى هي لغة البيان، فبها يتمّ التّخاطب على أتمّ وجوهه، وأن العاميّة عفى الدّهر عنها، ونسيت آثارها: لأنها غير متنوعة الأساليب، خالية من الصّور البلاغية والتّراكيب البديعة.

وممّا سبق يتّضح جليا أن رمضان عبد التّواب قد وفق في نسف أباطيل دعاة العامّية وقارع الحجة بالحجة بكلمات مضيئة، وعبارات راقية، فأبدع في الرّد عليهم، وبيّن ما تكشفه هذه الدّعوة من مخاطر عظيمة على المسلمين، ومن أراد الاستزادة والتّفصيل فعليه بكتاب تاريخ الدّعوة إلى اللّغة العامية وآثارها في مصر للدّكتورة نفوسة زكريا سعيد؛ وهو كتاب قيّم يجلّي لك الحقائق، فينبغي لكلّ متجرد للحقّ أن يقرأه قراءة متأنية واعية، متمعنا في خباياه وما يدبّر للمسلمين من مكائد: لأنّ العامّية سبيل من سبل تفرق المسلّمين: لاختلاف لهجاتها في الوطن العربي، بخلاف الفصحى فهي لغة واحدة لا تختلف، فالقضية أعظم من أن توصف بحال والله المستعان.

3)-محمّد المبارك:

يعدّ من الباحثين البارزين الذين يرون التّسوية بين فقه اللّغة وعلم اللّغة، وقد نص على هذا في كتابه فقه اللّغة نصّا فقال: "إنّ علم اللّغة بهذا المفهوم الذي بسطناه، والذي آل الأمر إليه في تطور البحث اللغوي، نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين علم اللّغة أو فقه اللّغة وكلاهما يفيد المقصود"[2]. وإنّ المتفحص لكتابه فقه اللّغة: دراسة تحليلية مقارنة الكلمة العربية ليلمس أن فقه اللّغة يبحث في النقاط الآتية:

-الأصوات اللّغوية من حيث مخارج الحروف وصفاتها، والتبدلات الصوتية، وغيرها من المباحث.

1-رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات في اللّغة، ص173.

2-محمّد المبارك، فقه اللّغة دراسة تحليلية مقارنة للكملة العربية، مطبعة جامعة دمشق، دط، دت، ص26.

-الاشتقاق بأنواعه.

-الصّيغ: تتمثل في دراسة أوزان الأسماء والأفعال، وبيان وظيفة هذه الأبنية وتصنيفها، وغيرها من المباحث المنعقدة ضمن هذا الباب.

-معاني الألفاظ: وهذا الباب أطال فيه النّفس، وذلك بتعريجه على أمور كثيرة: نذكر منها دلالة اللفظ على المعنى، وعناصر المعنى، وحروف المدّ، والحركات، وما إلى ذلك.

-التراكيب: أشار إليها بقوله: "وأمّا التراكيب فيبحث علم اللّغة في تراكيب اللّغات ونظم الكلام، وتركيب أجزائه فيها، وفي طريقة ربط الكلام والأدوات الرّابطة، ووظائف الكلمة في التركيب"[1]. وهذا الباب مهمّ جدّا، بل هو من أوسع الأبواب التي ينبغي التّركيز عليها، والإحاطة بها.

-تأثير اللغات فيما بينها.

-دراسة اللّهجات المتفرقة عن اللّغة.

-الرّسم.

ولكثرة المباحث التي تناولها فإننا سنقتصر على صفات الحروف وكيف تناولها؟ لأن المقام مقام إنجاز.

قبل الولوج فيما قرره المصنف في كتابه فقه اللّغة، تجدر الإشارة إلى أنّ مبحث الصّفات مبحث رفيع القدر، عظيم الشأن؛ لما يكتسيه من أهمية كبرى في نطق الأصوات قال أبو عمرو الدّاني: "اعلموا أنّ قطب التّجويد وملاك التّحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها".[2] فهذه إشارة لطيفة لعلم من أعلام القراءات إلى مكانة الصّفات في علم التّجويد ولكن للأسف–اليوم- ندرسها دراسة نظرية بعيدة عن المبتغى والهدف المسطر؛ لأن الأمر الذي يرمي إليه دارس الصّفات هو تقويم لسانه من الخطأ في النطق، وهذا يحتاج إلى الجانب التطبيقي المغيب في الجامعات.

1-محمّد المبارك، فقه اللّغة، ص10.

2-أبو عمرو الدّاني، التّحديد في الإتقان والتّجويد، تح: غانم قدوري، دار عمّار، عمان، طبعة 1999م، ص102.

افتتح محمّد المبارك باب الصّفات بحديثه عن صفتي الجهر والهمس فقال: "وقد عرّف قدماؤنا الحروف المجهورة بأنها التي أشبع الاعتماد في موضعها، ومنع النفس أن يجري معها حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصّوت، وهي أ، ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ط، ظ، ع، غ، ق، ل م، ن و، ي، وأمّا المهموسة فهي التي ضعف الاعتماد على مخرجها حتى جرى النفس معها وقد جمعت في قولك (فحثه شخص سكت)"[1]. ولعل أوّل من أشار إلى الحروف المجهورة والمهموسة سيبويه في الكتاب، وتبعه في ذلك من جاء بعده من علماء العربية والتّجويد، وبهذا كان لعلماء العربية قصب السّبق في تناول مسألة صفات الحروف، وعند النّظر في التعريف المذكور آنفا يتبيّن أنّ الفرق بين الجهر والهمس عند القدامى هو جريان النّفس عند النّطق بالحرف أو انحباسه وهذا ما نجده مجسدا عند تلاوات القرّاء المجيدين في هذا الزّمان، وأمّا المحدثون العرب[2]. فذهبوا إلى أنّ الصوت المجهور هو الذي يهتزّ الوتران الصّوتيان أثناء النّطق به، والمهموس هو الذي لا يهتزّ الوتران الصوتيان عند النطق به.

ثمّ ينتقل محمّد المبارك إلى بيان تقسيم المحدثين الغربيين فيقول: "وهذا التّقسيم موجود عند الغربيين ممن ألفوا في هذا العصر، وهم يسمّون النّوع الأول بالفرنسية (Occlusives) ومعناها المغلقة، والثاني (Spirantes) ومعناها النّافخة أو ذات النّفس، وقد يسمونها المستمرة (Continues) والمصطكة (Fricative) وهي تقابل المجهورة والمهموسة حسب التعاريف التي أوردها مؤلفونا القدماء".[3] وبهذا يتضح جليا أن العلماء العرب القدامى كان عندهم نضج علمي فعلى الرّغم من عدم توفر الوسائل وانعدام التكنولوجيا إلا أنهم اهتدوا إلى هذا التقسيم، إلا أنّ تفريقهم بين صفتي الجهر والهمس المعتمد على جريان النّفس أو انحباسه قد يحدث إشكالا وذلك لالتباسه بصفتي الشّدة والرّخاوة، فكان من باب أولى اعتماد الضابط الذي قرره المحدثون المتمثل في اهتزاز الوترين، أو عدم اهتزازه: لارتكازهم على حقائق علمية في ظل هذا التّطور.

1-محمّد المبارك، فقه اللّغة، ص35.

2-ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص21-22.

3-محمّد المبارك، فقه اللّغة، ص35- 36.

ثمّ ثنّى بصفات الشّدة والرخاوة والتّوسط عند القدامى فقال: "وتقسم الحروف كذلك إلى شديدة، ورخوة، ومتوسطة. فالشديدة هي التي يمتنع الصّوت أن يجري معها...ويجمعها قولك أجدك طبقت، والرّخوة هي التي يجري فيها الصّوت كالشين والسين والخاء. والمتوسطة بين الشدة والرّخوة ويجمعها قولك: لم يرو عنّا".[1] وبناءً على ما ذكره يكون التقسيم كالآتي:

شديدة محصنة: وهي الهمزة، والجيم، والدّال، والكاف، والطّاء، والباء، والقاف والتّاء.

متوسطة بين الشدة والرّخوة: وهي اللّام، والميم، والياء، والواو، والعين، والنّون، والألف.

-رخوة محصنة، وهي الحروف المتبقية.

ثمّ عرج على تقسيم الغربيين فقال: "وللغربيين تقسيم آخر للحروف، فالحروف التي تهتز حين إخراجها الحبال الصّوتية تسمّى حروفا صائتة (Sonores) وعلامتها أن تشعر بهذا الاهتزاز إذا سددت أذنيك ونطقت بها، والحروف التي لا تهتز الحبال الصّوتية عند إخراجها تسمى صامتة (Sourdes)، ومثال الأولى الـ(ب، د، ذ، ج، ف، ق) ومثال الثانية الـ (ف، ت، س، ك ش، ب)"[2] وما سطره هنا ينطبق على الأصوات المجهورة Snonores والأصوات المهموسة Sourdes، فلذلك من باب أولى أن يقال: إنّ مقابل الصّوت الشديد عند الغربيين هو: Fricative، وهذا ماقرّره إبراهيم أنيس[3] في كتابه الأصوات اللّغوية.

ثمّ ثلّث بصفة الاستعلاء فقال: "ومن صفات بعض الحروف الاستعلاء، وهو التّصعد في الحنك الأعلى، والحروف المتصفة بالاستعلاء (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق)"[4]. وسميت هذه الحروف مستعلية؛ لأن أقصى اللّسان يعلو بها إلى جهة الحنط الأعلى عند النطق بها، وصفة الاستعلاء من صفات القوّة مجموعة في قولهم خص ضغط قظ، وقد ذكرها ابن الجزري في قوله:

1-محمّد المبارك، فقه اللّغة، ص36.

2-المرجع نفسه، ص37.

3-ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص24، 25.

4-محمد المبارك، فقه اللغة، ص37.

وبَــيْنَ رِخْــوٍ وَالشَــدِيدِ لِــنْ عُمَــرْ وَسَبْعُ عُلْوٍ خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ.[1]

فكلمة علو في قول النّاظم إشارة إلى صفة الاستعلاء، وكلمة سبع تدلّ على أنّ حروف الاستعلاء سبعة، والحروف المتبقية هي حروف الاستفال.

وهذا التقسيم الّذي ذكره محمدّ المبارك للصّفات هو تقسيم باعتبار التّضاد، وأهمل ضمن هذا الباب صفة الإطباق؛ وحروفه أربعة وهي: الصّاد، والضّاد، والطاء، والظاء، وصفة الانفتاح وحروفه خمسة وعشرون حرفا، وهي الحروف المتبقية. وأما صفتي الذّلاقة والإصمات فسيذكرها فيما بعد.

ثمّ انتقل إلى ذكر الصّفات غير المتضادة فقال: "ومن صفات الحروف القلقلة: (ق، ط ب، ج، د)"[2]. والقلقلة عبارة عن نبرة قوية تلحق الحرف عند النّطق به ساكنا من مخرجه وحروفها خمسة مجموعة في قولهم قطب جد، وهي على ثلاث مراتب:

المرتب الأولى: وهي أقواها، وذلك إذا وقفنا على أحد حروف القلقلة مشددا كقوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ ١٣﴾ [سورة الكهف، الآية 13]. فعند النطق بكلمة الحقّ موقوفا عليها، يسمع للقاف المشددة نبرة قوية جداّ.

المرتبة الثانية: إذ وقفنا على أحد حروف القلقلة غير مشدد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [سورة ص، الآية05]. فالباء في كلمة عجاب يسمع لها نبرة قوية، لكنّها أقل من الحالة الأولى.

المرتبة الثالثة: إذ كان أحد حروف القلقلة في وسط الكلمة ساكنا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ [سورة المؤمنون، الآية 12]. فالقاف في خلقنا يسمع لها نبرة، لكنّها أضعف من الحالتين السّابقتين.

1-ابن الجزري، المقدمة في التجويد، تح: سمير زبوجي، مكتبة علوم القرآن، الجزائر، ط1428/1هـ، ص20.

2-محمّد المبارك، فقه اللّغة، ص37.

ومن الصفات التي ذكرها أيضا صفة الذّلاقة فقال: "والذّلاقة: (ب، ر، ف، ل، م، ن)[1]. والإذلاق في الاصطلاح هو خفة النّطق بهذه الحروف المجموعة في قولهم: فرّ من لبّ، ويقابلها الإصمات، فلذلك كان من باب أولى أن يذكرها مع الصفات المتضادة، وهاتان الصّفاتان ليست لهما دلالة صوتية، وإنّما محلّ ذكرهما في هذا الباب أنّ الكلمة الرّباعية والخماسية إذا وردت معرّاة من هذه الحروف فهي ليست عربية مثل: العسجد: الذهب والزهزقة: شدة الضحك والعسقد: الطويل الأحمق.

وكذلك أشار إلى الصّفة الخاصة بالرّاء فقال: "والتكرّار: (ر)"[2]. والتكرير عبارة عن قبول الرّاء للتكرير؛ لارتعاد طرف اللّسان عند النطق به، وحرف الرّاء هو أكثر الحروف اشتمالا على الصّفات، وهي: الذلاقة، والانحراف والتكرار، والفتح، والجهر، والاستفال، والتّوسط، فالحرف الوحيد المشتمل على سبع صفات هو الرّاء.

ومن الصّفات التي نوّه بها أيضا: "التفشي: (ش): والصفير: (ص، س، ز)"[3]. والتفشي هو انتشار الرّيح في الفم عند النّطق بحرف الشّين، والصفير هو صوت زائد يشبه صوت الطائر يصحب النّطق بأحرفه.

وأشار أيضا إلى صفة الغنة فقال: "ومنها الغنّة، وهي في العربية من صفات الميم والنّون في أكثر أحوالهما، ولكنها تعتري حروفا أخرى في بعض اللّغات، فإنّ جميع الحروف يمكن أن تلفظ بغنة، وذلك إذ أخرج النفس من الأنف حين التّلفظ بها"[4]. والغنّة صوت يخرج من الخيشوم، وهذا ما قرره ابن الجزري في المقدمة فقال:

لِلشَّـــفَتَيْنِ الْـــوَاوُ بَـــاءٌ مِـــيمُ وَغُنَّـــةٌ مَخْرَجُهَـــا الْخَيْشُـــومُ[5]

وبناءً على قول ابن الجزري فإنّ الغنّة من مباحث مخارج الحروف، وعدّها بعضهم من صفات الحروف، وهذا هو الذي مشى عليه محمّد المبارك، والغنّة من الصفات الملازمة للنّون

1-محمّد المبارك، فقه اللّغة، ص37.

2-المرجع نفسه، ص37.

3-المرجع السابق نفسه، ص37.

4-المرجع السابق نفسه، ص37.

5-ابن الجزري، المقدمة الجزرية في التّجويد، ص20.

والميم المشددتين، والنّون السّاكنة في حالة الإدغام بغنّة، وحالة الإخفاء، وحالة الإقلاب، والميم في حالة الإخفاء، وفي حالة إدغامها في ميم مماثلة.

وختم مبحث الصّفات بصفة اللّين فقال: "ومن صفات الحروف اللّين، وهي صفة الواو والياء السّاكنتين في نحو بيت وخوف، وهما في هذه الحالة متوسطان بين حروف المدّ الهوائية أعني الـ (ا، و، ي)، والحروف الأخرى المعتمدة على مخارجها"[1]. واللّين في الاصطلاح هو خروج الواو والياء السّاكنتين بعد فتح مع لين وسهولة، وعدم كلفة على اللّسان، وهو مختص بالواو والياء.

1-محمد المبارك، فقه اللّغة، ص37.

الفصل الثالث:

اللّغة العربية في ظلّ المناهج الفيلولوجية الغربية

لقد كان للمستشرقين دور كبير، ونشاط واسع؛ وذلك بتأليف الكتب، ونشر المجلات، والتّدريس في الجامعات العربية، وعقد المؤتمرات، والاشتراك في المجامع العربية فكان من الطّبيعي أن يتأثرّ بها العالم العربي، خاصة أولئك الذين درسوا على المستشرقين مما أدى إلى الانفتاح على المناهج الفيلولوجية الغربية، والاغتراف منها في دراسة اللّغة العربية.

المبحث الأول: الفيلولوجيا الغربية وأثرها في دراسة اللّغة العربية:

مما لا ريب فيه أنّ لعلماء الغرب جهودا لا يستهان بها في دراسة اللغة العربية؛ وذلك بتحقيق التّراث العربي ونشره، محاولين إثراء المكتبة العربية بكمّ هائل من كتب المتقدمين وقد سبقت الإشارة إلى هذا في الفصل الثاني، كما كانت لهم بحوث في مجالات عديدة؛ ففي مجال الصوتيات كتب جان كانتينو Jean Cantineau دروس في علم أصوات العربية، وكتب هنري فليش Henri Fleisch التفكير الصّوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب، وفي ميدان النحو العربي ألف المستشرق الفرنسي دي ساسي desacy كتاب النحو العربي، وألف كاسباري Caspari كتاب النحو العربي، وكتب برجشتراستر Bergstrasserكتاب التّطور النّحوي، وفي مجال الأدب ألف برو كلمان Brokelmann تاريخ الأدب العربي، وألف إيفالد فاجنر Ewald Wagner كتاب الشعر العربي القديم، وفي مجال فقه اللغة تحديدا ألّف مجموعة من المستشرقين الأساس في فقه اللّغة، وألّف بروكلمان فقه اللغات السامية وألّف نولدكه Noldeke كتاب اللّغات السّامية، وغيرها من المصنفات التي كان لها الأثر البالغ في دراسة اللّغة العربية، وسنعرج في هذا المقام على دراسة بعض الظواهر اللّغوية وكيف تعامل معها المستشرقون، ومدى تأثيرها في الدراسات العربية.

1)-النحو العربي والمنطق الأرسطي:

إنّ النّحو هو لبّ اللباب، وجوهر اللّغة وروحها: إذ به يصون المرء لسانه عن الخطأ في الكلام، وبه يتمّ فهم الكتاب والسّنة فهما صحيحا، وكيف لا يكون ذلك كذلك وقد نشأ النّحو العربي في بيئة إسلامية صافية، لا تكدرها تلك الأفكار الكلامية، والرؤى الفلسفية إلّا أنّ هناك دعوات حمل عبئها جماعة من المستشرقين مفادها أنّ النحو العربي في نشأته تأثر بالمنطق

الأرسطي، وكان على رأس هؤلاء أدالبير مركس A, Merx في كتابه تاريخ صناعة النحو عند السريان الذي قرّر فيه مجموعة من الافتراضات؛ ليستدل على ما ذهب إليه يقول مركس في الافتراض الأولّ: "لقد احتاج الفكر اليوناني إلى قرون من العمل المجهد حتى يفرّق بين أحوال الكلمة التركيبية وأمثلة الفعل الزّمانية أو الوصفية، ويتفطن إلى الائتلاف القائم بين أجزاء الجملة"[1].

والجواب أن يقال: إنّ النّحو العربي نشأ على أيدي علماء أجلاّء، وفطاحلة أذكياء؛ من أمثال أبي الأسود الدؤلي (ت69ه)، وعنبسة بن معدان الفيل، ونصر بن عاصم (ت 89ه) وميمون الأقرن، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت 117ه)، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت 127ه) ويحي بن يعمر العدواني (ت 129ه)، وعبد العزيز القارئ المدني الملقب ببشكست (ت 130ه) وأبي عمرو بن العلاء (ت154 ه)، وحماد بن سلمة (ت 167ه) والخليل (ت 175 ه)، ويونس بن حبيب (ت 183ه) وغيرهم من الذين أسهموا في بناء صَرْحِ النحو العربي حتى استوى على سوقه في كتاب سيبويه في مدة زمانية قاربت القرن، وهي كافية؛ لأنّ هذا الفنّ اشتغل عليه عدد كبير من العلماء ممّا سهّل سبيل تكوينه.

بالإضافة إلى البيئة الإسلامية التي نشأ في أحضانها في ظلّ وجود القرآن الكريم والسّنة النّبوية، وكلام العرب الأقحاح، ممّا مهّد الطّريق أمام النّحاة لاستنباط القواعد النّحوية فكان من الطبيعي أن تختلف ظروف نشأة النّحو العربي عن ظروف النّحو اليوناني؛ إذ لكل حضارة مقوماتها ومبادؤها، وهذا ما يبطل القياس الذي بناه مركس من أنّ النّحو العربي يحتاج إلى قرون لتأسيسه، كما هو الشأن مع النّحو اليوناني، يقول عبد الرحمن الحاج صالح في صدد ردّه على هذا المستشرق " إنّما الذي نأباه أن يلحق شيئا بشيء، وليس في الثاني ما في الأوّل من العلّة، وهذا أبسط الاستدل (قياس شبه)، ولا يعدّ من أساليب البرهان الدّقيقية[2]. وممّا يؤكد الفرق بين الحضارتين العربية واليونانية ما نقله أبو هلال العسكري (ت395ه) حيث قال: "

1-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1/ 48.

2-المرجع نفسه، ج 1/ 49.

كان الخليل يقول: أثقل السّاعات عليّ ساعة آكل فيها"[1]. لأنها تحبسه عن العلم، فهذا حال أعلام الأمّة العربية الإسلامية الذين سخّروا أقلامهم في خدمة لغة القرآن والدّفاع عن حياضها، وما أظنّ أنّ أمثال الخليل يوجدون في الحضارة اليونانية.

ويقول مركس في الافتراض الثّاني: "إنّه ابن خلدون لا يفهم أن رسم هذا العلم في أوّل نشأته كان موقوفا على المنطق والعلم والفلسفة.... وفي صفحه 16 من مقالته: إنّهم (أي مؤرخو النّحو) كانوا يجهلون أنّ النّحو قد بني على المنطق"[2]. فهذا مجرد ادّعاء ادعاه دون أن يأتي بأدلة واضحة، وحجج قاطعة، فإنّه ليس من الضروري أن يعتمد النّحو العربي على المنطق، فهما يختلفان اختلافا كبيرا في الهدف؛ فالنّحو العربي يهدف إلى صيانة اللّسان العربي من الخطأ في الكلام، والمنطق يرمي إلى الإصابة في الفكر، وعصمته من الزّلل.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح: " فليس من اللاّزم أبدا أن يؤسس النّحو على المنطق فإنّ بين الفكر واللغة فوارق جوهرية، وقد أثبت علماء النفس من جهة والمنطقيون المعاصرون من جهة أنّ الكلام لا يطابق كلّ ما يجري في الذهن...فالنظام المنطقي غير النظام اللّغوي الذي خلق للإفادة[3]. وهذا رد كان شاف على ما سطّره مركس.

ويقول مركس في الافتراض الثّالث: "ممّا يتأسف له أنّ صاحب الفهرست سكت سكوتا تامّا عن خبر المناهل التي استقى منها النحاة الأقدمون معلوماتهم .... ولم يعرض السيوطي طوال هذه المقالات ولو بكلمة واحدة لمسألة مصادر هذه الأبواب النّحوية نفسها فإن نظرته إلى الأشياء من خلال زاوية عربية لا غير، تشغله شغلا عظيما حتى أنه لا يبالي بمصادر هذه الأبواب، ومع ذلك فإنّ المشكلة أن يعرف من أين استقوا معلوماتهم"[4]. وهذه هي عادة مركس أن يطلق افتراضات بلا أدلة، وأحكاما جزافية دون الاستناد إلى دليل علمي ومناقشته في هذه المسألة من وجوه:

1-أبو هلال العسكري، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تح: محمود الحداد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 1، 1412هـ، ص 47.

2-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1/ 48.

3-المرجع نفسه، ج50/1.

4-المرجع السابق نفسه، ج48/1.

-أنّ كتب التّراجم والتّاريخ لم تذكر أنّ النحاة العرب الأقدمين تأثروا بالمنطق الأرسطي ولو حصل هذا لنقل إلينا عن طريق العلماء الثّقات. يقول عبد الرحمن الحاج صالح: " لم يذكر أحد أنّ النحاة القدماء العرب أخذوا من اليونان، ولا من غيرهم معنى واحدا من معاني النّحو أو يقاربه .... لقد أظهر المؤلفون هذا الاقتباس عندما وقع وحصل كما يشير إليه كل مترجم، إذ يذكر عن علي بن عيسى الرّماني أنه أوّل من مزج النحو بالمنطق"[1]. فمقصوده أنّ النّحو العربي في طور النّشأة لم يتأثر بالنّحو اليوناني، وإنّما حصل هذا في القرن الرّابع الهجري على يد علي بن عيسى الرّمّاني (ت 384هـ) الذي مزج النّحو بالمنطق والفلسفة حتى أصبح كلامه غامضا لا يكاد يفهم منه شيء، وإلى هذا المعنى أشار أبو علي الفارسي حيث قال: "إن كان النّحو ما يقوله أبو الحسن الرّماني فليس معنا شيء منه، وإن كان النّحو ما نقوله فليس معه منه شيء"[2]. ومقصود أبي على أنهم كانوا لا يفهمون من كلام الرمّاني شيئا.

-ولو كان النّحو العربي في طور النّشأة وليد تأثيرات يونانية، لوجدنا لمؤلفاتهم وأعلامهم ذكرا في كتب النّحاة القدامى، " فهذا كتاب سيبويه أقدم ما وصل إلينا منهم نقرأ فيه أسماء كلّ شخص أدلى برأي في مفردة أو تركيب أو باب من أبواب النّحو، ولا نعثر على اسم عالم من السّريان أو اليونان القدماء"[3]. وقد عمد تروبو Troupeau إلى إحصاء "من وردت أسماؤهم في الكتاب؛ فابن أبي إسحاق ورد سبع مرات، وأبو الخطاب (58)، وعيسى (20)، ويونس (217) وغيرهم فالكتاب ليس نبتا بلا جذور، بل هو ثمرة لشجرة شارك هؤلاء النّحاة وغيرهم في رعايتها على مدى قرن من الزّمان، تتابعت فيها جهودهم فتمخضت عن الكتاب"[4]، وهذا كلّه يدل على أصالة النحو العربي، وأنّه تفكير عربي محض؛ لا تشوبه شائبة من شوائب اليونان، ولا خزعبلة من خزعبلات السّريان.

1-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1/ 52.

2-أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة 1998م، ص 276.

3-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1/ 52.

4-إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، الأردن ، ط2/ 1992، ص 50.

- فضلا عن ذلك لو كان الأمر كما ادّعاه المستشرق مركس لوجدنا بعض المصطلحات المتعلقة بالمنطق كالجنس، والنّوع، والجوهر، والعَرَض في كتاب سيبويه، وإنّما وجدناها في مؤلفات المتأخرين كابن هشام مثلا؛ حيث يقول في شرح قطر النّدى وبل الصّدى: " والإعراب جنس تحته أربعة أنواع"[1]. ويقول في موضع آخر: "ينقسم الظّرف إلى زماني ومكاني، والمبتدأ إلى جوهر كزيد وعمرو وعرض كالقيام والّقعود"[2]. فهذه مثلا دلائل قاطعة: لا تقبل الشك في تأثر النّحو بالمنطق اليوناني عند متأخري النّحويين.

-عدم التطّابق أو التّشابه بين الأسس النّحوية العربية، والأسس اليونانية "وهذا ما حاول أن يثبته بالمقارنة بين أصول المنطق الأرسطو طاليسي، وأصول النحو العربي"[3]. والحقيقة العلمية تقتضي ابتعاد أصول النّحو العربي عن المنطق الأرسطي كلّ البعد لمن تأمّل كتاب سيبويه، وما قرّره أرسطو في مؤلفاته.

وقد عمد مركس إلى أن يبيّن أنّ بعض المصطلحات النّحوية العربية من أصل يوناني، وهي كالآتي:

- "تقسيم الكلام إلى أقسام ثلاثة.
- مفهوم الأحداث.

مفهوم الصرف والتصريف.

مفهوم الخبر.

- معنى الجنس؛ لأن هذه الكلمة من أصل يوناني.
- ألقاب الأحكام الإعرابية من رفع، ونصب، وجر.
- معنى الظّرف.
- معنى الإعراب مقابلا لمعنى السّليقة.
- معنى الحال.

1-ابن هشام، شرح قطر النّدى وبل الصّدى، ص 61.

2-المرجع نفسه، ص 159.

3-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1/ 52.

- التّمييز بين الأزمنة الثلاثة"[1]. وسنتطرق لبعض هذه المصطلحات ودراسته.

أ)-تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام: يقول مركس: " ويقسّم سيبويه الكلام إلى ثلاثة أقسام الاسم والفعل والحرف، فها هو ذا تقسيم أرسطو الّذي حسّنه فيما بعد نحاة اليونان"[2]. والتقسيم الثلاثي للكلام إنما استنبطه النّحاة القدامى عن طريق الاستقراء؛ إذ تتبعوا كلام العرب فلم يجدوا إلاّ هذه الأقسام الثلاثة، ولا مجال لتأثرهم بأرسطو الذي تخلو كتبه من هذا التّقسيم الثلاثي. يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "لا يوجد في كتب أرسطو أي تقسيم ثلاثي للكلام مطلقا، فأمّا كتاب العبارة (باري أرميناس) فقد حدّد فيه أرسطو ما يسميه بالأقاويل؛ فاقتصر منها على أجزاء الحكم gugement وهما onoma وRhema ، ويقابلهما في ترجمة حنين بن إسحق الاسم والكلمة... وإن نحن نظرنا في كتاب الشعر كما قال رأيناه يقسّم lexie وهو المقولة في الترجمة العربية إلى ثمانية أقسام: الأسقطس (الهجاء)، المقطع (الاقتصاب في ترجمة متى) الرباط، الاسم، الكلمة، الفاصلة، التصريف، القول"[3]. فتبيّن من كلام عبد الرحمن الحاج صالح الفرق بين التقسمين: ممّا يبطل قول مركس الذي تحمل عبء دعوته المبنية على غير أساس علمي.

ب)-مفهوم الصرف والتصريف: يقول عبد الرّحمن الحاج صالح: "وأثار مركس مسألة تحول الكلم إفرادا، وزعم أن العرب يطلقون اسم الصّرف على التحول الإعرابي :Declinaison أي ما يعتري أواخر الكلم من التغيير، وعلى التّحول الصرفي conjugaison، وهو خاص في اصطلاحهم بتصريف الأفعال"[4]. فكل الذي ذكره مجانب للصّواب، إذ إنّ القدماء لم يفرقوا بين مباحث النّحو والصّرف، بل كانت كتبهم شاملة لهذين العلمين دون فصل أحدهما عن الآخر.

1-عبد الرحمن الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج53/1.

2-المرجع نفسه، ج 1/ 53.

3-المرجع السابق نفسه، ج1 / 53.

4- المرجع السابق نفسه، ج1 / 57.

وقد وردت كلمة الصّرف في كتابه سيبويه بمعنى التنوين، قال مازن المبارك: " ولا بدّ أن نذكر أنّ القدماء استعملوا كلمة الصّرف بمعنى التنوين، وكان في كتب النّحو أبواب لما ينصرف وما لا ينصرف، ومتى يمنع الاسم من الصّرف، وممّا يدلّ على اهتمام النّحاة بهذا الباب أنّك تجده بابا واسعا في كتاب سيبويه"[1]. وأمّا ما يدلّ على معنى علم الصّرف في مقابلة علم النّحو فهو مصطلح التصريف عند القدامى قال سيبويه: "هذا ما بنت العرب من الأسماء والصّفات والأفعال غير المعتلّة والمعتلة وما قيس من المعتلّ الذي لا يتكلّمون به، ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره، وهو الذي يسمّيه النّحويون التصريف والفعل"[2]. بمعنى أن تأتي على الكلمة فتصرفها على غير أوزان العرب حتى تصير مثل كلمة أخرى وفق قياس كلامهم، وهذا ما يعرف بمسائل التّمرين، وبالتّالي فإن سيبويه لم يذكر حدّا لعلم التّصريف، إلّا أنّه نصّ على بعض مباحثه كالتّصغير، وأبنية الأسماء والأفعال، وجمع التكسير، والإمالة، والوقف والرّوم والإشمام وغيرها.

"ولعل كلمة التّصرف هي أقرب لفظ إلى دلالة ما يقصده مركس، فهو كما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة مقصودة لا تحصل إلّا بها. إلّا أنّ هذا المعنى أوسع بكثير من مضمون conjugaison؛ فهو شامل لكل تحويل ذي معنى"[3]. والمقصود بتحويل الأصل الواحد إلى أصول مختلفة؛ كتحويل المفرد إلى التثنية والجمع، وتحويل المصدر - باعتباره أصل المشتقات- إلى اسم الفاعل، والمفعول والصّفة المشبهة باسم الفاعل، واسم التّفضيل، واسم الآلة، واسم الزّمان، واسم المكان والفعل الماضي، والمضارع، والأمر وهذا ما يمثل المعنى العملي في حدّ كلمة التصريف اصطلاحا. وأما ما قرّره من أنّ العرب يطلقون الصّرف على التحوّل الإعرابي Declinaison؛ أي ما يعتري

1-مازن المبارك، في تاريخ علم الصرف ومصطلحاته، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد التاسع، الإمارات، ربيع الأول، 1421هـ، ص 298.

2-سيبويه، الكتاب، ج2/ 315.

3-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1/ 58.

أواخر الكلم من التغيير فهو خطأ فاحش؛ لأنّ هذا تعريف الإعراب، الذي هو باب من أبواب النّحو المهمّة.

ومن العجائب - والعجائب جمّة - ما أشار إليه مركس بقوله: "إن العرب كانوا يجهلون المعنى الحقيقي لكلمة تصريف التي تدلّ على الميل، وفي اليونانية Klisis، فحاولوا أن يفسروها بتفسير بعيد، فإنهم يرونها مشتقة من صرف، ومصدره صريف، ومعناه صرير الباب أو صوت السّاقية"[1]. وهذا التفسير هو التفسير اللغوي، لا التفسير الاصطلاحي لدى النّحاة، ويرد تروبو Troupeau أن تكون كلمة الميل هي Klisis في اليونانية فيقول: "فنلاحظ أنّ مفهوم الميل ومفهوم الوقعة غير موجودين في النظام العربي، كما أن مفهوم التمكن ليس بموجود في النظام اليوناني"[2]. وقد خلص تروبو إلى هذه النتيجة بعد الموازنة بين كلمة Klisis اليونانية وبين كلمة الصرف عند سيبويه، ولولا الإطالة لنقلنا كلامه كاملا لنفاسته.

ج)-مصطلح الإعراب مقابلا لمعنى السّليقة: يقول مركس: "ليس الإعراب إلّا ما نقلوه من الكلمة اليونانية Hellenisme" فكذلك يقابل المعرب في العربية السّليقي؛ ومعناه الناطق نطقا صحيحا يقابل الناطق الذي لا يحافظ على قواعد الإعراب. ويظهر لي أنّ كلمة سلّيقي هي نفسها من أصل يوناني"[3]. والجواب أن يقال: إنّ سيبويه لم يعرّف الإعراب في كتابه وإنما أشار إليه بقوله: "باب مجاري أواخر الكلم"[4]. وورد تفسير كلمة مجاري في حواشي كتاب سيبويه كالآتي: " والجري هو التّغير والانتقال، والمتّغير هو الحرف"[5]. وعليه فإنّ الإعراب عند سيبويه هو تغيّر أواخر الكلم.

وأما السّليقي فهو الذي يتكلّم العربية بطبعه وسجيّته، كما هو شأن العرب قديما

1-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 / 58.

2-جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج1، ع1، 1398هـ، ص 130.

3-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1/ 59-60.

4-سيبويه، الكتاب، ج13/1.

5-أبو على الفارسي والزمخشري والعيوني، حواشي كتاب سيبويه، ج1/ 43.

قبل أنّ يختلطوا بالعجم، وهذا يصدق مثلا على أصحاب المعلقات كامرئ القيس وغيره فلا مجال لمقابلة المعرب بالسّليقي. وأمّا كلمة Hellenisme فقد بيّن تروبو معناها عند اليونان فقال: " فنلاحظ أن الكلمة Hellenisme كلمة عامّة تختصّ بالكلام برمّته، فإنها اصطلاح خطابي وليس باصطلاح نحوي"[1]. وبهذا يتضح جليا الفرق بين كلمة الإعراب عند النّحاة وHellenisme اليونانية، وأن تقريرات مركس بعيدة عن التّحقيق العلمي، بل تدلّ على جهله بخصائص العربية.

ومن أحسن ما وقفت عليه في هذه القضية قول تروبو : " فمن النّاحية اللّغوية يبدو لنا أنّه من المستحيل أن تكون هذه المصطلحات الأربعة منقولة من اليونانية إلى العربية؛ لأنّ المفاهيم التي تدلّ عليها تتباعد بين النظامين كل التباعد"[2]. ويعني بالمصطلحات الأربعة: الإعراب والصّرف، والتصريف، والحركة، وقد خلص تروبو إلى هذه النتيجة بعد الموازنة بين هذه المصطلحات في العربية واليونانية، وهذا هو المنهج القويم الذي ينبغي أن نسير عليه في أبحاثنا ودراساتنا.

وبناءً على ما سبق اتّضح أنّ مركس قد أتت عليه العصبية المقيتة، والنّزعة البغيضة إذ لم يكن موضوعيا في أحكامه، ولا ملتمسا خطوات التّحقيق العلمي الرّصين، بل كان جاهلا بالعربية وخصائصها، معتمداً على افتراضات بلا أدلة، محاولا طمس بعض معالم الحضارة الإسلامية؛ بعدم قدرة علمائها الأفذاذ على الإبداع والابتكار، وإنّ المتمعن في كتاب سيبويه ليجد أنّه نسجه على غير منوال سابق.

وفي المقابل نجد أنّ بعض المستشرقين كانوا منصفين في هذه القضية ؛ إذ ذهبوا إلى أصالة النّحو العربي في طور النّشأة، منهم ليتمان Littman حيث قال: "ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا ... وهو أنّه أبدع العرب علم النّحو في الابتداء، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين معه "[3]. وكذلك تروبو حيث قال: "في الختام أنا أعتقد أنّ

1-جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، ص 128.

2-المرجع نفسه، ص 131.

3-خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، ط3/ 2001م، ص 32.

علم النّحو أعرب العلوم الإسلامية، وأبعده عن التأثير الأجنبي في طوره الأوّل، كما حاولت أن أبيّن ذلك في ضوء كتاب سيبويه، ذلك الكتاب المشهور الذي هو أقدم كتب العرب في النّحو"[1].وقد أشار إلى هذا في مقاله الذي سمّاه نشأة النّحو العربي في ضوء كتاب سيبويه الذي أبدع فيه في الرّد على شبهات القوم فكان نابغا؛ لأنّه حرره تحريرا علميا بالغا.

وللأسف الشديد نجد أنّ بعض الباحثين العرب ذهبوا إلى تأثر: "النحو العربي بالمنطق والنّحو اليونانيين، منهم الأستاذ إبراهيم مصطفى، ومحمود السّعدان، وأحمد آمين"[2]. وكذلك المهدي المخزومي في كتابة مدرسة الكوفة، وإبراهيم مدكور في مقاله الذي سمّاه: منطق أرسطو والنّحو العربي.

والذي تبّين لنا في هذه المسألة أنّ النحو العربي في طور النشأة لم يتأثر بالمنطق الأرسطي، ولا غيره من التأثيرات الأجنبية؛ للاعتبارات الآتية:

- أن سيبويه كان سنيّا، و يشهد لهذا ما أخرجه أبو بكر محمّد بن الحسن الزبيدي عن العبّاس بن الفرج الرّياشي أنّه قال: " كان سيبويه سنيّا على السّنة"[3]، وذلك لأنّ أهل السّنة كانوا مقبلين على الكتاب والسّنة، نابذين المنطق الأرسطي، قال الشافعي: "ما جهل النّاس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطا طاليس"[4]. وللشافعي أقوال أخر في ذمّ المنطق وعلم الكلام ذمّا شديدا.

-شيوخ سيبويه كأبي عمرو بن العلاء، والخليل، ويونس بن حبيب كانوا على السّنة. قال إبراهيم الحربي: " كان أهل العربية كلهم أصحاب أهواء: إلّا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سّنة؛

1-جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، ص 138.

2-نبيلة قريني، التّأريخ للفكر النّحوي العربي ببصمة المستشرقين بين التأييد والتفنيد، ضمن الملتقى الوطني جهود علماء الاستشراق والاستعراب في خدمة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، السداسي الثاني، 2020، ص425.

3-الزبيدي، طبقات النحويين واللّغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2/ 1973، ص 68.

4-السيوطي، صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام، تح: على سامي النشار، مكتبة الخانجي، مصر، ط1/ دت، ص 15.

أبو عمر و بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي"[1]. وهذا يدلّ على أنّ سيبويه نشأ وترعرع في بيئة صافية، بعيدة عن المنطق الأرسطي.

-أن ترجمة كتب اليونان عرفت قوّتها في عهد الخليفة العبّاسي المأمون (ت 218هـ)، وإليها أشار ابن تيمية بقوله: " كان انتشار تعريبها في دولة الخليفة أبي العبّاس الملقّب بالمأمون أخذها المسلمون فحرروها لفظا ومعنى لكن فيها من الباطل والضّلال شيء كبير"[2]. وكما هو معلوم أنّ سيبويه توفي سنة مئة وثمانين للهجرة، والمأمون امتدت خلافته من سنة مئة وثمانية وتسعين للهجرة إلى وفاته، ممّا يستبعد تأثر كتاب سيبويه بمنطق اليونان.

- ما بيّنه ابن تيمية بقوله: "وقد صنّف في الإسلام علوم النّحو واللغة والعروض والفقه وأصوله والكلام وغير ذلك، وليس في أئمة هذه الفنون من كان يلتفت إلى المنطق بل عامّتهم كانوا قبل أن يعرب هذه المنطق اليوناني"[3]. وهذا يدل على أنّ النحو في عهده الأوّل لم يكن متأثرا بالمنطق اليوناني، وللأسف أنّ بعض المصنفات النّحوية القديمة ضاعت ولم تصل إلينا.

- يقول محمّد الشيخ عليو محمّد عند حديثه عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج: "وكان أوّل من أظهر علم العربية بالمدينة ونشره بين الناس، وإن كانت مبادئه موجودة قبله في عصر الصّحابة، ولذلك عدّه غير واحد من المؤلّفين في طبقات النّحاة واللّغويين واعتبروه من أوائل واضعي النّحو"[4]. وبناءً على قوله فإنّ الخليل وسيبويه لم يبتدعوا علم النّحو من عند أنفسهم وإنّما قاموا بصياغته وإظهاره، وذلك بتحديد مصطلحاته، وترتيب مسائله، وتهذيب مباحثه؛ لأنّ أسسه وقواعده كانت موجودة عند الرّعيل الأول الذي لم يكن يعرف المنطق الأرسطي.

1-أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة 1998، ص 34.

2-ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج9/ 265.

3-المرجع نفسه، ج23/9.

4-محمّد الشيخ عليو محمّد، مناهج اللّغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرّابع الهجري، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط2/ 1434هـ، ص 124.

- ما نقله الذّهبي في سير أعلام النبلاء عن الخليل: "يقال إنّه دعا الله أن يرزقه علما لا يسبق إليه، ففتح له بالعروض، وكان رحمه الله مفرط الذكاء"[1]. فإذا كان الخليل رأسا في الذكاء أَيَحْتَاجُ إلى المنطق اليوناني الذي قال عنه ابن تيمية: "والبليد لا ينتفع به، والذّكي لا يحتاج إليه"[2]. والجواب أن يقال: إنّه من المستحيل أن يحتاج أمثاله إلى المنطق، وكذلك الشأن مع سيبويه الذي قال فيه الذّهبي "وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه حبسة في عبارته وانطلاق في قلمه"[3]. فهذه هي الصورة المشرقة للخليل وسيبويه التي أبدعت في تاريخ النّحو العربي من منطلقات الحضارة الإسلامية الصّافية، لا من مخلّفات الحضارة اليونانية الوثنية.

- لو تأثر النّحو العربي في بداءة النّشأة بالمنطق الأرسطي لظهرت معالم هذا التأثر في استعمال المصطلحات اليونانية، وتعليلاتهم، وذكر أعلامهم.

وعليه فإنّ "إدخال صناعة المنطق في العلوم الصّحيحة يطول العبارة، ويبعد الإشارة ويجعل القريب من العلم بعيدا، واليسير منه عسيرا"[4]. وقال أحد بطارقة الرّوم: "فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلّا أفسدت وأوقعت بين علمائها"[5]؛ أي كتب اليونان.

2)-انتحال الشعر الجاهلي:

يعدّ الشعر الجاهلي ديوان العرب، إذ اتخذت كل قبيلة نابعة من شعرائها يسطر أمجادها تسطيرا؛ فيذبّ عنها تارة، ويفتخر بها تارة أخرى، ومن قرأ دواوين العرب يرى العجب العجاب؛ من حسن التراكيب، وبديع الأساليب، بما يسحر الألباب، وإنَّه لتطيب نفسك حين تسمع صنوفا من ألوان البديع والبيان على أيدي أولئك القوم؛ الذين اعترف ببلاغتهم وفصاحتهم البلغاء، وحارت في براعتهم عقول النّبغاء، وإذا كان الأمر كذلك فالشعر الجاهلي وسيلة لحفظ اللّغة العربية، ووسيلة لإثبات إعجاز القرآن.

1-الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط 11/ 1996م، ج7/ 430.

2-ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 9/ 269.

3-الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8/ 352.

4-ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 9/ 24.

5-السيوطي، صون المنطوق الكلام عن فن المنطوق والكلام، ص 9.

ومن هنا أطلّت علينا شرذمة من المستشرقين تشكك في الشعر الجاهلي؛ لضرب إعجاز القرآن الكريم، وكان من هؤلاء شيخ المستشرقين نولدكه الذي قال عنه يحي الجبوري "من أوّل الدّراسات التي ظهرت وأثارت الانتحال والشكّ في الشعر الجاهلي بحث نولدكه بعنوان في سبيل فهم الشعر الجاهلي"[1]. وكذلك المستشرق الألماني وليم ألورد Wilhelm Ahlwardt في دراسته المعنونة بـ (ملاحظات على صحة الشعر الجاهلي) إذ " يعتبر الوارد أن القصائد الجاهلية بوجه عام مشكوك فيها"[2]. وكذلك المستشرق الإنجليزي رينولد ألين نيكلسن Reynold Alleyne Nicholson في كتابه تاريخ العرب الأدبي إذ يقول متحدثا فيه عن رواية الشعر الجاهلي: "ما الذي يضمن لنا أنّ الأشعار التي عاشت طوال هذه المدّة على شفاه النّاس احتفظت بشكلها الأصلي ولو على وجه التقريب، لا شكّ أنّ التغيير قد يطرأ على هذه القصائد خلال مسيرتها الطويلة"[3]. وكذلك مرجليوث Margoliouth في مقالته أصول الشعر العربي The Origins Of arabic poetry، التي نشرها في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام 1925م يقول يحي الجبوري: " ولذلك فإن صلة مرجليوث بقضية الشّك في الشّعر الجاهلي قديمة رافقته طوال حياته العلمية، واستغرقت ربع قرن حتى تبلورت في بحثه هذا الذي نحن بصدد عرضه والحديث عنه"[4]. ويقصد ببحثه مقاله أصول الشعر العربي. وقد استند مرجليوث في تشكيكه في الشعر الجاهلي على مجموعة من الأدلة الخارجية التي أحاطت بهذا الشعر، وأدلة داخلية متعلقة بالشعر ذاته.

1.2) -الأدلة الخارجية:

يرى مرجليوث أنّ الشعر الجاهلي- إن كان صحيحا- فهو منقول إلينا عن طريق الرّواية الشفوية أو الكتابية، ويستبعد الأمر الأوّل- أي الرّواية الشفوية- للاعتبارات الآتية:

"أ-يستوجب حفظ الشّعر وجود جماعة من الرّواة مهنتهم الحفظ وهو ينكر ذلك.

1-يحي الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشّك والتوثيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1997م، ص 14.
2-المرجع نفسه، ص 31.
3-المرجع السابق نفسه، ص 35.
4-المرجع السابق نفسه، ص 50.

ب-إنّ الإسلام يجبّ ما قبله، فالقرآن ذمّ الشعراء، وهذا سبب قوي لنسيانه.

ج-إنّ الأشعار كانت تتغنى بانتصارات قبلية، ولمّا جاء الإسلام جاء لتوحيد العرب، فإنه كان يحث على نسيان هذا الشعر"[1].

ومناقشة المسألة الأولى أن رواية الشعر الجاهلي كان معروفة باستمرارها إلى عصر تدوينه. يقول صالح خرفي وآخرون في صدد ردّهم على مرجليوث: وتؤكد المصادر المختلفة وجود سلسلة من الرّواة تعاقبوا في الرّواية، ثمّ نبغوا في الشّعر، وصاروا من أعلامه، ويكفي أن نذكر في هذا المقام شعراء المدرسة الأوسية الذين يطلق عليهم الأصمعيّ عبيد الشعر"[2]. ففي العصر الجاهلي كان الشعراء هم رواة الشعر، وإلى هذا المعنى أشار شوقي ضيف حيث قال: "فرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت هي الأداة الطيعة لنشره وذيوعه وكانت هناك طبقة تحترفها احترافا، وهي طبقة الشعراء أنفسهم، فقد كان من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعرا يروي عنه شعره"[3]. وقد بين عميرة بن جعيل من شعراء الجاهلية وجود الرّواة في العصر الجاهلي حيث قال:

نَـدِمْتُ على شَـتْمِ العشـيرةِ بعـدَما مضَـى واسْـتَتَبّتْ للُـرواةِ مَذاهبُـهْ[4]

والرواة هم ناقلوا الأخبار ومذيعوها بين الناس.

وفي صدر الإسلام بقيت رواية الشعر الجاهلي ولم تندثر بدليل الأحاديث الآتية: " عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة قال: قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر، قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحه، ويتمثل ويقول ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد...

عن أبي هريرة عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: أشعر تكلمت بها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل...

1-يحي الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشّك والتوثيق، ص 51.

2 -صالح خرفي وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للترجمةبية والثقافة والعلوم، تونس، د ط، د ت، ص 405.

3-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص 142.

4-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 650.

عن جابر بن سمرة قال: جالست النّبي صلّى الله عليه وسلّم أكثر من مائة مرّة فكان يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربّما تبّسم معهم"[1]. ففي الحديث الأوّل تمثل النّبي صلّى الله عليه وسلّم بشعر طرفة بن العبد من شعراء الجاهلية من أصحاب المعلّقات، وفي الحديث الثاني تمثل بشعر لبيد بن ربيعة من الشعراء المخضرمين وهو صحابي جليل رضي الله عنه، وفي الثالث كان الصّحابة يتناشدون الأشعار دون إنكار من النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ممّا يدلّ على أنّ رواية الشعر الجاهلي في صدر الإسلام بقيت مستمرة لم تنقطع.

وممّا يؤكد استمرار رواية الشعر الجاهلي في العصر الإسلامي؛ ما ورد عن ابن عبّاس رضي الله عنه: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك"[2]. فهذا الأثر يدلّ على استعانة ابن عباس رضي الله عنه بالشعر الجاهلي وغيره في فهم القرآن الكريم وتفسيره. وأهمّ ما يذكر ضمن هذا الباب أسئلة نافع بن الأزرق لابن عبّاس رضي الله عنهما، إلا أنّها لم تثبت. قال مساعد الطيار "مسائل نافع بن الأزرق، وقد جاوزت هذه المسائل المائتين وخمسين مسألة وقد وردت من طرق غير مرضية فضلا عمّا يدور حول كثرتها من الشكّ، ولذا فإنّ هذه المسائل وإن استفيد منها في التّفسير اللّغوي، لا يصحّ نسبتها إلى ابن عبّاس"[3]. وصدق فيما ذهب إليه؛ فإنّ في الصّحيح الثابت غنية عن الضعيف، وقد نبّهت على ضعف هذه المسائل؛ لأنّها متداولة في كثير من كتب الأدب، فينبغي للباحث أن يحرص عل التّحقيق العلمي.

وكذلك عائشة رضي الله عنها - كانت تتمثل بشعر لبيد، ويدلّ على هذا " ما أسنده أبو الفرج الأصبهاني، عن محمّد بن جرير الطبري، عن أبي السّائب سلم بن جنادة عن وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنّها كانت تنشد بيت لبيد.

ذَهَبَ الَّذينَ يُعاشُ في أَكْنافِهِم وَبَقيتُ في خَلفٍ كَجِلدِ الأَجرَبِ

1-الترجمة مذي، جامع الترجمة مذي، ص 456.

2-السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / 2008م، ص 258.

3-مساعد الطيار، التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، دط، دت، ص 330.

فتقول: رحم الله لبيدا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم[1]. فكيف لو أدرك لبيد زماننا هذا لرأى العجب العجاب، ونطار لبه من شدة تسلط الدّخلاء على العلوم والفنون وهم ليسوا من أهلها، فعكّروا ساحة العلم، وأفسدوها، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وفي عصر بني أمية بقي الاهتمام برواية الشعر الجاهلي وحفظه، فقد تولى هذه المهمّة شعراء ذلك العصر؛ كالفرزدق وجرير وغيرهما، يقول الفرزدق مبّينا روايته للشعر الجاهلي:

وَهَبَ اَلْقَصَائِدَ لِي اَلنَّوَابِغُ إِذَ ... وَأَبُو يَزِيد وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرَوَل

وَالْفَحْلُ عَلْقَمَةَ الَّذِي كَانَتْ لَهُ ... حُلَلُ الْمُلُوكِ كَلَامُه لَا يُنْحَلُ

وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهُنَّ قَتَلْنَهُ ... وَمُهَلْهِلُ اَلشُّعَرَاءِ ذَاكَ اَلْأَوَّل

وَالْأَعْشِيَانِ كِلَاهُمَا وَمُرَقّشٌ ... وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلَه يُتَمَثَّلُ[2]

والنّوابغ لفظ يطلق على مجموعة من الشعراء؛ منهم النّابغة الذبياني، والنّابغة الجعدي والنّابغة الشيباني، وأبو زيد هو المخبل، وذو القروح هو امرؤ القيس، وجرول هو الحطيئة وأخو بني قيس هو طرفة بن العبد، ومهلهل الشعراء هو أبو ليلى عدي بن ربيعة، والأعشيان هما الأعشى قيس بن ميمون صاحب المعلقة، وأعشى باهلة، وأخو قضاعة هو أبو الطمحان القيني وغيرهم من الشعراء الذين ذكرهم الفرزدق؛ لأننا اكتفينا بذكر بعض أبياته فقط.

ومن الرواة أيضا في العصر الأموي الكميت بن زيد الذي " كان راوية عالما بلغات العرب خبيرا بأيامها .... وكذلك رؤبة بن العجاج، فقد أخذ عنه كثير من العلماء الرّواة اللّغة، وكانوا كذلك يأخذون عنه رواية الشعر الجاهلي ونقده والحكم عليه"[3]. وهكذا اعتنى شعراء بني أمية بحفظ هذا التّراث العظيم؛ لإدراكهم المكانة الكبيرة التي يحظى بها الشعر الجاهلي.

وفي العصر العبّاسي ظهر بعض الرّواة الأمناء الثّقات، الذين تصدوا لرواية الشعر الجاهلي؛ منهم أبو عمرو بن العلاء الذي قال الذهبي في ترجمته: " قال أبو عبيدة: كان أعلم النّاس بالقراءات والعربية، والشعر، وأيام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثم

1 -بكر أبو زيد، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة، الرياض، د ط، د ت، ص 9-10.

2 -الفرزدق، ديوان الفرزدق، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1987م، ص 493.

3 -ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، مصر، د ط، د ت، ص 225.

تنسك فأحرقها"[1]. وقد وثقه غير واحد من أهل العلم، قال الذهبي: " قال يحي بن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: ليس به بأس، وقال أبو عمر والشيباني: ما رأيت مثل أبي عمرو"[2]. وبهذا يتبيّن أن أبا عمرو كان من أئمة زمانه في العربية والقراءات، وقد شهد له العلماء بالصّدق والأمانة، وصحة سماعه، وسعه علمه. وكذلك من الرواة المفضّل الضّبي (ت 164ه) الذي قال عنه ابن سلام الجمحي (ت 231ه): "وكان أبو عبيدة والأصمعي من أهل العلم، وأعلم من ورد إلينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمّد الضّبي الكوفي"[3]. وكان راوية للشعر وأيام العرب، صدوقاً في روايته.

وكذلك الأصمعي (ت 213ه) أديب أهل السّنة في زمانه، وأعجوبة من أعاجيب الدّنيا في الحفظ ورواية الشعر. "قال أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرد: كان الأصمعي أسد الشعر والغريب والمعاني"[4]. وقال عمر بن شبة: سمعت الأصمعي يقول: أحفظ ست عشرة آلاف أرجوزة"[5]. وكما حظي الأصمعي بثناء علماء العربية؛ لتضلعه من فنونها وأفنانها، وعلو كعبه فيها، كذلك حظي بثناء أهل الحديث عليه، فقد أخرج الخطيب البغدادي (ت 463ه) بسنده إلى أبي أمية محمّد بن إبراهيم بن مسلم الطرسوسي قال: "سمعت أحمد بن حنبل ويحي بن معين يثنيان على الأصّمعي في السّنة"[6]. وهذه النقولات تدلّ على صدقه، وتوثيقه، وأنه كان مقدّما في رواية الشّعر ومعرفة غريبه، وأخباره في هذا كثيرة إلّا أنّ المقام لا يتّسع لذكرها. وأهمّ ما وصلنا من تراث الأصمعي ما يسمّى بالأصّمعيات وهي عبارة عن اثنتين وتسعين قصيدة ومقطعة؛ لشعراء جاهليين، ومخضرمين، وإسلامين، ومجهولين، انتقاها الأصمعي الألمعي انتقاءً، وقام بتحقيقها أحمد شاكر وعبد السّلام هارون.

---

1 -الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6/ 408.

2-المرجع نفسه، ج6/ 408.

3-محمّد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، تح: طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 2001م، ص 33.

4-السرافي، أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني ومحمد الخفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1/1955م، ص 45.

5-أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 102.

6-الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ج 10/ 418-419.

وممّا سبق يتبين أنّ مرجليون لم يحالفه الحظ في دعواه، وقد ردّ عليه المستشرق لايل lyall؛ إذ أكّد "أن رواية هذا الشعر استمرّت حيّة نشطة الجاهلية إلى أن دوّن نهائيا في العصر العبّاسي"[1]. وكفى بها شهادة على ما قررناه.

وأمّا المسألة الثانية التي ادعى فيها أن القرآن الكريم ذمّ الشعراء، وهذا سبب قوي لنسيانه، فهذا الأمر غير صحيح؛ لأن القرآن الكريم لم يذمّ الشعراء مطلقا بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢٧﴾﴾[سورة الشعراء، الآيات 224-227]. قال الزمخشري: "استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن"[2]. فوجه الاستدلال من الآيات أن الله لم يذمّ كل الشعراء لوجود الاستثناء في الآية. وعلى فرض أنّ القرآن ذمّ الشعراء، فهذا لا يلزم منه ذمّ روايته، ألا ترى أنّ الله ذمّ فرعون أشدّ الذمّ في القرآن، ومع ذلك نقل قوله في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النازعات، الآيه 24] فمقولة فرعون كفر أكبر بلا ريب ولكن وردت في القرآن؛ لحكمة الاعتبار، فكذلك الشعر الجاهلي نقله الرّواة لأجل ما فيه من اللغة.

وأمّا المسألة الثالثة التي قال فيها: إنّ الأشعار كانت تتغنى بانتصارات قبلية ولمّا جاء الإسلام جاء التوحيد العرب؛ فإنّه كان يحثّ على نسيان هذا الشعر فهذا باطل؛ لأنّه لا يلزم من ذمّ الشعر ذمّ حفظه وروايته؛ فالشعر الجاهلي نقله الرّواة؛ لأجل الاطلاع على سحر البيان عند العرب، والاستعانة به في فهم القرآن، والاستشهاد به على الأحكام النّحوية والبلاغية.

وخلاصة القول في أمر الرّواية الشفوية أن مرجليون لم يستوعبها حقّ الاستيعاب؛ لاختصاصها بالعالم الإسلامي. قال أو جست اشير نجر A Sprenger: " فالواقع هو أنّ علم

1-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص 168.

2-الزمخشري، الكشاف، ص 774.

الرّواية الشفوية خاصية اختصّ بها الإسلام، بيد أنّ القليلين جدّا من المستشرقين قدّرُوها قدرها وفهموها كما ينبغي"[1]. وهذا هو الإنصاف بعينه.

ومع اعتراف مرجليوت بوجود الكتابة قبل الإسلام إلّا أنّه يستبعد أن يكون الشعر الجاهلي قد نقل إلينا عن طريق الكتابة لسببين:

"أ-إن القرآن نفى أن يكون للجاهليين كتاب، ولو أنّ الشعر الجاهلي كان مكتوبا لوصلت كثير من الكتب.

ب- إنَّ الأدب يتطور من الشذوذ إلى الانتظام، وإنّ الشعر الذي قيل إنه جاهلي هو مرحلة تالية للقرآن؛ لأنّ في القرآن سجعا، وبعض الآيات فيها وزن، فينبغي أنّ يكون الشعر تطورا للقرآن لا سابقا عليه"[2].

فأما المسألة الأولى التي نفى فيها أن يكون للجاهليين كتاب فاستدلّ بقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة القلم، الآية 37] قال ابن كثير في تفسير الآية: "يقول: أفبأيديكم كتاب منزل من السّماء تدرسونه وتحفظونه، وتتداولونه بنقل الخلف عن السّلف"[3]. وفرق بين كتاب تجمع فيه دواوين العرب، وكتاب منزل من عند الله، فتقرير مرجليوث غريب وحديثه مريب، وفهمه عجيب.

والذي نعتقده أنّ بعض الشعراء الجاهلين" كانوا يكتبون منهم: لبيد بن ربيعة العامري وكعب بن زهير، وأخوه بجير بن زهير"[4]. وغيرهم كثير، إلا أنّه لا توجد لدينا أدلة قاطعة تدلّ على أن الشعر الجاهلي نقل إلينا عن طريق الكتابة.

2.2). الأدلة الخارجية:

حصرها مرجليوث في الآتي:

1-عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1/ 1979م، ص 249.

2-يحي الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، ص 51-52.

3-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1907.

4-يحي الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، ص 88.

"1-في الشعر إشارات إلى قصص ديني، وفيه كلمات إسلامية، وإنّ الشعراء لا يمثلون الدين الجاهلي ... وهؤلاء الشعراء موحدون ومطلعون على أمور لا يعرفها إلّا القرآن .....

2-الدّليل الثاني هو اللغة؛ فاللهجات بين القبائل متعددة، والاختلاف بين لغة القبائل الشمالية واللّغة الحميرية كبير، بينما جاء الشعر كله بلغة القرآن.

3-موضوعات القصائد: إن القصائد تتفق في طرق موضوعات واحدة تتكرر، ممّا يدلّ على أنّها نظمت بعد القرآن لا قبله، لأنّهم يبدؤون قصائدهم بالغزل، والقرآن وصفهم بأنهم في كلّ واد يهيمون، ويتبعهم الغاوون"[1]. فأمّا المسألة الأولى فقد ورد في كتاب الأصنام لابن الكلبي (ت 204هـ) ما يكذّب دعوى مرجليوث، ففيه شواهد كثيرة لشعراء جاهليين تثبت تعلّقهم بالأصنام، وكذلك ما ورد في المعلقات يمثل الحياة الجاهلية يقول زهير:

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ[2]

ففي هذا البيت يقسم زهير بالكعبة، وهذا مخالف للشريعة الإسلامية، وعلى فرض وجود كلمات إسلامية في الشعر؛ فهي من قبيل المنحول.

وأما المسألة الثانية فإنّ الشعراء كانوا ينظمون أشعارهم بلغة قريش تاركين لهجاتهم؛ لأنّ قريشا أفصح العرب. قال ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرّواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم: أنّ قريشا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جلّ ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبي الرّحمة محمّدا صلى الله عليه وسلم"[3]. وهذا هو الحقّ الذي لا ريب فيه، فقد أصاب ابن فارس كبد الحقيقة، وإن كانت هناك بعض اللهجات الأخرى التي ورد ذكرها كشواهد في الكتب النّحوية.

وأمّا المسألة الثالثة فقد ذكر فيها أنّ القصائد ذات موضوعات تتكرر، وهذا راجع إلى أنّ البيئة التي عاش فيها الشعراء الجاهليون واحدة، وإن كنا نلاحظ في بعض الأحيان أنّ الموضوعات تختلف؛ فمعلقة زهير بن أبي سلمى مثلا فيها شعر الحكمة، وذكر الحرب، بينما

1-يحي الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، ص 52-53.

2-أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص 83.

3-ابن فارس، الصّاحبي، ص 33.

هذا لا نجده في معلقة امرئ القيس. وأمّا ادعاؤه أنهم يبدؤون قصائدهم بالغزل، والقرآن وصفهم بأنهم في كل واد يهيمون؛ فهذا الرّبط - حسب مفهومه - يقتضي أنّ شعراء الجاهلية كانوا يبتدؤون قصائدهم بالغزل وهذا مناقض للقرآن، والجواب أنّ يقال: قال ابن كثير قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ [سورة الشعراء، الآية 225] ... وقال الضحاك عن ابن عباس: في كل فنّ من الكلام، وكذا قال مجاهد وغيره، وقال الحسن: قد- والله- رأينا أوديتهم التي يهيمون فيها؛ مرّة في شتمة فلان، ومرّة في مدحة فلان"[1]. وعليه فإن آية الشعراء تعني أنهم يخوضون في أغراض متعددة من وصف، ومدح، وهجاء، وفخر باعتبار القصائد كلّها من البداية إلى النهاية لا باعتبار بداية القصيدة.

وللأسف الشديد نجد أن طه حسين من المتأثرين بمرجليوث؛ إذ تبنى أفكاره، في كتابه في الشعر الجاهلي الذي صنفه سنة 1926م، وقد أحدث مؤلفه ضجة عظيمة في عالمنا الإسلامي؛ إذ توالت عليه الرّدود من بعض العلماء، "ولم يلبث أن ألّف مصنفة في الأدب الجاهلي الذي نشره في سنة 1927م، وفيه بسط القول في القضية بسطا أكثر سعة وتفصيلا"[2]. ومنه يتّضح جليا أنّ قضية الانتحال تولى كبرها المستشرق اليهودي مرجليوث بسهام الشك، وأتّمها طه حسين بمعاول الحسم والجزم على أن الشعر الجاهلي وضع بعد الإسلام.

وخلاصة القول في القضية أنّ الشعر الجاهلي المروي من طريق الثقات الأثبات كأبي عمرو بن العلاء، والمفضل الضبي، والأصمعي صحيح لا مرية فيه، وما كان من رواية الضّعفاء منحول لا عبرة به، وأنّ أدلة مرجليوث ظلمات بعضها فوق بعض؛ لأنه بناها على مقدّمات خاطئة فكانت النتيجة خاطئة، بل الأدهى والأمرّ أن التشكيك في الشعر الجاهلي في غاية الخطورة؛ لمآ لاته الفاسدة التي تؤدي إلى الطعن في أصول الدّين، وخير شاهد على هذا ما دوّنه طه حسين من طعونات مريرة.

1-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1388.

2-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص 171.

المبحث الثاني: أهمّ المناهج اللسانية ذات البعد الفيلولوجي في دراسة اللّغة العربية:

لمّا كان المنهج هو الطّريق والسّبيل الذي يرسمه الباحث في مساره؛ بغية الوصول إلى أهداف معينّة، كان الاهتمام به عظيما، والحاجة إليه ملحة جدا في جميع العلوم والفنون؛ لأنّ ضعف النتائج المتوصل إليها يعكس مدى الخلل الموجود في المنهج المتبع، فالمنهج بمنزلة الأساس للبناء، إذ به يتمّ تأصيل العلوم، وخدمتها خدمة جليلة.

وسنحاول ضمن هذا المضمار أن نسلط الضوء على أهمّ المناهج اللّسانية ذات البعد الفيلولوجي، التي اهتمت بدراسة اللغة العربية.

1)-المنهج المقارن:

1.1) -تعريفه:

هو الذي يهتمّ بالموازنة بين لغتين أو أكثر، تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة؛ بغية معرفة أوجه التّشابه والاختلاف من حيث الأصوات، أو التراكيب أو البنية، أو الدلالة.

2.1) - نشأته:

تعود نشأة المنهج المقارن إلى اكتشاف اللغة السنسكريتية، حين أعلن وليم جونز w. jonesسنة 1786م أنّ اللغة السنسكريتية والإغريقية واللاتينية تنتمي إلى أصل واحد يقول ميلكا إفيتش: "وكان اكتشاف اللّغة السنسكريتية حدثا بالغ الأهمية لتقدم الدّراسات اللسانية فقد اختلفت السنسكريتية إلى حدّ بعيد عن اللاتينية واليونانية ... وفادت المعرفة بها إلى نظرات جديدة في الظواهر اللسانية، وأمدت الدّارسين بقضايا جديدة، كما أدت إلى إيجاد مجال معرفي جديد هو النّحو المقارن.

في العقود الأولى من القرن التاسع عشر كانت الدراسات المقارنة المكثفة والناجحة هي السّمة المميزة للبحث اللساني، وانصبت بحوث علماء الدراسات المقارنة في هذه الحقبة على

الأسرة اللغوية الهندية الأوروبية"[1]. وعلى ما تقرر ذكره يتبيّن أنّ اكتشاف اللّغة السنسكريتية يعدّ نقطة انعطاف في مجال الدراسات اللّغوية عند الغربيين، ممّا أدى إلى ظهور عهد جديد من الدراسات المقارنة تمثلت في كتاب النّحو المقارن للغات السنسكريتية والسندية والأرمينية واليونانية واللاتينية والليتوانية والسلافية القديمة والقوطية والألمانية لبوب، وغيره من كتب راسك rask وجريم Grimm، وكيرتيوس curtius.

3.1. أهميته:

-التّمييز بين اللّفظ العربي الأصيل وغيره من الألفاظ المعرّبة أو الدّخيلة.

-معرفة المشترك اللّفظي بين اللّغة العربية، واللغات السّامية.

-الاطلاع على التأثير والتأثر بين اللّغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة؛ من أجل التعليل للظاهرة اللّغوية.

-اكتشاف القيمة العلمية المنوطة أثناء المقارنة. يقول عبد الرحمن الحاج صالح في صدد حديثه عن المقارنة بين البنوية والنّحو العربي: "ولذلك سنحاول أن نبيّن فيما يلي ما هي الفوارق الجوهرية التي يفترق فيها النّحو العربي عن البنوية، وفي الوقت نفسه ما هي القيمة العلمية لأهمّ ما اختصت بإخراجه كل واحدة من هاتين النظريتين"[2]. فالمنهج المقارن يمكن من معرفة مواطن الإبداع، ومكان الضّعف.

- معرفة الأوزان الصرفية التي اشتركت فيها العربية مع غيرها من اللّغات السامية.
-معرفة القوانين العامة التي تشترك فيها اللّغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة.
-معرفة التغير التاريخي للأصوات في اللّغات المنتمية إلى أسرة واحدة.
- معرفة الهفوات التي وقع فيها المستشرقون أثناء المقارنة بين العربية واللّغات السّامية.

1-ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللّساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، دب، ط/ 2000م، ص 45-46.

2-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2/ 24.

4.1. جهود الغربيين في تطبيق المنهج المقارن على اللغة العربية:

يرجع الفضل في هذا المجال إلى مجموعة من المستشرقين، الذين اعتنوا بالموازنة بين اللغات السّامية، وقد كانت لهم إسهامات كبيرة في هذا الميدان، ويدلّ على هذا كثرة الكتب التي صنفوها، والمقالات التي نشروها، وقد أشار رمضان عبد التّواب إلى جهودهم في الدرس المقارن للغات السّامية فقال: "أمّا المستشرقون، فقد بدأت دراساتهم الأولى في أحضان كليات اللاّهوت فأدركوا العلاقة بين العبرية والعربية والسريانية، وبدأت هولاندة في القرن الثامن عشر، على يد شولتنس Schultens بمقارنة العبرية بالعربية، وجاء بعده كل من إيقالد EWald، وألسهوزن Olshausen، فألّفا في اللغة العبرية مستخدمين العربية في المقارنة، كما حاول مثل ذلك نولدكه Noldeke في الآرامية، وفي عام 1890م ألف وليم رايت W. Wright كتابه: محاضرات في النّحو المقارن للغات السّامية lectures on the comparative of the semitic languages كما ألّف بعده بعام كلّ من لاجارد Legarde، وبارت Barth: بحوث في أبنية الأسماء السّامية.

وجاء بعد هؤلاء جميعا عملاق هذا الفنّ، المستشرق كارل بروكلمان Carl Brockelmann فألّف كتابه الضّخم الأساس في النّحو المقارن للغات السامية Grudriss der vergleichenden grammatic der semitischen sprachen... وكلّ من جاء بعده عالة عليه"[1]. وبناءً على ما سطره رمضان عبد التّواب يتبيّن أن بداية الدّراسات المقارنة عند المستشرقين كانت منصبة على اللغة العبرية؛ خدمة للجانب الإيديولوجي، وسنعرض في هذا المقام ملامح المنهج المقارن عند بعض المستشرقين.

أ-إسرائيل ولفنسون Y. Wolfensohn : له كتاب تاريخ اللّغات السّامية، الذي عقده في تسعه أبواب، وذيله بفهارس الصّور، ومراجع ألمانية وفرنسية، وتعليقات الأستاذ إينو ليتمان، وختمه بقاموس اللغات السّامية، وقد بيّن ولفنسون بغيته من تأليف الكتاب فقال: "وقد وضعت نصب عيني أن يكون مرجعا لطبقة المستنيرين من الأدباء والعلماء والمدرسين بالمدارس الثانوية

1-رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، ص 202 – 204.

والعالية في أقطار الشّرق"[1]. وكتابه هذا يحتاج إلى تمحيص؛ لأنه مبني على الجانب الإيديولوجي.

وستذكر نموذجا من كتابه، وهو كالآتي[2]:

عربي	أشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
أبٌ	أَبُو	أب	أبا	أب
ابنٌ	بنُو	بن[e]	بْرا	بن
أخٌ	أخُو	أح	أحا[e]	أحو[e]
..	..	..	..	..
..	..	..	..	..
أَرْبَعٌ	أَرْ بَعُو	أَرْبع	أَرْبَع	أَرْبَع
اسمٌ	شومو	شم[e]	شْما	سم[e]

ويتّضح من هذا الجدول أنّ اللّغات السّامية تتشابه في ألفاظ القرابة، وتتطابق تطابقا تامّا في العدد أربع إلّا اللغة البابلية، وأنّ التنوين في اللّغة العربية يقابله الواو في اللّغة البابلية وأنّ لغات جنوب الجزيرة والحبشة هي أقرب اللّغات إلى العربية، وأنّ السّين في العربية ولغات جنوب الجزيرة والحبشة تكون شينا في العبرية، والآشورية، والآرامية في الغالب الأعمّ.

ب-كارل بروكلمان: Carl Brockelmann: له كتاب فقه اللّغات السّامية بالألمانية، وقد ترجمه رمضان عبد التواب إلى العربية. وسنأخذ منه بعض المقتطفات. قال بروكلمان: " تفرّق اللّغات السّامية، بين نوعى ما يسمّى بالجنس، وهما المذّكر والمؤنث، ويعبّر عن الأوّل عادة، بالكلمة الأصلية المجردة، كما يفترق الثاني عن الأوّل، في معظم الأحوال بنهاية تتصل به، غير أنّه يرجح أنّ هذه التفرقة، ليست لها علاقة في الأصل بالتذكير والتأنيث الحقيقي، ففي الحالات التي

1-إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللّغات السّامية، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، د ت، ص 2.

2-المرجع نفسه، ص 283.

يلفت فيها الجنس الحقيقي النّظر، ويسترعي الملاحظة حتما، تفرق اللّغة بين الجنس لا بوسيلة نحوية ولكن بكلمة أخرى من أصل آخر، قارن في السّامية الأولى: حمار وأتان، وفي العربية حصان وفرس؛ وفي العبرية: ayil كبش،و rahél نعجة، وغير ذلك"[1].

ومنه نستنتج ما يلي:

- ينقسم الاسم من حيث الجنس إلى قسمين: مذكّر ومؤنث، وهذه قاعدة مقرّرة في اللّغات السّامية.

-يتميّز المؤنث عن المذكر بزيادة في آخره في، الغالب الأعم كما هو مقرر في اللغات السامية.

- قد يحصل التمييز بين المذكر والمؤنث في اللّغات السّامية عن طريق المخالفة اللفظية؛ بأن يوضع للمؤنث لفظ غير لفظ المذكر مثل: حمار، وأتان وغيره من الأمثلة التي ذكرها بروكلمان. وهذا هو الأصل الذي مشى عليه السّاميون القدامى.

ويقول أيضا: "وكذلك تستغني عن علامة التأنيث مطلقا، في اللّغة العربية، تلك الصيغ التي تعبّر عن الأحوال الخاصة بالمؤنث، والناتجة عن خصائص ذلك الجنس مثل: عاقر وحامل ومرضع، وغير ذلك"[2]. فعلامة التأنيث وضعت للتفرقة بين المذكر والمؤنث، فإذا كانت هناك صيغ في اللّغة العربية خاصة بالمؤنث، فلا نحتاج في هذه الحالة إلى علامات التأنيث.

ثم يستطرد قائلا: "وفي كلّ اللّغات السّامية، كلمات كثيرة مؤنثة، بلا علامة التأنيث، وإن كان الآشورية تميل إلى إلحاق نهاية التأنيث بهذه الكلمات أيضا... في اللّغة العربية أرض؛ وفي العبرية: éres، وفي الآرامية: arà وهي في الآشورية irsitu[3]. وهذا النّوع من التأنيث يعرف بالمؤنث السّماعي في اللّغة العربية، وقد قام السيد محمّد الخضر التّونسي بجمع الأسماء المؤنثة سماعا مرتبة على حرف المعجم في رسالة سمّاها: الإمتاع بما يتوقّف تأنيثه على السّماع.

1-كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرّياض، الرياض، دط، د ت، ص 95.

2-المرجع نفسه، ص 95.

3-المرجع السابق نفسه، ص 95.

ج-براجشتراسر Bergstrasser : له كتاب التّطور النّحوي، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929م، وقد قام رمضان عبد التّواب بإخراجه وتصحيحه والتعليق عليه، وسنأخذ من الكتاب بعض المقاطع.

قال براجشتراسر: "الدّخيل من الفارسية: وأمّا الفارسية، فالألفاظ التي عرّبت منها في الزّمان المتأخر كثيرة، ونحن نكتفي بذكر بعض ما دخل العربية قبل الإسلام أو في طوره، منها: اصطلاحات الإدارة؛ كالدّيوان، والرّزق، والمرزبان، والدّهقان، والفرسخ، والتّاج، ومنها ألفاظ دينية؛ كالدّين والجناح، والمجوس، والفيروز "[1]. ثم تطرق إلى أصلها وكيفية تعريبها بشيء من التفصيل. وافتتاحه باب الدّخيل بالدّخيل من الفارسية ناشئ عن نظرة صائبة، لأنّ معظم الكلمات الدّخيلة إلى العربية من الفارسية. وممّا ينبغي الإشارة إليه أنّ الفارسية كانت قبل صدر الإسلام هي اللّغة الفهلوية، وليست الفارسية الحديثة المعروفة في زماننا.

ثم ثنّى بالدّخيل من الحبشية فقال: "وأهم الكلمات الحبشية الموجودة في العربية هي العائدة إلى أشياء دينية؛ كحواريون، ونافق، ومنافقون، وفطر، ومنبر، ومصحف، وبرهان"[2]. ثمّ فصّل بعض الشيء في هذه الكلمات فقال: "وفطر كذلك في الحبشية لفظا ومعنى، ومنبر: أصلها manbar أي؛ المقعد، ومحراب: ربّما كان أصلها mehram أي؛ المعبد، فأبدلت الميم الثانية باءً للتخالف بينهما"[3]. ثم ذكر الدّخيل من الآرامية، والأكدية، واليونانية واللاتينية.

وبناءً على ما سبق فإن الباحث وفق آليات المنهج المقارن يقف أمام عقبين:

الأولى: انقراض اللّغة السّامية الأم.

الثانية: صعوبة الإلمام باللّغات السّامية.

1-براجشراسر، التّطور النّحوي، ص 213.

2-المرجع نفسه، ص217.

3-المرجع السابق نفسه، ص 217.

2-المنهج التقابلي:

2-1: تعريفه:

"هو المنهج الذي يقارب بين لغتين فأكثر؛ لإبراز أوجه الشبه والاختلاف بينهما، وذلك لاكتشاف الصّعوبات التي قد تصادف متعلم اللّغة، ويستعمل هذا المنهج في تعليم اللّغات ولهذا يطلق عليه المنهج التجريبي، ويدرس دراسة فترية"[1]. ومنه تبيّن ما يلى:

- أن المنهج التقابلي يسعي لبيان أوجه التّشابه والاختلاف بين لغتين تنتميان إلى أرومتين لغويتين مختلفتين.

-ميدان اشتغال المنهج التقابلي هو حقل تعليم اللّغات.

-المنهج التقابلي منهج آني ثابت.

-استثمار المنهج التقابلي في صياغة مناهج تساعد المتعلم على تعلم اللغة الثانية.

2-2-نشأته:

"نشأ هذا العلم في رحاب اللّسانيات التّطبيقية باعتبارها إحدى ميادينه، والتي تعدّ الجانب العملي التطبيقي للدّراسات التقابلية، ولعل البوادر الأولى لهذا العلم تعود إلى الدّراسات الهامّة التي قام بها العالم الأمريكي تشارلز فريز(Charles Fries) في مجال تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها في جامعة ميشجان بالولايات الأمريكية سنة 1954، وفيه قام باستخدام المنهج التقابلي في تدريس اللّغة الأجنبية."[2] وعليه فإنّ المنهج التّقابلي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك للحاجة الماسة لتعليم اللّغات الأخرى باعتبارها لغة ثانية.

2- 3-أهميته:

نوجزها في النقاط الآتية:

- يُمكّن من إعداد وتصميم برامج تعليمية للّغات الأجنبية.

- التعرف على مشكلات الطلاب ومحاولة إيجاد الحلول.

1-محمد خليفة الأسود، التّمهيد في علم اللّغة، دار الكتب الوطنية، طرابلس، ط1/ 1991م، ص 36.

2-فريدة مولوج، التحليل التقابلي أهدافه ومستوياته، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، رفاد للدراسات والأبحاث، الأردن، المجلد1، العدد 2، 2019، ص146.

- الاستعانة به في تنمية الأداء اللغوي لدى الطلاب.

- تطهير اللّغة العربية من الأخطاء الواردة إلينا من طريق الترجمة.

- الإفادة في ميدان التّرجمة.

-الإفادة في صناعة المعاجم المزدوجة.

-"تساعد الدّراسات التّقابلية المعلمين والخبراء في إضافة تمرينات وأنشطة إلى الكتب والموادّ الدّراسية المعدة من قبل، وذلك لإثراء هذه المادة، ولسد الثغرات"[1]. فهو وسيلة لتنقيح الكتب، وإعدادها إعدادا محكما.

-"الدراسات التقابلية بين اللّغتين والثقافتين الأصلية والأجنبية تعين الخبراء والمعلمين والدّارسين على فهم الاختلافات بينهم... وحينئذ لن يقعوا في الخلط وسوء الظّن وسوء الحكم، وبذلك يتمّ إرساء دعائم التسامح والفهم الحياة البلد الجديد الذي يزورونه ويتعلمون لغته"[2]. فالمنهج التقابلي يمكننا من الانفتاح على الثقافات الأخرى.

4-2) -أهم الفروق بين المنهج المقارن والمنهج التقابلي:

-المنهج المقارن منهج متحرك، والمنهج التقابلي منهج ثابت آني.

-يهدف المنهج المقارن إلى معرفة العلاقات الموجودة بين اللغات المنتمية إلى أرومة لغوية واحدة؛ بغية معرفة أيّها أقرب إلى اللغة الأمّ، بينما يهدف المنهج التقابلي - انطلاقا من مبدأ الموازنة - إلى تعليم اللغات، ومعرفة المشاكل التي تقف حاجزا أمام المتعلمين.

-تنصبّ الموازنة في المنهج المقارن على اللّغات المنتمية إلى فصيلة لغوية واحدة، بخلاف المنهج التقابلي الذي يعنى بالمقابلة بين لغتين أو أكثر ليستا من فصيلة لغوية واحدة.

-يعد المنهج المقارن امتدادا للمنهج التّاريخي، فهو من أقدم المناهج اللغوية، بخلاف المنهج التقابلي الذي يعد من أحدث المناهج.

-يشتغل المنهج المقارن على بعض اللّغات القديمة، بينما هذا الأمر نجده مغيّبا في المنهج التقابلي.

1-علي مذكور و إيمان هريدي، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، دار الفكر العربي، مصر، ط1/ 2006م، ص 297.

2-المرجع نفسه، ص 298.

5-2) -المستشرقون والمنهج التقابلي:

سنعرض بعض المحاولات التّحليلية التي قام بها المستشرقون، وذلك بتطبيق آليات المنهج التقابلي على اللّغة العربية.

أ-كوهنCohen: قام كوهن بالموازنة بين الأشكال الزّمنية في اللّغة العربية، واللغة الفرنسية؛ إذ "حصر التنوع الصّرفي/ الزمني للفعل في العربية في فعل ويفعل، أو طرح أسئلة قبل نظرية من قبيل: لماذا لا تتعدد الأشكال الزمنية العربية تعدد ما يوافقها من أشكال في الفرنسية مثلا؟

يقارن كوهن (1989) بين العربية والفرنسية، ويضع الجدول التّالي:

الفرنسية:

Tu écris		**Tu as écrit**
Tu écrivais		**Tu eus écrit**
	Tu écrivis	**Tu avais écrit**
Tu écriras		**Tu auras écrit**
Tu écrirais		**Tu aurais écrit**

العربية: تكتبُ كتبْت

ويستنتج من هذا الجدول أنّ الصّيغتين الفعليتين في العربية لا تبدوان محددتين بالزمن كما تناوله...كما نلاحظ أنّ العربية لا تماثل من هذا الجانب اللّغة الفرنسية، إذ تغطي الصّيغتان العربيتان كل هذه الأشكال الفرنسية"[1].

فالفعل écrit في الفرنسية متصرف في:

Passé composé, et passé antérieur, et Plus-que-parfait, et futur antérieur, et passé 1er forme.

1-عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في العربية: دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1/ 2006م، ص 69-70.

فهذه الأشكال الزّمانية الخمسة تقابلها في العربية صيغة واحدة، وهي كتبت، ممّا يدلّ على سهولة تعلّم العربية؛ خلافا لمن زعم أن قواعدها عسيرة يصعب تعلّمها، ولا شكّ أنّ تقسيم الأفعال في العربية ثلاثة أنواع تقسيم منطقي، بل هو من أسرارها التي أودعها الله فيها. قال أبو البركات الأنباري: "إن قال قائل: لم كانت الأفعال ثلاثة: ماض، وحاضر ومستقبل؟ قيل: لأن الأزمنة ثلاثة، ولمّا كانت ثلاثة وجب أنّ تكون الأفعال ثلاثة: ماض، وحاضر ومستقبل"[1]. ولاشكّ أنّ ما أشار إليه أبو البركات الأنباري يعدّ من محاسين العربية ولطائفها ويزداد الأمر دقة أننا إذا أردنا أن نعبّر عن المستقبل القريب استعملنا حرف السّين مع الفعل المضارع، وإذا أردنا التعبير عن المستقبل البعيد استعملنا سوف مع المضارع، وإذا عبّرنا عن الماضي القريب استعملنا قد كقولك: قد قامت الصّلاة؛ أي قرب وقت قيامها.

ب-**هنري فليش Henri Fleisch**: تطرّق فليش في كتابه العربية الفصحى إلى الأشكال الزّمانية في اللّغة العربية واللغة الفرنسية فقال:" الزّمنان: التّامّ وغير التّامّ: وبعد هذا العرض للتّصريف نرى من المفيد أن نسوق - في دقة - بعض النّظرات العامّة عن الفعل العربي، حتى نعرف قيمة هذين الزّمنين اللذين أطلقنا عليهما: التامّ accompli وغير التام inaccompli.

ولا شكّ أنّ الدّارس الذي تعوّد سلوك الفعل في الفرنسية يتوه أمام وضع الفعل العربي؛ ففي الفرنسية أزمنة كثيرة ... هذه الأزمنة تحصر على وجه التحديد هذا الخط المثالى، خط الزّمن، فهناك: الحاضر: Present، والماضي passé، والمستقبل futur، والمستقبل في الماضي futur dans la passé، والماضي في المستقبل passé dans la futur. وجميع طوائف الماضي مثل: الماضي الناقص imparfaitوالماضي البسيط passé simple"[2].

والظاهر من كلام فليش أنّ اللّغة العربية فقيرة في باب الزّمن النّحوي، بخلاف الفرنسية

1-أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، تح: محمّد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، دط، دت، ص 315.

2-هنري فليش، العربية الفصحى دراسة في البناء اللّغوي، ترجمة : عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، دت، ص 182.

التي تمتلك نظاما دقيقا في هذا الباب، والواقع أنّ الأمر عكس ذلك. يقول براجشتراسر: " فاللّغة العربية أكمل اللّغات السّامية، وأتمّها في هذا الباب، أي باب معاني الفعل الوقتية وغيرها، وهي مع ذلك أحدثها، انكشفت انكشافا زائدا على ما في غير ها، وابتعدت عن الأصل ابتعادا أكثر منها"[1]: والتفصيل في باب الزّمن يقتضي تطويلا، ولا يتسع المقام لهذا، ولعل أفضل من تناول هذه القضية مالك يوسف المطلبي في كتابه الزّمن واللّغة. وإنّ المتأمّل في الأشكال الزمانية في اللغة العربية يجدها سهلة ميسورة لمن رام تعلم هذه اللّغة البهية، بخلاف اللّغة الفرنسية فإنّ الأزمنة فيها كثيرة ومعقدة، ممّا يصعّب ضبطها.

ج-ديفيد جستس :David justice: عرف بكتابه المعنون بمحاسن العربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، الذي يعدّ من المؤلفات التي اعتمدت المنهج التقابلي في تقييم العربية، وقد تناول فيه عدة قضايا تتعلق بالعربية، وقارنها باللغات الأوربية، وممّا زاد أهمية الكتاب إتقان المصنف للغات أوروبية عديدة كالفرنسية، والإسبانية، والألمانية، وكذلك اعتماده على علوم أخرى في تصنيفه للكتاب كالأنثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، واللّسانيات.

وبما أن الكتاب ضخم، فقد وردت فيه مسائل عديدة، إلا أننا في هذه العجالة سنتطرق إلى مسألة واحدة أشار إليه جستس بقوله:" ويحافظ نظام الكتابة محافظة كبيرة على تمثيل الصوتية الواحدة؛ بحرف مفرد بشكل يفوق اللاتينية نفسها (إذ لا يميّز فيها بين الحركات الطويلة والقصيرة)، والإيطالية (حيث نجد خمسة حروف لتمثيل سبع حركات)، والإسبانية (في النّطق المختلف للحروف: v, b, y عند أكثر المتكلّمين، ونطق الحروف: s, z, c عند كثير منهم ....ولسنا بحاجة إلى الفظائع الموجودة في كتابة الإنجليزية والفرنسية"[2]. وفي هذا ردّ على أولئك الذين يدّعون أن اللّغة العربية صعبة، يعسر تعلمها، ويبدو أن جستس كان أكثر موضوعية في معالجته لهذه القضية.

1-برجشتراسر، التّطور النحوي للغة العربية، ص 90.

2-ديفيد جستس، محاسن العربية في المرآة الغربية، ترجمة: حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض د ط، دت، ص 27- 28.

3-المنهج التاريخي:

يعدّ المنهج التّاريخي من أهمّ المناهج التي استخدمها الغربيون في أواخر القرن التّاسع عشر، وكان له دور هام في تفسير بعض الظواهر اللّغوية.

3-1 تعريفه:

عرّفه أحمد محمد قدور بقوله: "ويختصّ المنهج التّاريخي بدراسة التطور اللّغوي عبر الزّمن؛ من خلال الوقوف على التطور الاجتماعي والثقافي والعلمي وكلّ المعطيات المؤثرة في اللّغة"[1]. وعليه فإنّ المنهج التاريخي في دراسة اللّغة هو الذي يمكّن من تتبع المراحل التّي مرّت بها أي ظاهرة من الظواهر اللّغوية، مثال هذا: تتبع كلمة قطار من العصر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر؛ فدلالتها القديمة هي قافلة من الإبل، ودلالتها الجديدة تعني الآلة الميكانيكية المعروفة في زماننا.

والمنهج التّاريخي يدرس اللّغة على أساس أنها كائن حي؛ تولد وتنمو وتشيخ؛ فهو منهج بيولوجي. ويتضمن المنهج التاريخي المقارنة، والمقابلة، والتصنيف. والغاية من الدراسة فيه هي الوصول إلى اللّغة الأم؛ أي: اللّغة التي خرجت منها كلّ اللّغات.

3-2-نشأته:

يقول مصطفى غلفان: "يرى بعض المؤرخين أنّ ظهور المنهج التاريخي ابتداء من 1875م؛ يمثل في جوهره انتقال البحث اللّغوي في أوروبا من مرحلة فلسفية، يعدّ المفكر الألماني همبولدت رائدها بدون منازع إلى مرحلة جديدة لم يعد النظر فيها إلى اللغة في سياق الحياة الرّوحية الكلية للمجتمع والثقافة، بل أصبح ينظر إليها مثل أي جهاز عضوي طبيعي"[2]. وبناء على ما سطره فإن المنهج التاريخي كانت نشأته في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

3-3- أهميته:

تتجلى في النقاط الآتية:

1-أحمد قدور، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3/ 2008م، ص 27.

2-مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1/ 2010م، ص 165.

-التّعرف على التغيرات التي تطرأ على الألفاظ.

-"التّعرف على المؤثرات التي تتحكم في سير حياة الألفاظ العربية"[1]. وهذا جانب مهم في معرفة أسباب اندثار بعض الألفاظ.

-يفيد في صناعة المعاجم التّاريخية.

-ربط الحاضر بالماضي، مما يساعد على حلّ بعض المشكلات اللّغوية.

-التّعرف على بعض الصّيغ الصّرفية القياسية؛ مثل المصدر الصناعي الذي استعملته العرب في بضع عشرات من الألفاظ، فهو سماعي، ولشدة الحاجة إليه في زماننا نصّ مجمع اللّغة العربية على قياسه.

3-4-المستشرقون والمنهج التّاريخي:

لقد قام المستشرقون بإجراء دراسات حول العربية، استهدت بالمنهج التّاريخي، وسنحاول أن نعرّج على بعضها على النّحو الآتي:

أ-معجم دوزي Dozy: عنونه دوزي supplément aux dictionnaires، وقد ترجم إلى العربية ترجمات مختلفة، ولعلّ أشهرها تكملة المعاجم العربية. وقد اعتمد المصنف في جمع مادة معجمه على مصادر كثيرة جدّا، "وهي موزعة على نوعين: مصادر رئيسة: أفادت المؤلف في معجمه على مستوى المفردات والشرح، وقد ذكرها فبلغت نحوا من 387، وفي معظمها مؤلفات للمستشرقين، أو تعليقات، وحواش لهم على بعض المؤلفات العربية... مصادر ثانوية: ذكرها في قائمة خاصة، وعددها 43 مصدرا"[2]. وبالتالي فإنّ عدد المصادر التي اعتمدها دوزي تبلغ نحوا من أربعمائة وثلاثين مصدرا.

والمتصحف لمعجم دوزي سيجد حتما بعض المؤخذات وهي الآتي:

-ما أشار إليه بقوله: "إنّ اللّغة العربية الفصحى، لغة الشعر القديم، ولغة القرآن

1-إسماعيل عمايرة، المستشرقون والمناهج اللّغوية، دار حنين، الأردن، ط2/ 1992م، ص 28.

2-محمد محمود عبد الرحمن القاضي، دور المعاجم العربية للمستشرقين في الدعوة إلى العامية، ضمن بحوث مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه، جامعة القصيم، السعودية، 2016/12/16م، ج1/ 756-757.

والحديث، لم تعش إلا نحوا من مائتي سنة"[1]. وهذا سهم من سهام الاستشراق للطّعن في اللغة العربية الفصحى، والحط من شأنها، والواقع يكذّب ما ذهب إليه؛ إذ إنّ الفصحى لا تزال باقية، وهي محفوظة بحفظ القرآن.

-"عدم الاحتفال بجهود اللّغويين والنّحويين العرب، واتّخذ موقفا معاديا مناقضا إزاء التراث اللّغوي، ولم يقبل تفوق اللّغة"[2]. ولا يصدر هذا إلاّ عن مكابرة، فإنّ جهودهم تدلّ عليها مؤلفاتهم العظيمة القيّمة.

-تدوين المصطلحات النّصرانية دون الإسلامية.

-"إيراده مداخل تنسب إلى العامّية المحكية، واشتماله على ألفاظ أعجمية ليس لها علاقة بالفصحى وعدم تمييزه بين العامّي والفصيح"[3]. ممّا يدلّ على أنّ معجم دوزي سبيل من سبل الدعوة إلى العامّية. وأن العلاقة بين الاستشراق وهذه الدّعوة الخطيرة وثيقة محكمة.

ب-المعجم اللغوي التاريخي لفيشر Fischer: هو عبارة عن مشروع قدّمه فيشر إلى مجمع اللّغة بالقاهرة؛ بهدف تتبع التطور التاريخي للكلمات العربية ودلالتها . يقول جونغ كيولي عن فيشر ومعجمه: "حتّى إذا جاء عام 1936م، عرض مشروعه على مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتأييد من المستشرق الإيطالي نلينو (1892-1938م) فتبنته الحكومة المصرية وتحمّلت نفقات طبعه. بدأ الرجل جهده لإكمال هذ المعجم ولكنّ المنية عاجلته عام 1949م قبل أن يجني نتائج عمله، ثمّ تخلى مجمع اللغة العربية عن هذا المعجم نهائيا"[4]. وقد طبعته الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بمصر سنة 1967م في جزء واحد؛ من أوّل حرف الهمزة إلى كلمة أبد: وتولى مجمع اللغة العربية نشره.

1-وينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، دت، ج1/ 13.

2-علي توفيق الحمد، نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 15، 2001م، ص 16.

3-جونغ كيولي، جهود المستشرقين الألمان في المعجم العربي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، نوقشت في 1996/12/22م، ص 124.

4-المرجع نفسه، ص 124.

ج-معجم اللغة العربية الفصحى: تولّى إنجازه مجموعة من المستشرقين، وهم: كريمر Kremer، وشبيتالر spitaler ،وهيلموت جاتيه Helmut Gatje، ومنفريد ألمان Manfred ulman، وفيشر، و رنجرين Ringgren ،و دونلوب Dunlop ،و زينجر singer وكانوا يهدفون إلى إنشاء معجم موسوعي يتتبع التّطور التّاريخي للألفاظ العربية.

د-العربية ليوهان فك Johann Fück: من أهمّ الكتب التي تبنت المنهج التّاريخي في دراسة العربية. يقول محمد حسن عبد العزيز أثناء تقديمه لطبعة الكتاب: الكتاب تاريخ للعربية ولهجاتها ابتداءً من العصر الإسلامي حتى العصر الحديث، يشير في أثناء رحلته عبر هذه العصور التي سلكتها العربية في تطورها"[1]. فالمصنّف محاولة جادة لبيان التّغيرات التي طرأت على العربية على مرّ العصور.

4-المنهج الجغرافي:

يعد المنهج الجغرافي من المناهج الحديثة التي ظهرت في العالم الغربي، فهم الذين وضعوا أسسه وقواعده، وتأصيلاته، وإن كانت له إرهاصات في الماضي السحيق على أيدي علماء العرب اللغويين والجغرافيين.

4-1-تعريفه:

هو الذي "يدرس توزيع اللّغات البشرية على المواقع المختلفة من الكرة الأرضية، ويدرس كذلك المتحدثين لكل لغة وعددهم ومستواهم الاجتماعي، وتحديد مجالات النفوذ اللغوي للغات التي لها سيطرة على لغات أخرى"[2]. فالباحث في هذا المجال يجمع بين علم اللّغة وعلم الجغرافيا.

4-2-نشأته:

يقول مشتاق عبّاس معن: "وقد ولد هذا العلم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على أيدي الغرب، ويعدّ الفرنسي (جول جييرون1854- 1926م) من روّاد هذا

1-پوهان فك، العربية، ترجمة: عبد العليم النّجار، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، د ط، دت، ص 1.

2-محمّد محمّد داود، العربية وعلم اللّغة الحديث، دار غريب، القاهرة، د ط، دت، ص 94.

العلم، وذلك بكتابه الصّادر عام 1912 والموسوم بـ (منهج الجغرافيا اللّغوية linguistique (études de géographie)"[1]. وعليه فإن المنهج الجغرافي من أحدث المناهج.

3-4-أهميته:

نوجزها فيما يلي:

-معرفة توزيع اللغات في العالم.

-مدى تأثير العامل اللّغوي في العلوم الأخرى.

-يساعد على دراسة اللّهجات وضبطها.

- تكمن في إنشاء الأطالس اللّغوية التي تعين على دراسة الظواهر اللّغوية.

-دراسة مدى تأثير اللّغات بعضها في بعض، خاصة المتجاورة.

4-4-المستشرقون والمنهج الجغرافي:

لقد أدرك المستشرقون أهمية المنهج الجغرافي في الدّراسات اللّغوية، وذلك لطبيعة العلاقة الوطيدة بين الظاهرة اللّغوية وعلم الجغرافيا، فأقبلوا على تطبيقه في أبحاثهم، وقد كان للعربية نصيب منها، وسنعرض ضمن هذا المضمار بعض ما قدّمه المستشرقون على وجه التمثيل، لا الحصر.

أ-برجشتراسر bergstrasser: تمثل عمله في وضع أطلس لغوي لسوريا وفلسطين يقول رمضان عبد التواب: "أمَّا أطلسه اللغوي، الذي عمله لبلاد سوريا وفلسطين، فقد قام بعمل تسجيلاته كلها بنفسه، في عام 1914م، بعد أن حصل على إجازة من جامعة ليبزج، ليقضى شهورا في بلاد الشرق، فسافر إلى الآستانة، ومنها إلى سوريا، وفيها تنقل بين بلادها، باحثا وراء اختلاف اللهجات الدارجة بها، فمكث أولا في دمشق، ثم سافر إلى الجنوب في معان، ثمّ إلى حلب في الشمال، وفلسطين ولبنان.

وكانت حصيلة هذه التسجيلات، أن وضع أطلساً لغويا لسوريا وفلسطين، هو عبارة عن 42 خريطة تفصيلية وواحدة إجمالية، مع شرح لغوي في كتاب مستقل، طبع في ليبزج سنة

1-مشتاق عباس معن، المعجم المفصّل في فقه اللّغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2001م، ص 119.

1915م"[1]. والأطلس اللغوي من الطرق الحديثة التي يعتمدها المنهج الجغرافي؛ لتسجيل الفروق اللّغوية بين اللهجات في شكل خرائط كما فعل برجشتراسر، ولا يخفى على كل باحث أن هذه الأطالس اللّغوية مفيدة جدّا، إذ تعين على دراسات اللّهجات المختلفة، ومدى قربها من العربية الفصحى، كما تعين على معرفة التغيرات التي طرأت على اللّغة العربية في الأماكن المختلفة.

ب-تشيم رابينchaim Rabin: له كتاب اللّهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية وقد عمل على تطبيق المنهج الجغرافي في مواطن من كتابه. يقول عبد العزيز بن حميد الحميد: "استعان تشيم رابين Chaim Rabin في دراسته القيّمة للهجات العربية القديمة برسم عدد من الخرائط الجغرافية؛ لإبراز ظواهر لغوية متعددة، وقد رسم عشرين خريطة، وهي خرائط تعدّ نموذجا مصغّرا للأطلس الجغرافي للعربية"[2]. وقد وردت هذه الخرائط في كتاب رابين المذكور آنفا.

ج-شتيجر steigen : أشار إلى أهمية الأطلس اللّغوي للغة العربية فقال: "وبالنّسبة للغة العربية نقول: إن القيام بعمل أطلس لغوي لها سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصّة بفقه اللّغات السّامية؛ لأنّه سيكمل من غير شكّ الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة؛ بكشفه عن التطورات المتعلقة باللّهجات وباللّغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في اطلاعنا على تاريخ علم الأصوات، والتغيرّات التي أصابت اللّغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية، وتنوع مفرداتها"[3]. وهذا ما فتح المجال أمام العلماء العرب للاهتمام بالأطالس اللغوية، ومحاولة بعضهم لصنع أطلس جغرافي متعلّق باللّغة العربية، كما هو الشأن مع خليل محمود عساكر.

1-رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 158- 159.

2-عبد العزيز بن حميد الحميد، علم اللّغة الجغرافي بين المصطلح وأصوله لدى العرب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الثانية، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ص 39.

3-المرجع نفسه، ص 31.

المبحث الثالث: أهمّ المناهج العربية الحديثة التي درست العربية فيلو لوجيا:

لقد تأثّر العلماء العرب المحدثون بالتيار الغربي، فاستقوا من عندهم تلك المناهج الحديثة، وطبّقوها على العربية، وفي هذه العجالة سنعرج على المنهج المقارن، والمنهج التقابلي والمنهج التاريخي، والمنهج الجغرافي، وكيف طبقها علماؤنا على الدراسات اللغوية العربية.

1-المنهج المقارن:

تظهر تجليات المنهج المقارن عند العلماء العرب المحدثين في مجال مقارنة اللّغات السّامية وقد حظي هذا الباب بدراسات عديدة، وسنكتفي بذكر بعض الأعلام للدّلالة على الباقي.

1-1-رمضان عبد التّواب:

اعتنى رمضان عبد التّواب بدراسة اللّغات السّامية، ويظهر هذا من مؤلفاته في هذا الميدان، ككتاب اللّغة العربية، قواعد ونصوص ومقارنات باللّغات السّامية، وكتاب نصوص من اللّغات السّامية مع الشرح والتّحليل والمقارنة، وكتاب في قواعد السّامية: العبرية والسّريانية والحبشة، وله مصنفات مترجمة كفقه اللّغات السّامية لبروكلمان، واللّغات السامية لنولدكه. وكذلك قام بإخراج مصنف التطور النحوي للغة العربية لبراجشتراسر؛ ممّا يوحي بتأثره بالمدرسة الألمانية الاستشراقية.

من المسائل التي أعطاها رمضان عبد التّواب أهمية كبرى مسألة التذكير والتأنيث في اللغات السّامية. يقول أثناء تحقيقه لكتاب البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات الأنباري: "وتدلّ مقارنة اللّغات السامية مثلا، على أنّ السّاميين القدامى كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللّغة، لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل آخر للمؤنث، ففي اللغة العربية مثلا: حمار للمذكر في مقابل أتان للمؤنث من الحمير ... وفي اللّغة العبرية ayil كبش في مقابل rahél نعجة - رَخِل لأنثى الكبش، وفي اللّغة السّريانية gadyà جدي في مقابل ezzàعنز، وهما في الآشورية gadu جدي وenzu عنز... وغير ذلك كثير"[1]. وهذا

1-ابن الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، مصر، دط، د ت، ص 37.

الأصل الذي ذكره رمضان عبد التّواب لم يعد معتمدا في جميع صيغ المذكر المؤنث؛ لوجود علامات التأنيث.

ثمّ يعرّج على ذكر العلامات الخاصّة بالتأنيث اللّغات السّامية فيقول: "وهذه العلامات هي: التاء، والألف الممدودة، والألف المقصورة.

أمّا العلامة الأولى وهي التاء، فهي أهم العلامات وأكثرها انتشارا في اللّغات السّامية.... وقد بقيت التاء كما هي في الآشورية والحبشية، في حالتي الوصل والوقف أمّا في اللّغة العربية فإنّها هاءً في حالة الوقف"[1]. فأمّا الوقف بالهاء في المفرد في العربية فعلى الأفصح، وبعضهم يقف بالتاء كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ (سورة الأعراف الآية 54)، و به قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزه[2].

ثم ينتقل إلى العلامة الثانية فيقول: "أمّا العلامة الثانية للتأنيث، وهي الألف الممدودة، فتوجد في اللّغة العربية على الأخص في صيغة: فعلاء مؤنث أفعل الدّال على الألوان والعيوب الجسمية؛ مثل حمراء مؤنث أحمر، وعرجاء مؤنث أعرج، ويرى بروكلمان أن هذه الألف تطابق في اللغة العبرية (o) في أسماء الأماكن مثل: silo"[3] وللألف الممدودة في العربية أوزان أخرى كأفعلاء، وفعللاء، وفاعِلاء، وفِعْلياء، وَفَعِلاء ، وفَعِيلاء، ومَفْعُولاء.

ثمّ يذكر العلامة الثالثة قائلا: "وأمّا العلامة الثالثة للتأنيث، وهي الألف المقصورة، فتوجد في اللّغة العربية على الأخص، في صيغة فُعلى مؤنث أفعل الدّال على التفضيل مثل: كبرى مؤنث أكبر، وهي تقابل في اللّغة العبرية (ay) في مثل Sàray إلى جانب Sara سارة، وتقابل في اللّغة السّريانية (ay) كذلك في مثل tu'yay ضلالة"[4]. وللألف المقصورة أوزان كثيرة؛ منها: فَعَلَى وفَعْلَى، وفُعَالَى، وفُعَّلَى، وفِعْلَى.

1- ابن الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، ص 42-43.

2-ينظر: الحطاب، متممة الآجرومية في علم العربية، تح: المهذري، الناشر المتميز، الرياض، ط/ 2018م، ص301.

3-ابن الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، ص 46.

4-المرجع نفسه، ص 47.

ويشير أيضا إلى الكلمات المؤنثة بدون علامة التأنيث فيقول: "وهذا وتحتوي اللّغات السّامية فيما عدا ذلك على الكثير من الكلمات المؤنثة دون أن يكون لها إحدى علامات التأنيث السّابقة، وهذا النوع هو ما يسميه اللغويون العرب بالمؤنثات السّماعية. ومن أمثلة ذلك في اللغة العربية: عين، وأذن، وعضد.. وتميل اللّغة الآشورية إلى إدخال تاء التأنيث على هذه المؤنثات السّماعية كذلك، فمثلا كلمة نفس مؤنثة في اللغة العربية، وكذلك في الحبشية nefs والعبرية nefes، والآرامية nafsà بلا علامة تأنيث كلها، أمّا الآشورية فالكلمة فيها napistu"[1]. وبناءً على ما قرره؛ فإن اللّغة العربية في باب المؤنثات السّماعية تشترك مع اللغات السامية في عدم إدخال علامات التأنيث، إلاّ الأشورية فإنها تدخل تاء التأنيث في هذا الباب.

1-2-علي عبد الواحد وافي:

أبان في كتابه فقه اللّغة عن وجوه الخلاف بين اللغات السّامية فقال: "فمن وجوه الاختلاف في القواعد أداة التعريف فهي في العربية أل في أوّل الكلمة، وكانت في السّبئية حرف نون في آخر الكلمة، وفي السّريانية حرف آ في نهاية الكلمة، أمّا الآشورية البابلية والحبشية فلا أداة للتعريف فيهما مطلقاً. ومن ذلك أيضا علامة الجمع: فهي في العبرية حرفا يم للمذكر والواو والتّاء للمؤنث، والآرامية حرفا ين: في حين أنه في العربية يستخدم للدلالة على جمع المذكر؛ الواو والنون في الرّفع، والياء والنون في النصب والجرّ في آخر الكلمة، وللدلالة على جمع المؤنث الألف والتاء في آخر الكلمة، وللدلالة عليهما معا صيغ جمع التكسير"[2]. ومنه يتبيَّن أنّ اللغات السّامية تختلف في أداة التعريف، والعلامات الدّالة على الجمع وغيرها من الاختلافات الكثيرة التي ليس هذا محل بسطها.

1-3-رمزي منير بعلبكي:

عُرف بمؤلّفه فقه العربية المقارن، دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السّامية. وقد أشار في مقدمته إلى المنهج الذي اعتمده فقال: "مجال بحثنا هذا

1-ابن الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، ص 48.

2-علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص 21.

هو العربية الفصحى، ومنهجه هو المنهج المقارن للغات السّامية."[1] وهو كتاب حافل بالموازنة بين العربية وغيرها من اللّغات السّامية في الجانب الصّوتي، والصّرفي، والنّحوي وسنقتطف منه ما يدلّ على المطلوب.

يقول رمزي بعلبكي في صدر حديثه عن الحالات الإعرابية: "مع أنّ معظم اللّغات السّامية فقد علامات الإعراب، باستثناء بقايا منها ترجع إلى مرحلة لغوية سابقة، نستنتج من وجود نظام إعرابي في العربية الفصحى والأوجاريتية والأكادية... ففي حين احتفظت العربية بهذا النظام على صورته التي تفترض أنها الأصل السّامي الأم، لم يبق منه في الآرامية والعبرية سوى آثار لا يلاحظها إلا الدّارس، وذلك لما اعترى أصلها من تغير. وتدلّ المقارنة على أن النّظام الإعرابي السّامي، منذ النشأة، حصّ الضمة بالإسناد، والفتحة بالمفعولية، والكسرة بالإضافة"[2]. فالإعراب سمة من سمات اللّغات السّامية، إلا أنّ هذه الخاصية فقدت في بعضها، فلم تبق إلّا في العربية، والأكدية التي تشمل اللغتين البابلية والآشورية والأوجاريتية، والحبشية، وبعض اللغات السّامية الأخرى. والإعراب من أهم خصائص العربية؛ فبه نميّز بين المعاني المتكافئة.

ويقول في موضع آخر: "الزّوائد الصّرفية، ومعاني الأوزان: تشترك السّاميات جميعا بإدخال زوائد affixes على جذور الكلمات؛ للدلالات الصّرفية المختلفة، وباستخدام ثلاثة أنواع منها بحسب موضع كلّ نوع في الكلمة، وهذه الأنواع الثلاثة هي السوابق préfixes؛ كهمزة التعدية في الفعل وميم المصدر في الاسم؛ والدّواخل أو الحواشي inilisces كتاء افتعل وافتعال، ونون الفعل، وانفعال، واللواحق suffixes؛ كنون التوكيد وعلامة التثنية ومع أن الأخوات السّاميات تختلف في مدى الاستفادة من هذه الزوائد. وتنفرد إحداها أحيانا بزائدة ما، كما في أداة التعريف، وهي لام سابقة العربية، و ha سابقة في العبرية، وà لاحقة في

1-رمزي بعلبكي، فقه العربية المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، د ط، د ت، ص7.

2-المرجع نفسه، ص 48-49.

السّريانية"[1]. فاللغات السّامية تشترك في إدخال الزوائد على أصول الكلمات، وهي ثلاثة أقسام:

- زوائد في أوّل الكلمة، ومثّل له بهمزة التعدية، وهي التي تصير الفاعل مفعولا، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴿٣٤﴾﴾ (سورة فاطر، الآية 34). فالفعل ذهب لازم، فلمّا دخلت عليه همزة التعدية أصبح متعديا.

- زوائد في وسط الكلمة: ومثّل له بنون انفعل، وهذه الصيغة لا تدل إلّا على المطاوعة، ولا يكون الفعل إلاّ لازما. وتاء افتعل، وهذه الصيغة تدل على عدة معان منها الاجتهاد، والتشارك، والمطاوعة، والمبالغة في الفعل.

- زوائد في أواخر الكلمة، ومثّل له بنون التوكيد التي تدخل على الفعل المضارع فيصبح مبنيا بعد أن كان معربا.

2-المنهج التقابلي:

نظرا للمكانة المركزية التي يحتلها المنهج التقابلي في تعليم اللغات، وتصحيح الأخطاء المنتقلة عن طريق الترجمة، أقبل عليه الدّارسون المحدثون العرب، بتطبيقه في الدّراسات الميدانية، وكان من أولئك:

1-2-علي مذكور وإيمان هريدي:

لهما كتاب تعليم اللّغة العربية لغير النّاطقين بها النظرية والتطبيق، وقد خصصا الفصل التاسع للتقابل اللّغوي وتحليل الأخطاء، وقسّماه إلى مبحثين: الأول: مدخل الدّراسات التقابلية بين اللغات، والثاني: مدخل تحليل الأخطاء، وقد ركّزا عليه في هذا الفصل؛ لكثرة الأخطاء التي يقع فيها المقبلون على تعلم اللّغة الأجنبية الثّانية. ومن القضايا التي أشارا إليها قضية الموازنة بين الأنظمة الصوتية فقالا: "المقارنة بين نظامين صوتيين: تشير الدّراسات الميدانية إلى أننا عندما نتعلم لغة أجنبية نميل إلى نقل نظام لغتنا بكاملها إلى اللغة الأجنبية التي نتعلمها، فننقل إليها فونيمات (الوحدات الصوتية) لغتنا، كما ننتقل النبر، وأنماط

1-رمزي بعلبكي، فقه العربية المقارن، ص 49- 50.

الإيقاع، والوقف، وأنماط التنغيم وتفاعلها مع الفونيمات الأخرى.

- نلاحظ أن المتحدث بالإنجليزية لا يجد مشكلة نطق الصّوتين / ذ/ / ث/

-أمّا المتحدث بالفرنسية فيقلب الذال دالا، والثاء تاءً.

-أمّا المتحدث بالألمانية فينطق الثاء سينا، والذال رايا.

-لا تشكل اللام صعوبة بأكثر اللغات... ولكن يلاحظ الخلط بين اللام والرّاء لدى المتحدثين بالصينية واليابانية"[1]. فالنظام الصّوتي هو الحلقة الكبرى، بل المفتاح في تعلّم اللّغات الأجنبية فلذلك ينبغي ضبطه ضبطا متقنا محكما، والملاحظ عمليا أنّ اللّغات تتأثر بعضها ببعض، ولكنّ هذا التّأثر يعود في بعض الأحايين بالسّلب أثناء تعلّم اللّغة الأجنبية الثانية فمثلا عندنا في العربية ننطق الكاف مفخمة في بعض الكلمات: كلفظة العسكري وهذا راجع إلى مشابهة K في الفرنسية، وتنطق (أ) في كلمة أعوذ مفخمة، وهذا راجع إلى مشابهة A في الفرنسية. وقس على هذا. فاللّغة قبل كل شيء أصوات ينطق بها المتعلمون، فلذلك يتحتم علينا أن نولي الجانب الصّوتي عناية كبيرة، حتى يتسنى لنا تعلم اللّغات الأجنبية بطريقة صحيحة وسليمة.

ثم بيّنا أهمية الموازنة بين النظامين الصّوتيين فقالا: "من المثال السابق نستطيع أن نرى مدى الحاجة إلى مقارنة النظامين الصّوتيين الأصلي والأجنبي كوسيلة للتنبؤ بالمشكلات النطقية ووصف ما يتعلق منها بأداء المتكلمين بلغة معيّنة عندما يدرسون لغة أخرى.

-وتظهر هذه الحاجة في إعداد المواد التعليمية، وتأليف الكتب، وفي عمل التمارين والتدريبات الإضافية"[2]. فالموازنة بين النظاميين الصّوتيين تساعد في إعداد المناهج التربوية وإعادة صياغتها، وحل المشكلات التي تقف عائقا أمام المتعلمين.

2-2-أحمد سليمان ياقوت:

قام بإجراء عدة عمليات تقابلية، في مصنفه في علم اللّغة التقابلي دراسة تطبيقية، وقد

1-علي مذكور، إيمان هريدي، تعليم اللّغة العربية لغير الناطقين بها، ص 298-299.

2-المرجع نفسه، ص 299.

اقتطفنا بعضا منها، وهي على النحو الآتي:

أ-الجانب الصوتي: يقول متحدثا عن الفرق بين العربية والإنجليزية: "أوّل ما يتبادر إلى الذهن من فروق صوتية أن العربية لا يبدأ فيها بالساكن .... أمّا في الإنجليزية فنجد كلمات كثيرة تبدأ بالسّاكن مثل small, stay, bring, station "[1]. ويقول أيضا: "وغير بعيد عنّا أيضا في هذا المجال أنّ في العربية حروف لا نظير لها في الإنجليزية، كالحاء التي ينطقها الإنجليزي هاء والخاء التي ينطقها كافا فيها إشمام بسيط من الخاء، وكذلك حرف الضاد ... لا وجود له في الإنجليزية ولا الفرنسية"[2] وهناك فروق كثيرة لم يذكرها المصنف؛ بداعي الإطالة.

ب-جانب المفردات: ضمن هذا الباب ذكر ما اختصت به العربية عن الإنجليزية والفرنسية حيث قال: " وممّا يلفت نظر الدارس في هذا المجال أن في العربية إفراداً وتثنية وجمعا. أمّا في الإنجليزية والفرنسية فيوجد الإفراد والجمع، ولا توجد التثنية التي يتوصل إليها باستعمال العدد two ,deus قبل المعدود"[3] : ولعلّ هذا الأمر راجع إلى الإيجاز في الكلمات، فالعربية تستعمل كلمة واحدة للدلالة على المثنى، بخلاف الإنجليزية والفرنسية اللتين تستعملان كلمتين للدلالة على التثنية.

ج-جانب التراكيب: يقول أحمد سليمان ياقوت: "وممّا يلفت النّظر في التراكيب، ويدخل حقا في المجال التطبيقي لعلم اللّغة التقابلي تركيب الجملة في كل من اللّغة العربية من ناحية واللّغتين الإنجليزية والفرنسية من ناحية أخرى. فاللّغة العربية لا تستعمل لفظا يربط بين المبتدأ والخبر، بل يأتي المبتدأ متلوا بالخبر ليس غير، بعكس اللّغتين الإنجليزية والفرنسية تأتيان بالمبتدأ subject، وبعده الرابطة coupla، ثمّ يليهما الخبرpnedicoate ، والرّابطة في الإنجليزية فعل الكينونة (v.tobte) وكذلك في الفرنسية (v. être)، فيقال في ترجمة (الولد مؤدب) Theboy is plite, le garçons est poli"[4]. وهذا أيضا راجع إلى أن العربية مبنية على

1-أحمد سليمان ياقوت، في علم اللّغة التقابلي، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، دت، ص 17-18.

2-المرجع نفسه، ص 18-19.

3-المرجع السابق نفسه، ص 22.

4-المرجع السابق نفسه، ص 23.

الإيجاز في التراكيب: فالجملة الاسمية قائمة على المسند والمسند إليه دون ذكر الرّابطة التي تكون عقلية منطقية.

ويقول أيضا: "هذا كله عن الجملة الاسمية فإذا أتينا إلى الفعلية وجدناه في العربية فحسب، دون اللّغتين الأخريين اللّتين تبدآن دائما بالفاعل أو المسند إليه subject"[1]. ولاشكّ أن تقسيم الجمل في العربية أقوى من اللّغتين الإنجليزية والفرنسية؛ ومردّ هذا إلى تنوع الدلالات؛ فالجملة الاسمية تدلّ على معنى، والجملة الفعلية تدلّ على معنى آخر، فلكل مقام ما يناسبه من الجمل.

وقد تناول أحمد ياقوت مسائل أخرى كالمذكر والمؤنث، والنكرة والمعرفة، والفعل والمصدر، والتصغير وغيرها من القضايا، وليس هذا محلّ بسطها.

2-3-عادل الشيخ عبد الله أحمد وعبد البصير بن محمد الرابع المكرطي:

نشرا مقالا في جامعة أم القرى لعلوم اللّغات وآدابها بعنوان الضمائر البارزة في اللّغة العربية ولغة الهوسا دراسة تقابلية. وقد أشارا في بداية المقال إلى العلاقة بين العربية ولغة الهوسا فقالا: "لغة الهوسا واحدة من اللّغات الإفريقية التي تربطها علاقة وثيقة بالعربية والعلاقة ذات بعد لغوي وتاريخي وجغرافي ثم عقدي، إذ إنها من حيث الرّابط اللغوي تنتمي مع العربية إلى فصيلة اللغات الأفرو آسيوية. غير أن الصلة بينهما قد انقطعت منذ آلاف السنين؛ مما جعل كل منهما تتطور في اتجاه مغاير"[2].

ثم تطرقا إلى مفهوم الضمير في العربية والهوسا فقالا: "الضمير في اللغة العربية من مادة (ض. م. ر)، وقد تفرع عن هذه المادة معاني كثيرة فمن معاني الضمير لغة: العنب الذابل والستر، وداخل الخاطر، وجمعه الضمائر، وأَضْمَرَهُ أخفاه... أما نحاة الهوسا فإنهم سموا ضمائرهم انطلاقا من وظيفتها الأساسية التي هي القيام مقام الاسم في الجملة؛ لتفادي تكراره

1-أحمد سليمان ياقوت، في علم اللّغة التقابلي، ص 25.

2-عادل الشيخ عبد الله أحمد وعبد البصير بن محمد الرابع المكرطي، الضمائر البارزة في اللغة العربية ولغة الهوسا دراسة تقابلية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، السعودية، العدد الثاني والعشرون، محرم 1440هـ، ص104.

الجملة، ولذلك ساع كتب الهوسا مصطلح wakilin suna الذي يمكن ترجمته حرفيا بـ (وكيل الاسم أو نائب الاسم)"[1]. فالمعاني التي تناسب معنى الضمير في العربية هي الخفاء والستر وداخل الخاطر، وهي تتوافق مع المعنى الاصطلاحي الذي أشارا إليه فقالا: "إنه اسم معرفة يدل على المتكلم، والمخاطب، والغائب، والضمائر الدالة على المتكلم مثل: أنا نحن والضمائر الدالة على المخاطب مثل: أنت، أنت، أنتما، والضمائر الدالة على الغائب: هو هي، هما.

أما في نحو الهوسا؛ فالضمير عبارة عن كلمات تقوم مقام الأسماء، حيث لا يراد استعمال الاسم مباشرة، أو يراد تكرار الاسم في الجملة أو الكلام مثل : أنا (ni) أن (Kai) ، أنتِ (ke)، هو(shi) ، هي (ita) ، نح (mu) ،أنتم (ku) هم (su) "[2]. فالضمير في العربية مادلّ على معيّن بقرينة التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة والكوفيون يسمونه الكناية أو المكنى في مقابلة الصريح. وسمّي كذلك؛ لأنّه يكنى به عن الظاهر اختصار. وفي النحو الهوساوي يكون الضمير وكيل الاسم أو نائبه.

ثم انتقلا إلى مفهوم الضمائر البارزة في العربية والهوسا فقالا: "يراد في العربية بالضمير البارز ماله صورة في اللفظ حقيقة أو حكما؛ مثل التاء في أكرمت.

أما في لغة الهوسا، فالظاهر أنّ النحو الهوساوي لم يتطرق إلى تقسيم الضمير إلى بارز ومستتر، فإذا نظرنا إلى الوحدة الرابعة من كتاب (language grammar of the languag) يتبين لنا أن الضمائر في الهوسا كلها بارزة...

وينقسم الضمير في النحو الهوساوي إلى سبعة أقسام ...

يتفق النحو الهوساوي مع النحو العربي في تقسيم الضمائر إلى منفصلة و متصل كما يشير إلى ذلك تعريف الزروق للضمائر المنفصلة في الهوساً"[3]. والضمير البارز في العربية ينقسم إلى متصل ومنفصل.

1-عادل الشيخ عبد الله أحمد وعبد البصير بن محمد الرابع المكرطي، الضمائر البارزة في اللغة العربية ولغة الهوسا دراسة تقابلية، ص113-114.

2-المرجع نفسه، ص 114.

3-المرجع السابق نفسه، ص 115.

والمنفصل ينقسم إلى قسمين:

- ضمائر رفع؛ وهي أنا وفروعه.
- ضمائر نصب؛ وهي إياي وفروعه.

والمتصل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ضمائر رفع فقط؛ وهي ضمائر الرفع المتحركة (تَ-تُ-تِ)، وألف الاثنين، وواو الجماعة وياء المؤنثة المخاطبة، ونون الإناث.
- ضمائر نصب، وجرٌ، وهي ياء المتكلم وكاف الخطاب، وهاء الغيبة، وها الغائبة. وذلك أنها إذا وجدت بعد الفعل فهي في محل نصب، وإذا وجدت بعد الاسم فهي في محلّ جرّ، وإذا وجدت بعد الحرف فهي في محل جر أو نصب.
- ضمير رفع ونصب وجرَّ: وهُو "نا"؛ فإذا كان بعد الاسم فهو في محل جر، وإذا كان بعد الحرف يحتمل الجرّ أو النصب، وإذا كان بعد الفعل المضارع وفعل الأمر فهو في محل نصب، وإذا كان بعد فعل الماضي وقبله ساكن فهو في محل رفع، وإذا كان قبله مفتوح فهو في محل نصب.

ثم ذكرا في جدول ضمائر الرفع البارزة في العربية، وما يقابلها من ضمائر بارزة في لغة الهوسا:[1]

Ni	نحن.
Mu	نحن.
Kai	أنتَ.
Ke	أنتِ.
Ku	أنتما، أنتم،أنتن.
Shi	هو.
Ita	هي.

1-عادل الشيخ عبد الله أحمد، عبد البصير بن محمد الرابع المكرطي، الضمائر البارزة في اللغة العربية ولغة الهوسا دراسة تقابلية، ص117.

Su هما، هم، هنّ.

وبالتالي فضمائر الرفع البارزة في العربية اثنا عشر ضميرا، يقابلها في لغة الهوسا ثمانية ضمائر.

3- المنهج الجغرافي:

يقوم علم اللغة الجغرافي بمعالجة عدة قضايا، ولعل أهمها ما ينصب على عمل الأطالس اللغوية، وتوزيع اللغات في جميع أنحاء العالم، ودراسة اللهجات، وقد كان للمحدثين العرب شيء من الدراسات المتعلقة بهذا الجانب، وسنتناول بعض المحاولات التي قام بها بعض الباحثين.

3-1- عبده الراجحي:

في كتابه اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عنون الباب الرابع بدراسة لغوية في اللهجات حيث ذكر أوجه الاختلاف بينها على المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي، وضمن كل مستوى تناول مسائل عديدة. ولكننا سنشير إلى مسألة واحدة ضمن كل مستوى.

أ-المستوى الصوتي: أشار إلى قضية الإدغام فقال: "والإدغام عند القدماء فهو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا. وهو عند القراء ضربان كبير وصغير. أمّا الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا، أي أن الصامت الأول معه صائت قصير، وقد نسبت القراءة بهذا الضرب إلى أبي عمرو. وأمّا الإدغام الصغير فهو عبارة عمّا إذا كان الحرف الأول منه ساكنا. أي أن الصامت الأول لا يفصله عن الثاني صائت"[1]. ومنه يتبين أن الإدغام الكبير هو اجتماع الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا، والإدغام الصغير هو اجتماع حرفين؛ الأول منهما ساكن، والثاني متحرك بحي يصيران حرفا واحدا مشددا.

1-عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفية الجامعية، مصر، طبعة 1996م، ص 126.

ثم خلص في النهاية إلى نتيجة مفادها أن القبائل التي كانت تقطن شبه الجزيرة وشرقيها ومعظمها قبائل بادية كانت تميل إلى الخفة والسرعة في الكلام هي التي استعملت الإدغام وأن الإظهار من سمات بيئة الحجاز المتحضرة التي تميل إلى التأني في الأداء[1].

ب-المستوى الصرفي: تحدث عن المقصور والممدود فقال "وتتفق الروايات على أن الممدود من لهجات الحجاز؛ حيث يذهب بنو تميم، وقيس، وربيعة، وأسد، إلى القصر، وذلك يناسب كلا من البيئتين، إذ أن الفرق بين المقصور والحمد إنما هو في كمية الصائت الطويل الذي يقع في آخر الاسم فإذا كانت القبائل الحجازية المتحضرة تذهب إلى التاني وتحقيق الأصوات فتستوفي كمية هذا الصائت حتى تصل إلى الهمزة، فإن القبائل البادية من تميم، وقيس وربيعة، وأسد تميل إلى السرعة في النطق، مما يؤدي بها إلى كثير من الحذف على ما رأينا سابقا"[2]. وتجدر الإشارة إلى أن المقصور ما كان آخره ألف لازمة، وهو على قسمين سماعي وقياسي، والممدود ما كان آخره همزة تلي ألفاً زائدة نحو كساء، وهو على قسمين كذلك قياسي وسماعي.

ج-المستوى النحوي: ذكر مسألة ضمير الفصل فقال: "وضمير الفصل في العربية يأتي للتأكيد ولا يكون له محل من الإعراب، ولكن هناك لهجات تجعل له محلا من الإعراب، وقد وردت بهذه اللهجات قراءات نعرضها فيما يلي:

1-قرأ الجمهور " إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ" بنصب الحق، وقرأ الأعمش وزيد بن علي الحق بالرفع.

2- وقرأ الجمهور. " وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ " بالنصب وقرأ عبد الله وأبو زيد الظالمون" بالرفع...

وواضح من هذه القراءات أن إهمال ضمير الفصل كان أكثر شيوعا في العربية، إذ لم يختلف فيه القراء السبعة، وأن الذين قرأوا بإهماله هم أصحاب القراءات الشاذة"[3]. وضمير الفصل هو صيغة ضمير منفصل مرفوع بفصل بين المبتدأ والخبر قبل دخول العوامل عليهما

1-ينظر: عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 133.

2-المرجع نفسه، ص 168.

3-المرجع السابق نفسه، ص183.

وبعدها. ويسمى عند البصريين فصلا، لأنه يزيل اللبس عمّا بعده بكونه خبرا لا تابعا ويسمّى عند الكوفيين عمادا؛ لأنه يعتمد عليه في تأدية المعنى، ومثبت لما بعده على الخبرية. وقد اختلف النحاة في حرفيته أو إسميته، قال أبو حيان: " وأكثر النحاة يذهب إلى أنه حرف"[1]: وهذا راجع إلى أنهم لم يجدوا له أثرا إعرابيا، ولضمير الفصل وظائف تتمثل في:

- التوكيد والتقوية: كقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ١٧﴾ [سورة المائدة، الآية 17].

- القصر والحصر: كقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ ١٢٠﴾ [سورة البقرة، الآية 120].

- التمييز بين الخبر والتابع: كقوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [سورة فاطر، الآية15].

وهناك أمثلة كثيرة جدا في القرآن الكريم تصلح لهذه الوظائف الثلاثة.

د-المستوى الدّلالي: تناول لفظتي الحصب والحطب بعد ما أشار إلى ورودهما في القرآن الكريم ثم قال: " ويذكر أبو عبيد أن (الحصب) معناها (الحطب) في لهجة قريش، ويقول الفراء، إن (الحصب) في لهجة نجد: ما رميت به في النار، والذي نحسبه أن بين اللفظين عموما وخصوصا، فالحصب كما تقول المعاجم الحجارة والحصى، والحصب كل ما ألقيته في النار من حطب. وغيره، ولعلهما كلمة واحدة حدث فيها تغيير في أحد أصواتها، وأدى هذا التغير إلى تخصيص المعنى في الكلمتين وتعميمه في الكلمة الأخرى"[2]. وعلى ما قرّره يتبيّن أن الحصب لا يقال له حصب إلا إذا رمي في النار، وإلا فهو حطب وغيره قبل ذلك.

وفي خاتمة بحثه بين أهمية دراسة اللّهجات العربية فقال: "إن دراسة اللّهجات العربية ضرورية جدا؛ لفهم التّطور اللّغوي للعربية ولتأصيل الدرس اللغوي. ولابد من دراسة اللهجات

1 - أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 489/1.

2 - عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص200.

القديمة من مصادرها المختلفة، وقد قمنا بدراستها من مصدر واحد وينبغي بعد ذلك التوفر على المصادر الأخرى"[1]. ثم وضع بعد ذلك أطلسا لغويا، اقتبسنا منه بعض الخرائط[2].

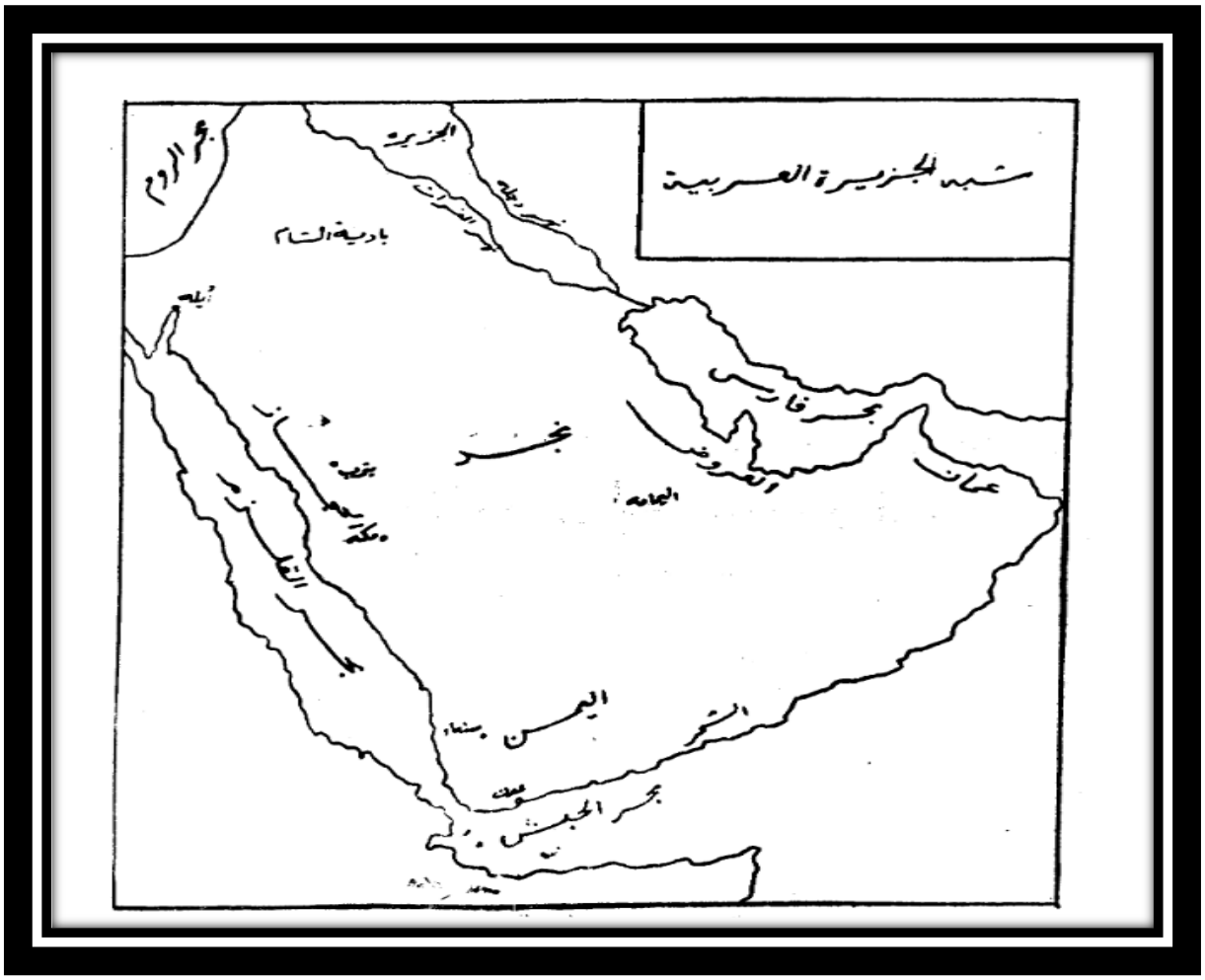

1-عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 206

2 -المرجع نفسه، ص 208 – 210.

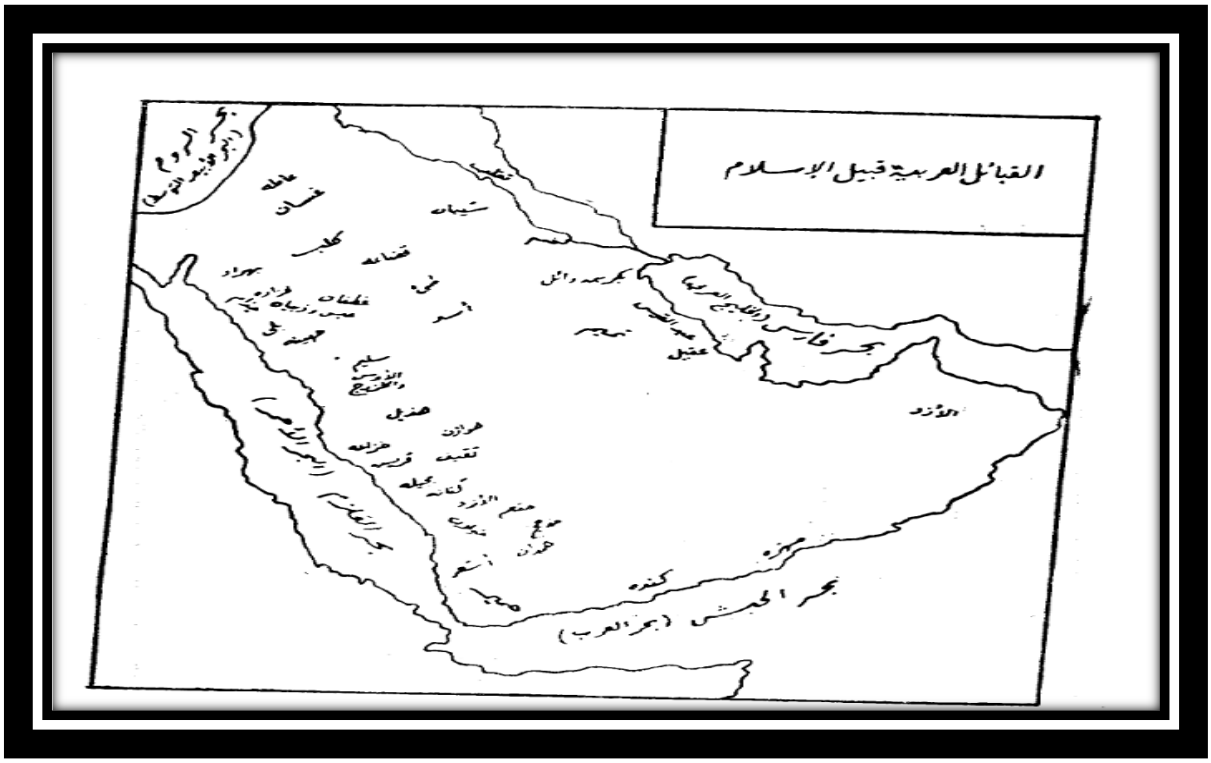
القبائل العربية قبيل الإسلام
بحر الحبش (بحر العرب)

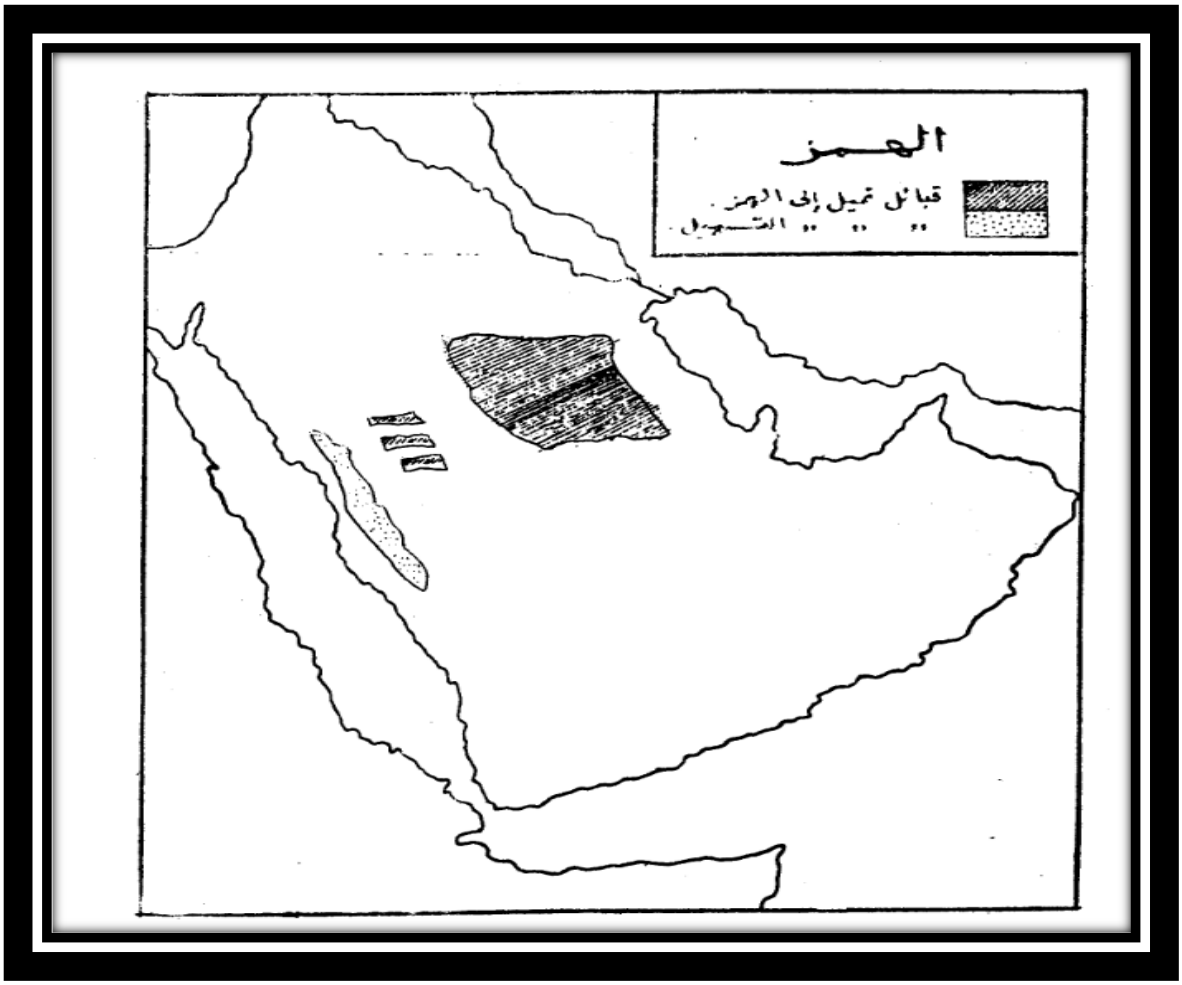
الهمز
قبائل تميل إلى الهمز
" " " التسهيل

2-3) -محمّد يعقوب أحمد تركساني:

قام بصنع أطلس سماه أطلس لغات طيئ، وقد قام خليل محمود عساكر بالإشراف عليه. وسنعرض منه بعض الخرائط.[1]

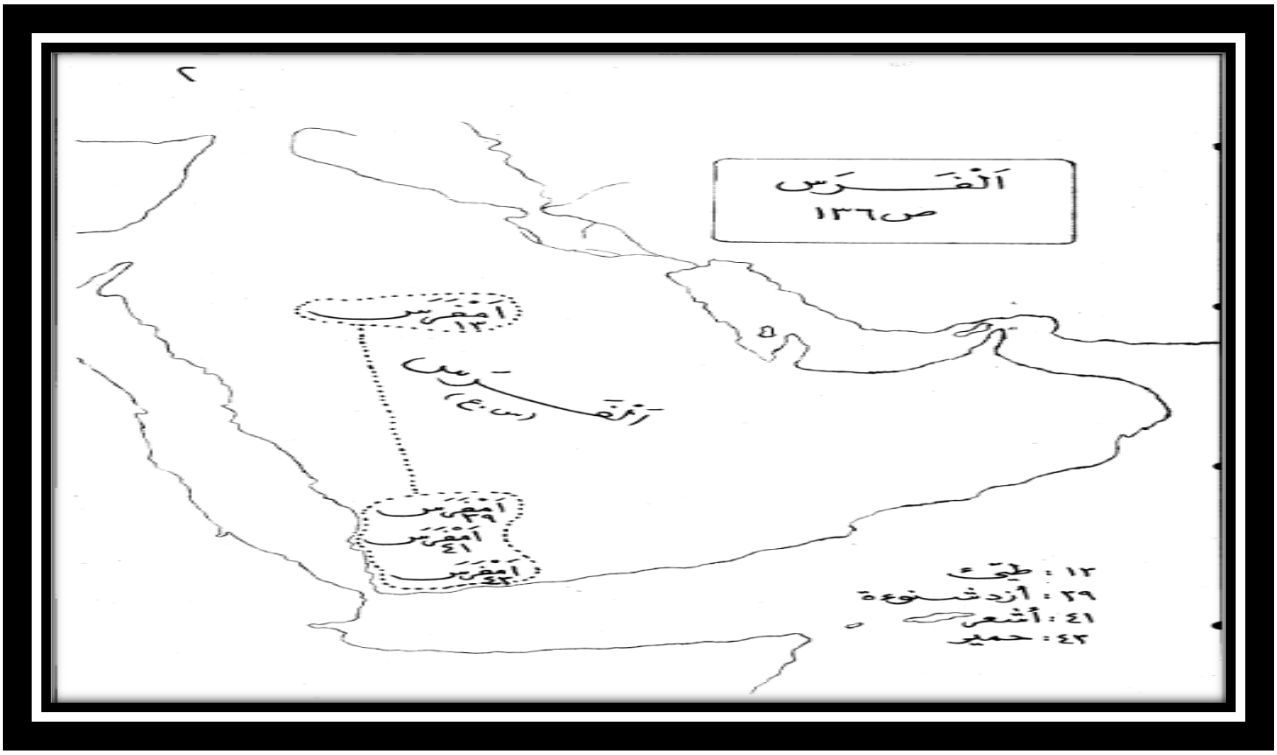

1 - محمد يعقوب أحمد تركيستانى، أطلس لغات طيئ، جامعة أم القرى، الرياض، د ط، 1402هـ، ج 2/1 -5.

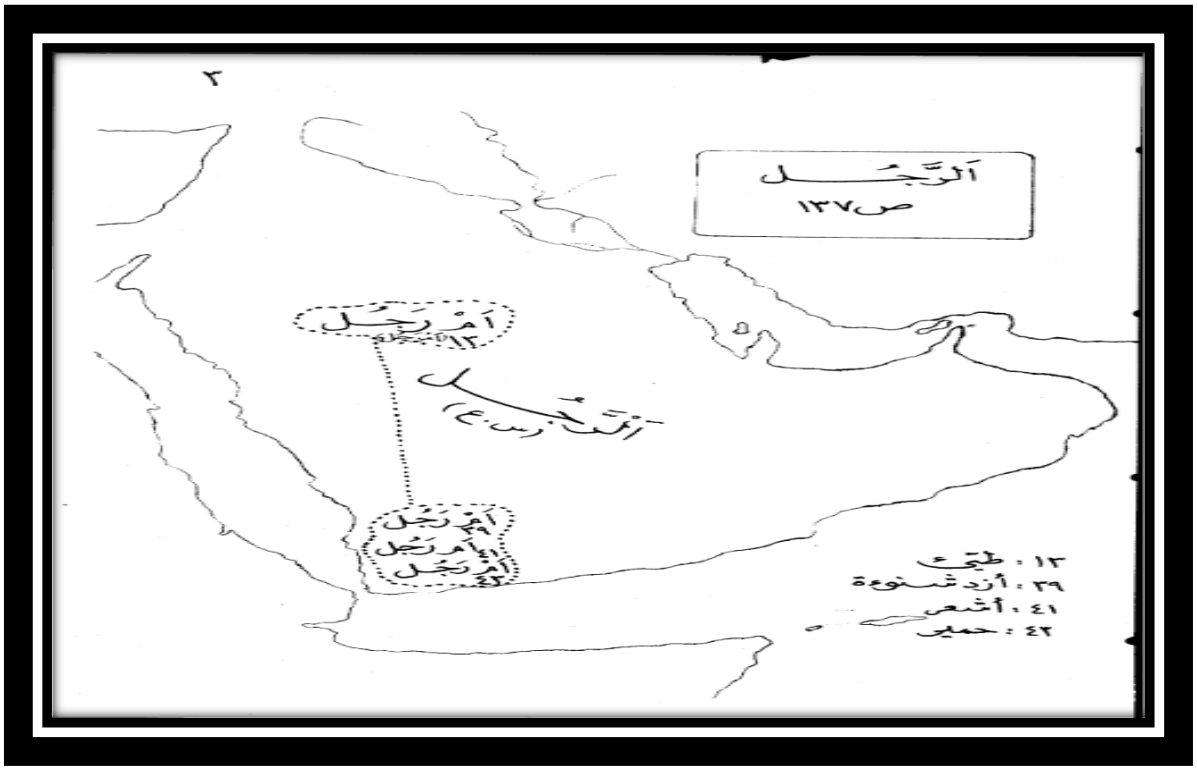

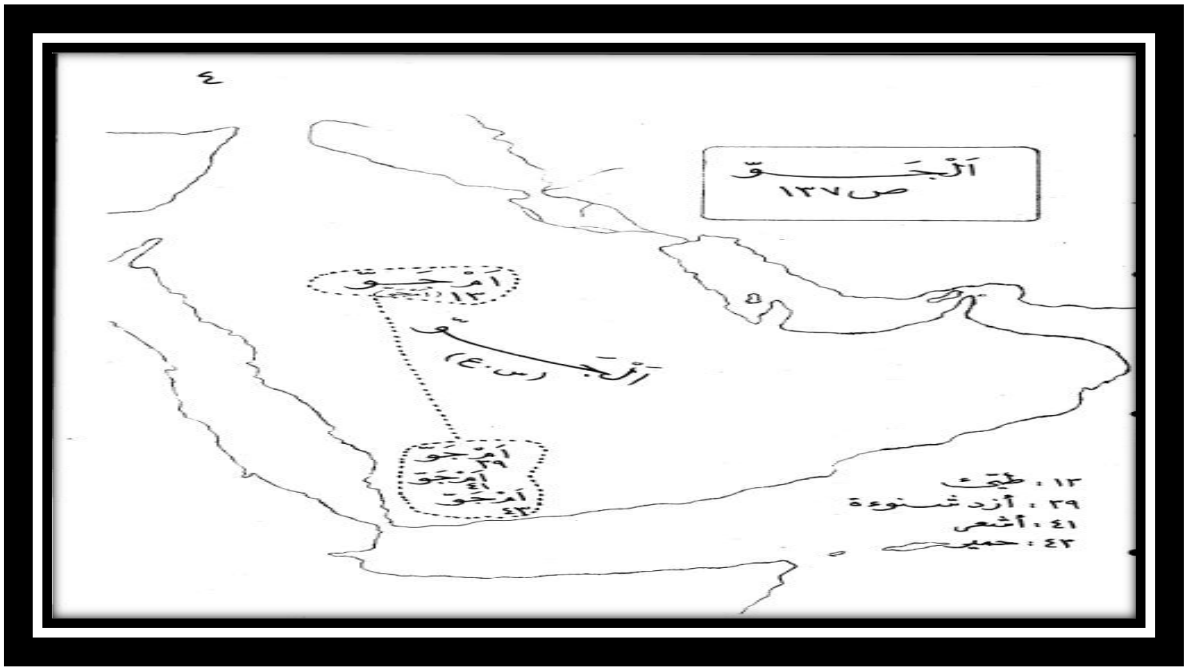

وبالموازنة بين هذه الخرائط يتبين أن قبايل طيئ، وأزد شنوءة، وأشعر وحمير تشترك في أداة التعريف أم، بخلاف سائر العرب التي تستعمل أل أداة للتعريف. وتجدر الإشارة إلى أن الرمز (س.ع) في هذه الخرائط يعني سائر العرب.

3-3-محمد أحمد سعيد العمري:

قام بإعداد أطلس لغات قيس وما ينظرها من لغات العرب، بإشراف خليل محمود عساكر، وسننقل منه بعض الخرائط في باب موازنة الأصوات بين قبيلة قيس وغيرها من القبائل العربية[1].

1-محمد أحمد سعيد العمري، أطلس لغات قيس وما يناظرها لغات العرب، جامعة أم القرى، د ط، د ت، ج2/2-4.

قِنو و قِنوان: أي عِذق النخلة
ص ٥٢ سد البحث
قِنيان
قِنيان
قِنيان
قِنوان
قِنوان
قِنوان
قِنوان

رِضْوَان
ص ٥٣ سد البحث
رِضْوَان
رِضْوَان
رِضْوَان
رِضْوَان

وتجدر الإشارة إلى الأرقام والحروف الواردة في هذه الخرائط ترمز إلى:[1]

1	ربيعة.
5	كلب.
18	ضبّة.
19	تميم.
23	قيس. عيلان.
ح	الحجاز.

4)-المنهج التاريخي:

لا شك أن الباحث وفق آليات المنهج التاريخي يجد صعوبات كبيرة، فليس من السهل أن تتبع ظاهرة معيّنة على مر عصور عديدة، ولعلّ هذا ما يحول حول كثرة البحوث في هذا المجال ولكن سنعرض بعض ما قام به بعض الباحثين، وهم كالآتي:

1-4) -محمد محمد داود:

كتب مقالا في مجلة علوم اللغة؛ وعنونه بـ (المغفرة دراسة دلالية)، وقد قام برصد دلالة كلمة المغفرة في العصر الجاهلي، ثم انتقل إلى العصر الإسلامي؛ مبينا دلالتها في القرآن والحديث النبوي، وأهم شيء أسفر عنه البحث هو أن معنى المغفرة في العصر الجاهلي هو الستر والتغطية قد تحوّل في العصر الإسلامي إلى معنى العفو والصفح. ثم عرّج على معنى هذه الكلمة في العربية المعاصرة، وسنذكر ضمن هذا الإطار بعض التفاصيل التي أشار إليها بشي من الإيجاز.

أ)-معنى المغفرة في العصر الجاهلي: ذكر أن من دلالات كلمة المغفرة ثلاثة معان: الستر والتغطية، والعفو والصفح، والانتكاس والانتقاص، ثم خلص إلى نتيجة مفادها:[2] "أن معنى الصفح والعفو جاء تاليا لمعنى الستر والتغطية، وفسر الغفران والصفح على سبيل المجاز، من

1-محمد أحمد سعيد العمري، أطلس لغات قيس وما يناظرها لغات العرب، ج 2/ د، هـ.

2-محمد محمد داود، المغفرة دراسة دلالية تأصيلية، مجلة علوم اللغة، المجلد الثالث، العدد الأول، 2000م، دار غريب للطباعة، مصر، ص 164– 165.

حيث إن المستور والزائل يشتركان في عدم الظهور، والمشاركة في الوصف أحد أسباب حسن التجاوز، وشاع استعمال المغفرة بمعنى العفو والصفح حتى أصبح ملازما للكلمة فخرج عن المجاز إلى الحقيقة.

والمسافة بين المعنى الحقيقي للكلمة والمعنى المجازي لها تمثل رحلة الكلمة في تطورها الدلالي من الحقيقة إلى المجاز، وكذلك الحال في تطور الدلالة المجازية للكلمة، لتصبح حقيقة بعد ذلك"[1]. وقد وصل إلى هذه النتيجة بعد أن ذكر شواهد عديدة عن دلالات. المغفرة التي تعود في حقيقتها إلى معنى الستر والتغطية فالعفو والصفح ما هو إلا ستر على أثر الذنب.

ب) -معنى المغفرة في القرآن الكريم: حصرها في ثلاثة معان:

- دلالة الستر: قال محمد داود "وشواهد هذا المعنى في القرآن قليلة جدا، فهي لا تتجاوز خمس آيات... الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [سورة البقرة، الآية 286].

يقول الطبري في تفسيره "واغفر لنا": يعني: واستر علينا زلة إن أتيناها فيما بيننا وبينك فلا تكتشفها ولا تفضحها بإظهارها"[2]. ثم ذكر قول أبي حيان والألوسي في تفسير هذه الآية ثم ذكر بعدها الآية الرابعة التي فيها دلالة المغفرة على الستر.

- دلالة التجاوز في الظاهر دون الباطن: قال في بيانها: "ولهذه الدلالة شاهد واحد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ١٤﴾ [سورة الجاثية، الآية 14][3]. ثم ذكر قول الألوسي في تفسير هذه الآية.

- دلالة العفو والصفح: قال ضمن هذا المعنى: " آيات القرآن الكريم التي وردت بها

1-محمد محمد داود، المغفرة دراسة دلالية تأصيلة، ص 164-165.

2-المرجع نفسه، ص 168.

3-المرجع السابق نفسه، ص 173.

كلمات المغفرة بمعنى العفو والصفح، عددها مائتان وتسع وعشرون آية.[1] وعلى هذا الأساس يتبين أن المعنى الطاغي للمغفرة في القرآن الكريم هو العفو والصفح.

ج)-دلالة المغفرة في الحديث الشريف: قال محمد داود: "ومن هنا كان ورود المغفرة في الحديث النبوي الشريف بمعنى العفو والصفح"[2]. ثم ذكر بعض الأحاديث النبوية.

د)-دلالة المغفرة في الشعر في العصر الإسلامي: بيّنها بقوله : " بتتبع دلالات المغفرة في الشعر في العصر الإسلامي... ظهر ورود معنى العفو والصفح في كلّ ما ورد من نصوص فيما بين أيدينا من مصادر وإن تعددت أوجه هذا المعنى، فتارة يكون بين الإنسان والله عز وجل، وتارة يكون بين إنسان وإنسان"[3]. ثم ذكر شواهد شعرية على ما قرره.

و)-دلالة المغفرة في العربية المعاصرة: ذكر لها معنيين وهما: دلالة العفو والصفح الحقيقية ودلالة العفو والصفح المجازية، مستدلا عليهما ببعض الأمثلة.[4]

2-4) -حسن عون:

تحدّث عن تاريخ قضية مهمة وهي قضية اللحن في العربية فقال: "ليس من السهل أن نؤرخ الظاهرة اللحن متى وجدت، كما أنه ليس من السهل أن نؤرخ لأفراده، أي، أية لحنة وجدت أولا، ولكن من اليسير أن نؤرخ لأنواعه"[5]. ثم حصر أنواعه في أربع طوائف:

الطائفة الأولى: لحن يخص علامات الإعراب ...

الطائفة الثانية: لحن يخص طريقة النطق كأن ينطق بالحاء هاء، أو بالقاف كافا؛ كنطق صهيب وبلال.

الطائفة الثالثة: لحن يخص بنية الكلمة؛ مثل توضيت بدل توضأت، ومعايش بدل معائش.

الطائفة الرابعة: لحن يخص وزن الكلمة مثل: رعد وبرق بدل أرعد وأبرق ... وما شاكل

1-محمد محمد داود، المغفرة دراسة دلالية تأصيلة، ص 174.

2-المرجع نفسه، ص183.

3-المرجع السابق نفسه، ص 183.

4 -المرجع السابق نفسه، ص 189، 190.

5-حسن عون، اللغة والنحو، مطبعة رويال، مصر، ط 2/ 1952 م، ص 163-164.

ذلك".[1] ولا ريب أن النوع الأول هو أخطرها: لأن الخطأ في الإعراب يؤدي إلى تغير المعنى. وقد كانت للعلماء القدامى جهود جبارة في مواجهة هذا الخطر العظيم الذي يشوّه جمال العربية البهية، وذلك بوضع قواعد النحو العربي.

ثم تناول قضية اللحن في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، وبعد الفتوح الإسلامية وكذلك اللّحن في الطبقات المثقفة؛ لحن الفقهاء، ولحن القراء، ولحن الشعراء ورجال الأدب ثم ختم بظاهرة تنقية اللغة.[2]

3-4) - محمود فهمي حجازي:

طبق المنهج التاريخي في كتابه اللغة العربية عبر القرون: إذ تحدث في الفصل الثالث عن الحياة اللّغوية في جزيرة العرب قبل الإسلام، ثم تناول في الفصل الرابع العربية في عصر الحضارة الإسلامية، ثمّ تطرق في الفصل الخامس إلى القضية اللّغوية والحضارة الحديثة، ثم عرج في الفصل السادس على المصطلحات وألفاظ الحضارة الحديثة، ثم ختمها بالفصل السابع متحدثا عن اتجاهات التغير في البنية والمعجم.

وهناك مناهج أخرى لم نتطرق إليها، كالمنهج الوصفي، والمنهج الإحصائي، والمنهج التأثيلي؛ لأنّ المقام لا يتسع لذكرها، واكتفينا ببعضها.

1-حسن عون، اللغة والنحو، ص 164- 165.

2 -المرجع نفسه، ص 185 – 196.

خاتمة

خاتمة:

ويمكننا في خاتمة البحث أن نجمل أهم ما توصّلنا إليه في النقاط الآتية:

- أن الفيلولوجيا بمفهومها العام هي كل دراسة اهتمت بنقد وتحقيق النصوص القديمة المتعلقة بالتاريخ، واللّغة، والفلك، والعلوم الطبيعية وغيرها. وبمفهومها الخاص ما يتعلق باللّغة الحيّة والميتة.

- أن ترجمة الفيلولوجيا إلى فقه اللّغة ترجمة غير دقيقة مما جعل إشكالية المصطلح.

- أول ظهور لمصطلح فقه اللّغة عند العلماء العرب القدامى كان في القرن الرابع الهجري على يد ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها، ثم تلاه الثعالبي في القرن الموالي، إذ أطلق على كتابه فقه اللّغة وسر العربية.

- عدم ضبط موضوعات فقه اللّغة ومباحثه بشكل دقيق ومحكم عند القدامى والمحدثين.

- اختلاف الرؤى عند المحدثين العرب حول فقه اللّغة وعلم اللّغة: فمنهم جعلهما شيئا واحدا، ومنهم من جعلهما مختلفين.

- عمل الفيلولوجي يتمثل في تحقيق المخطوط، وإخراجه للدارسين، وعمل عالم اللّغة يتمثل في دراسة النص المحقق من الجوانب الصوتية، والنحوية، والصرفية، والمعجمية.

-تفطن العرب القدامى إلى القرابة الموجودة بين اللّغات السّامية.

- من العلماء العرب القدامى من عرفً بعض اللّغات الأجنبية؛ كأبي حيان الأندلسي الذي ألّف في نحو الحبشية والتركية.

- أن المنهج الذي طغى على الدراسات العربية القديمة هو المنهج الوصفي.

- قضية المجاز من القضايا الخطيرة التي ينبغي دراستها بحذر؛ نظرا للآثار المترتبة عليها، خاصة فيما يتعدّ بالجانب العقائدي.

- ضرورة التركيز على المنهج في البحوث اللّغوية؛ حتى تكون النتائج سليمة وأكثر دقة.

خاتمة:

- ظاهرة الاستشراق مبنية على أمرين: الأول يمثله الجانب الإيديولوجي، وذلك بتشكيك المسلمين دينهم، وهذا عليه غالبية المستشرقين، والثاني بمثله الجانب العلمي، بهدف التطلع على الحضارة الإسلامية.

- تشكيك المستشرقين في بعض القضايا اللّغوية؛ كالإعراب مثلا لا يستند إلى دليل علمي.

- للمستشرقين الفضل في تنبيه العرب إلى تحقيق كتب التراث، إلَّا أنّه كانت تنقصهم الدقة في هذا المجال؛ لعدم إتقانهم للعربية إلا نزر يسير منهم.

- تحقيق النصوص له جذور ضاربة في القدم على أيدي المحدّثين.

- تحقيقات العلماء العرب أحسن وأتقن من تحقيقات المستشرقين للتراث العربي.

- طلائع البحث الفيلولوجي في عالمنا العربي كانت على أيدي ثلة من الباحثين؛ كعبد الواحد وافي، ومحمد المبارك، وابن أبي شنب الجزائري، ومصطفى الشهابي وغيرهم.

-الدعوة إلى العامية دعوة خطيرة: لآثارها السلبية على العربية.

-التشكيك في الشعر الجاهلي مطية للطعن في إعجاز القرآن الكريم، ومن ثم لا يعدّ منهجا علميا دقيقا.

- أصالة علم النحو العربي في بواكير النشأة، وبعده عن النّحو الأرسطي.

- المناهج التي درس بها المستشرقون اللّغة العربية هي المناهج التي طبقوها على لغاتهم.

- تجلى عمل المحدثين العرب في استقاء المناهج الغربية الحديثة، وإعادة بلورتها وتطبيقها على اللّغة العربية.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة:

السورة	الآية	الصفحة
سورة الأنعام	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾ الآيتان 97-98.	10
سورة الكهف	﴿جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ ٥٧﴾ الآية 57.	11
سورة الأنعام	﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾ الآية 98.	11
سورة البقرة	﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ٢٢٥﴾الآية 225.	13
سورة الفرقان	﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ الآية 72.	13
سورة فصلت	﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ٢٦﴾ الآية 26.	13
سورة الممتحنة	﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ ١٠﴾ الآية 10.	21
سورة الأنعام	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأَيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأَيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾الآيتان 97-98.	27
سورة النحل	﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾الآية 103.	29

سورة الشعراء	﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾الآية 84.	30
سورة إبراهيم	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ الآية 04.	30
سورة الواقعة	﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾﴾الآيتان 17-18.	38
سورة الكهف	﴿ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ ﴿٣١﴾﴾.الآية 31	40
سورة الدّخان	﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾.الآية 53.	40
سورة الرحمن	﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾﴾. الآية 54.	40
سورة الإنسان	﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن ﴿فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾. الآية 21.	40
سورة الزّمر	﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴿٦٣﴾﴾ الآية63.	41
سورة الشّورى	﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴿١٢﴾﴾ الآية 12.	41
سورة يوسف	﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾الآية 20.	43
سورة هود	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴿٤٠﴾﴾الآية40.	44
سورة المؤمنون	﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴿٢٧﴾﴾ الآية 27.	44
سورة يوسف	﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾الآية20.	49

سورة آل عمران	﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ٧٥﴾ الآية 75.	50
سورة الإنسان	﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧﴾الآية17.	52
سورة هود	﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٤٤﴾الآية 44.	53
سورة يس	﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦﴾ الآية 56.	54
سورة المطففين	﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾الآية 23.	54
سورة ص	﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾الآية 17.	55
سورة هود	﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ الآية 75.	55
سورة النساء	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ٥١﴾الآية 51.	56
سورة الأنبياء	﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾الآية 95.	57
سورة النساء	﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢﴾الآية 02.	57
سورة الأنبياء	﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ ١٠٤﴾ الآية 104.	58
سورة النجم	﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ ٢٣﴾الآية 23.	61

سورة الروم	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ ﴿٢٢﴾﴾الآية 22.	61
سورة الرحمن	﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ الآيات 1-4.	62
سورة الأنعام	﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴿٣٨﴾﴾ الآية 38.	62
سورة النحل	﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴿٨٩﴾﴾الآية 89.	62
سورة العلق	﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾الآيات 1-5.	62
سورة إبراهيم	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ الآية 04.	63
سورة الرحمن	﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾الآية 66.	66
سورة البقرة	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾﴾ الآية 31.	67
سورة القصص	﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴿٦٣﴾﴾الآية 63.	69
سورة الزمر	﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ الآية 71.	70
سورة النساء	﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾الآية 164.	70
سورة النحل	﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	71

	﴿٤٠﴾ الآية 40.	
سورة البقرة	﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٢١٠﴾﴾الآية 210.	71
سورة الأنعام	﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴿١٥٨﴾﴾الآية 158.	71
سورة الفجر	﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾﴾ الآية 22.	71
سورة النساء	﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾ الآية 58.	72
سورة الأنعام	﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴿١٥٨﴾﴾الآية 158.	72
سورة البقرة	﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴿١٩﴾﴾الآية 19.	73
سورة يوسف	﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴿٨٢﴾﴾الآية 82.	74
سورة يوسف	﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ ﴿٨٢﴾﴾الآية 82.	75
سورة البقرة	﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾﴾الآية 29.	75
سورة الحج	﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ﴿٤٥﴾﴾ الآية 45.	78
سورة المائدة	﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴿٤٨﴾﴾الآية 48.	81
سورة الفرقان	﴿منثورا﴾ الآية 23.	85
سورة النجم	﴿ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ الآية 19.	93
سورة الفاتحة	﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ الآية 05.	94

سورة ص	﴿هَٰذَا فَوۡجٞ ﴿٥٩﴾﴾ الآية59.	94
سورة البقرة	﴿ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٧٣﴾﴾ الآية173.	94
سورة الفرقان	﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ ﴿١٠﴾﴾ الآية 10.	94
سورة النجم	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ الآية03.	95
سورة الفرقان	﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ ﴿١٠﴾﴾ الآية 10.	95
سورة فاطر	﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾ الآية 28.	109
سورة القصص	﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ الآية 07.	117
سورة آل عمران	﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴿١٥٩﴾﴾ الآية 159.	117
سورة المؤمنون	﴿عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الآية 40.	117
سورة النمل	﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ الآية 62.	117
سورة الأنعام	﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ الآية 115.	118
سورة النّساء	﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا ﴿٥٧﴾﴾ الآية57.	146
سورة المائدة	﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ ﴿٤﴾﴾. الآية 4.	146

سورة إبراهيم	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴿٢٦﴾﴾. الآية 26.	146
سورة المائدة	﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴿٥٠﴾﴾ الآية 50.	147
سورة الحديد	:﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴿٢٧﴾﴾ الآية 27.	147
سورة الكهف	﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ ﴿١٣﴾﴾ الآية 13.	160
سورة ص	﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ الآية05.	160
سورة المؤمنون	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ الآية 12.	160
سورة الشعراء	﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢٧﴾﴾ الآيات 224-227.	181
سورة النازعات	﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ الآيه 24.	182
سورة القلم	﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الآية 37.	182
سورة الشعراء	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ الآية 225.	184
سورة الأعراف	﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ الآية 54.	203
سورة فاطر	﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ ﴿٣٤﴾﴾ الآية 34.	206
سورة المائدة	﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴿١٧﴾﴾ الآية 17.	214
سورة البقرة	﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴿١٢٠﴾﴾ الآية 120.	214

سورة فاطر	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ الآية 15.	214
سورة البقرة	﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ الآية 286.	222
سورة الجاثية	﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴿١٤﴾﴾ الآية 14.	222

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:

الحديث	الصفحة
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.	11
عن عبد الله بن فضالة، عن أبيه قال علّمني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكان فيما علّمني:" وحافظ على الصلوات الخمس، قال: قلت: إن هذه ساعات لي فيها أشغال فمرني بأمر جامع إذا فعلته أجزأ عنّي، فقال: حافظ على العَصْرين وما كانت من لغتنا، فقلت: وما العصران؟ فقال صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها.	14
ثكلتك أمك! وهل يَكُبُّ الناس في النّار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم.	30
توضأ النّبي صلى الله عليه وسلّم ومسح على الجوربين و النعلين.	46
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا. ثم قال: اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيوك، تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن.	67
كان بالمدينة فزع، فركب رسول الله صلّى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة فقال:" ما رَأَيْنَا مِن شيءٍ، وإنْ وجَدْنَاهُ لَبَحْرًا.	75
عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة قال: قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر، قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحه، ويتمثل ويقول ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد...	177
عن أبي هريرة عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: أشعر تكلمت بها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل...	177
عن جابر بن سمرة قال: جالست النّبي صلّى الله عليه وسلّم أكثر من مائة مرّة فكان يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربّما تبّسم معهم.	178

فهرس الأشعار:

البيت		الصفحة
إنَّ الَّذِي مَلَأَ اللغَاتِ مَحاسِنَا	جَعَلَ الْجَمَالَ وَسِرَّهُ فِي الضّادِ	أ
وإن تجدْ عيبًا فسُدّ الخلَلا	قد جلَّ من لا عيبَ فيه وعَلا	د
ورَبَّ أسرابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ	عن اللَغا ورَفَثِ التَّكلُّمِ	13
وَدَسَوْتُ نَفْسَكَ لَمْ تُزَكّ دَسَيْتَها	وَلَغَوْتُ، أَيْ أَخْطَأْتُ مِثْلَ لَغَيْتُهْ	13
نَشَرْنَ حَدِيثا آنِسًا فَوَضَعْنَهُ	خَفِيضًا فَلاَ يَلْغَى بِهِ كُلُّ طَائِف	14
وَلَسْتُ بِمَأْخُوذ بِلَغْوٍ تَقُولُه	إِذَا لَمْ تَعْمَدُ عَاقِدَاتُ العَزَائِمِ.	14
إنّي أَتَتني لِسانٌ مَا أُسَرُّ بها	من عُلو لا عَجَبق فِيهَا ولا سَخَرُ	29
لِسَانُ اَلشَّرِّ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا	وَخُنْتُ وَمَا حَسِبَتْكَ أَن تَخُونَا	29
أَتَتْنِي لِسَان بني عَامِر	أَحَادِيثَهَا بَعْدَ قَوْلٍ نَكِرَ	30
نَدِمَتْ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنّي	فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جوفٍ عَكَمْ	30
ودَعَا بالصُّبُوح يَوْماً فجاءت	قَيْنَةً فِي يَمِينِهَا إِبْرِيقُ	39
يَهَبُ اَلْجِلَّةَ اَلْجَرَاجِرَ كَالْبُسْتَانِ	تَحْنُو لِدَرْدَقِ أَطْفَالِ	42
وبَيْضَةِ خِدْرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا	تَمَتَعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ	47
فَلْيَأْتِ مَأْسَدةً تُسَنُّ سُيُوفُهَا	بَيْنِ المَذاذِ وَبَيْنِ جِزْعِ الْخَنْدَقِ	48
جَادتْ عَلَيْهِ كُلّ بِكْرٍ حُرَّةٍ	فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدِّرْهَمِ	49
فَأَبَدَهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ	بِذِمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَعْجِعٌ	51
.....	ضَوابِعاً نَرْمِي بِهُنَّ الرَّزْدَقا	51
.....	كَأَنَّ فِي دَاخِلِهِ زَلَابِيَّةٌ	52
كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ	كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ	91
عَن المَرْء لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرينه	فَكُلُّ قَرين بالمُقَارَن يَقْتَدي.	95
إِنَّ أَبَاهَا وأَبَا أَبَاهَا	قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا	122
وَمَهْمَا تَكُنْ عند امْرِئ مِنْ خَلِيقةٍ	وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ	126
وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ وَالْقَوْلُ عَمّ	وَكِلْمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يُؤَمّ	142
وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ وَقَدْ يُؤَمّ	بِهَا كَلَامٌ لُغَةً، وَالقَوْلُ عَمّ	142

وبَيْنَ رِخْوٍ وَالشَدِيدِ لِنْ عُمَرْ	وَسَبْعُ عُلْوٍ خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ	160
لِلشَّفَتَيْنِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيمُ	وَغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْخَيْشُومُ	161
نَدِمْتُ على شَتْمِ العشيرةِ بعدَما	مضَى واسْتَتَبّتْ للُرواةِ مَذاهبُهْ	177
ذَهَبَ الَّذينَ يُعاشُ في أَكْنافِهِم	وَبَقيتُ في خَلفٍ كَجِلدِ الأَجرَبِ	178
وَهَبَ اَلْقَصَائِدَ لِي اَلنَّوَابِغُ إِذَ مَضَوْا	وَأَبُو يَزِيد وَذُو الْقُرُوحِ وَجَروَل	179
وَالْفَحْلُ عَلْقَمَةَ الَّذِي كَانَتْ لَهُ	حُلَلُ الْمُلُوكِ كَلَامُه لَا يُنْحَلُ	
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهُنَّ قَتَلْنَهُ	وَمُهَلْهِلُ اَلشُّعَرَاءِ ذَاكَ اَلْأَوَّل	
وَالْأَعْشِيَانِ كِلَاهُمَا وَمُرَقّشٌ	وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلَه يُتَمَثَّلُ	
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَهُ	رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ	183

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

1. العربية:

1. إبراهيم أنيس، اللّغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، د ط، د ت.
2. ابن الأعرابي، البئر، تح: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية للنّشر والتأليف، مصر، دط، دت.
3. ابن الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، مصر، دط، د ت.
4. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مكتبة المثنى، بغداد، د ت.
5. ابن الجزري، المقدمة في التجويد، تح: سمير زبوجي، كمتبة علوم القرآن، الجزائر، ط1428/1هـ.
6. ابن الجوزي، فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، تح: صلاح بن فتحي هلل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط2001/1.
7. ابن الحاجب، مختصر منتهى السّؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تح: نذير حمادو، دار ابن حزم، بيروت، ط1/ 2006م.
8. ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4/ 2015م.
9. ابن القيم، بدائع الفوائد، تح: معروف مصطفى وزمليه، دار النفائس، لبنان، ط2001/1م.
10. ابن تيمية، الرسالة المدنية، تح: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، د ط، ط1408/1.
11. ابن تيمية، كتاب الإيمان، تح: جماعة من العلماء، دار الإسكندرية، مصر، د ت.
12. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الوفاء، الرياض، ط1997/1م.

13.ابن تيمية، نقض المنطق، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط1/1951م.

14.ابن جزيّ، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1995.

15.ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2، دت.

16.ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد شاكر، منشورات دار الآفاق، بيروت، د ط، د ت.

17.ابن دريد، الاشتقاق، تح: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1/1991م.

18.ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تح: ماهر ياسمين الفحل، دار ابن كثير، دمشق، ط1/ 2008م.

19.ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: عادل مرشد، دار الأعلام، الأردن، ط1/2002م.

20.ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار البشير، دمشق، دط، دت.

21.ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، طبعة 1420هـ.

22.ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، د ط، د ت.

23.ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، طبعة 1969م.

24.ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، دط، دت.

25.ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2/1973م.

26.ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 1978م.

27.ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، ط2000/1م.

28.ابن مالك، الأفعال الواردة بالواو والياء، تح: مختار بوعناني، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، ط2/ 2001.

29.ابن مالك، ألفية ابن مالك في النّحو والتّصريف، تح: سليمان العيوني، مكتبة دار المنهاج، الّرياض، دط، دت.

30.ابن منظور، لسان العرب، تح: نخبة من الأساتذة، دار المعارف القاهرة، دط، دت.

31.ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.

32.ابن هشام، شرح قطر النّدى وبل الصّدى، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الخير، دمشق، ط1990/1م.

33.أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، تح: محمّد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، دط، دت.

34.أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة 1998م.

35.أبو الحسن بن البنا، كتاب المقنع في شرح مختصر الخرقي، تح: عبد العزيز اليعيمي، مكتبة الرّشد، الرّياض، ط1993/1م.

36.أبو الطّيب الوشاء، الممدود والمقصور، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، دط، دت.

37.أبو حامد الغزالي، المنخول من تعليقات الأصول، تح: محمد حسن هنيتو، دار الفكر، بيروت، دت.

38.أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضّرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمّد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/1998م.

39.أبو داود، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1/2009م.

40.أبو داود، سنن أبي داود، تح: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1/ 1996.

41.أبو علي الفارسي والزّمخشري والعيوني، حواشي سيبويه، تح: سليمان العيوني، دار طيبة الخضراء، الرياض، ط1/2021م.

42.أبو علي الفارسي، التكملة، جامعة الرياض، الرياض، طبعة 2009م.

43.أبو عمرو الدّاني، التّحديد في الإتقان والتّجويد، تح: غانم قدوري، دار عمّار، عمان، طبعة 1999م.

44.أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1998.

45.أبو هلال العسكري، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تح: محمود الحداد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 1، 1412هـ.

46.أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.

47.أثير الدين أبو حيّان، البحر المحيط، تح: فادي المغربي، الرسالة العالمية، سورية، ط2/ 2020م.

48.أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، بيت الحكمة، الجزائر، طبعة 2017م.

49.أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، تح: خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، ط2/ 2008م.

50.أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ط/ 2007م.

51.أحمد حسن الزّيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت.

52.أحمد سليمان ياقوت، في علم اللّغة التقابلي، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، دت.

53.أحمد شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة لأحمد شوقي، دار العودة، بيروت، ط/ 1988م.

54.أحمد قدور، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3/ 2008م.

55.الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/1990م.

56.أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، دار العرب، القاهرة، ط2/1988م.

57.الأزهري، تهذيب اللّغة، دار الكتاب العربي، مصر، طبعة 1967م.

58.أسامة بن منقذ، لباب الآداب، تح: أحمد شاكر، المطبعة الرّحمانية، دب، دط، دت.

59.إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللّغات السّامية، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، د ت.

60.إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، الأردن، ط2/ 1992.

61.إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللّغوية، دار حنين، الأردن، ط2/ 1992م.

62.إسماعيل بن عمرو المقرئ، اللغات في القرآن، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، د ت، د ت.

63.إسماعيل علي محمّد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الحكمة، دب، دط، ط3/ 2000.

64.الأعلم الشنتمري، شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي، تح: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، دط، دت.

65.الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، السعودية، ط2003/1م.

66.الآمدي، الموازنة، تح محمّد محي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، مصر، ط1954/2م.

67.إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1/ 1982م.

68.بحرق الحضرمي، تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في شرح ملحة الإعراب، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1/ 2012م.

69.براجشتراسر، أصول نقد النّصوص ونشر الكتب، إعداد محمّد البكري، دار المرّيخ، الرّياض، طبعة 1402هـ.

70.البغوي، معالم التّنزيل، تح: محمّد عبد الله النّمر، دار طيبة، الرياض، طبعة 1411هـ.

71.بكر أبو زيد، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة، الرياض، د ط، د ت.

72.التّرمذي، جامع الترمذي، بيت الأفكار الدّولية للنشر والتوزيع، الرياض، د ط، د ت.

73.الترمذي، جامع الترمذي، تح: فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دط، دت.

74.تمام حسان الأصول، عالم الكتب، القاهرة، ط1/ 2000م.

75.تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة 1973م.

76.التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللّسان، دار الوعي، الجزائر، ط2/ د ت.

77.الثعالبي، فقه اللّغة وسر العربية، تح: محمد صالح موسى حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1/ 2017م.

78.الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، شركة القدس، القاهرة، ط1/1991م.

79.الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، تح: عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط1/1990م.

80.الجوهري، الصحاح، تح: محمّد محمّد تامر، دار الحديث، القاهرة، طبعة 2009م.

81.حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار القلم، بيروت، ط2 /1990م.

82.حسن عون، اللغة والنحو، مطبعة رويال، مصر، ط 2/ 1952م.

83.الحطاب، متممة الآجرومية في علم العربية، تح: المهذري، الناشر المتميز، الرياض، ط/ 2018م.

84.حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، د ت.

85.حمزة فتح الله، الأصل والبيان لمعرّب القرآن، دار العلوم العليا، مصر، د ط، د ت.

86.خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ط1/1974م.

87.خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، ط3/ 2001م.

88.الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: صبري عبد العظيم، دار الكاتب، القاهرة، ط1/2022.

89.الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تح، إسماعيل الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 1400هـ.

90.الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

91.الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، مكتبة محمّد علي صبح وأولاده، مصر، دط، دت.

92.الخفاجي، شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تح: عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الحرم الحسيني، مصر، ط1/1952م.

93.الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/2003م.

94.الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط 11/ 1996م.

95.الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دط، دت.

96.رمزي بعلبكي، فقه العربية المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، د ط، د ت.

97.رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3/1977م.

98.رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللّغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/1982.

99.رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6/ 1999م.

100. الزبيدي، طبقات النحويين واللّغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2/ 1973.

101. الزّبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط2/2000.

102. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، طبعة2006م.

103. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1/ 1934م.

104. الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل، تح: خليل مأمون سيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3/ 2009م.

105. الزوزني، شرح المعلقات السّبع، تح: عبد الحميد الأميري، بيت الحكمة، الجزائر، ط2016/3م.

106. السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني ومحمد الخفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1955/1م.

107. سعد الدين التفتازاني، المطوّل، تح: أحمد بن صالح السديس، مكتبة الرشد، الرياض، ط2019/1 م.

108. سعدي صناوي، المعجم المفصّل في المعرب والدّخيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2004/1 م.

109. سعيد بن محمد السّرقسطي، الأفعال، تح: محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، طبعة 1974م.

110. سعيد حسن بحيري، المدخل إلى مصادر اللغة العربية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2/ 2010م.

111. سليمان الرّحيلي، المقدمات للبيت الفقهي، دار الميراث النبوي، الجزائر، طبعة 2016م.

112. سهل السجستاني، المذكّر والمؤنث، تح: حاتم الضّامن، دار الفكر، دمشق، ط1997/1م.

113. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1988/3م.

114. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / 2008م.

115. السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، دب، ط2/2006.

116. السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وصاحبيه، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة 1989م.

117. السيوطي، المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرب، تح: التهامي الرّاجحي الهاشمي، اللجنة المشتركة لتحقيق التراث، المغرب، الإمارات، د ط، د ت.

118. السيوطي، صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام، تح: على سامي النشار، مكتبة الخانجي، مصر، ط1/ دت.

119. شرف الحق العظيم آبادي، عون المعبود على شرح سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت، ط1/2005م.

120. الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الفكر، بيروت، ط1/2005م.

121. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط2، دت.

122. الشوكاني، إرشاد الفحول، تح: سامي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط1/2000م.

123. الصّادق الغرياني، تحقيق النّصوص في القديم والحديث، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، دب، طبعة 1989م.

124. صالح خرفي وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، تونس، د ط، د ت.

125. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 2014م.

126. طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 2002م.

127. طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللّغة العربية، مكتبة العرب، مصر، د ط، د ت.

128. عبّاس صالح طاشكندي، الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التّراث المخطوط، دب، دط، دت.

129. عبده الرّاجحي، فقه اللّغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د ط. د.ت.

130. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية. دار المعرفية الجامعية، مصر، طبعة 1996م.

131. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، طبعة 2012م.

132. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، موفم للنشر، الجزائر، طبعة 2012م.

133. عبد الرحمن أيّوب، محاضرات في اللّغة، مطبعة المعارف، بغداد، طبعة 1966م.

134. عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1/ 1979م.

135. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3/1977م.

136. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1/ 2007م.

137. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1/ 2000م.

138. عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7/ 1998م.

139. عبد السّلام هارون، قطوف أدبية حول التّراث، مكتبة السّنة، القاهرة، ط1/1988.

140. عبد العزيز الميمني، بحوث وتحقيقات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/1995م.

141. عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1/ 1991م.

142. عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط4/1997م.

143. عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في العربية: دراسة النسق الزمني للأفعال، دار تو توبقال للنشر، المغرب، ط1/ 2006م.

144. عبد المجيد دياب، تحقيق التّراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

145. عبد المحسن العسكر، البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد، دار المنهاج، الرياض، ط1/1435 هـ.

146. عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقيدة في الإسلام، دار العبيكان، الرّياض، ط1/ 2001م.

147. عثمان بن علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، مكتبة الرشد، الرياض، ط5/2006م.

148. علي النملة، كنه الاستشراق، بيسان للنّشر والتّوزيع، بيروت، ط3/ 2013.

149. علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، د. تح، دار ابن حزم، بيروت، ط1/ 2012م.

150. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، د ط، د ت.

151. علي مذكور وإيمان هريدي، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، دار الفكر العربي، مصر، ط1/ 2006م، ص 297.

152. الفارابي، إحصاء العلوم، تح: عثمان محمد أمين، مكتبة الخانجي، مصر، طبعة 1931م.

153. الفرّاء، المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، دت،

154. الفرزدق، ديوان الفرزدق، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1987م.

155. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2015/4م.

156. الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د تح، مكتبة لبنان، لبنان، دط، دت.

157. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة 2003.

158. الكسائي، ما تلحن فيه العامّة، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1982/1م.

159. الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1998/2م.

160. مازن المبارك، الزجاجي حياته وآثاره، دار الفكر، دمشق، ط1984/2.

161. المبرد، البلاغة، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط1985/2م.

162. المبرد، الفاضل، تح: عبد العزيز الميمني: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1956/1م.

163. المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، تح: أحمد محمد سليمان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1989/1م.

164. مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة 1994م.

165. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط2004/4م.

166. محمد أحمد سعيد العمري، أطلس لغات قيس وما يناظرها من لغات العرب، جامعة أم القرى، د ط، د ت.

167. محمد أسعد النّادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة 2009.

168. محمّد الأمين الحلبي، قصد السّبيل فيما في اللغة العربية من الدّخيل، تح: عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة، السعودية، ط1994/1م.

169. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، طبعة 1995م.

170. محمد الأمين الشنقيطي، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، دار عالم الفوائد، السعودية، دت.

171. محمّد التونجي، المعجم الذهبي، دار الملايين، بيروت، ط1969/1م.

172. محمد الحبّاس، محاضرات في فقه اللّغة، دار غبريني للطبّاعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1/ 2006م.

173. محمد الديبان، حنين بن إسحاق دراسة تاريخية ولغوية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، طبعة 1993.

174. محمّد السّيد علي بلاسي، المعرّب في القرآن الكريم، جمعية الدّعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط2001/1م.

175. محمّد الشيخ عليو محمّد، مناهج اللّغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرّابع الهجري، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط2/ 1434هـ.

176. محمد الصغير بن قائد بن أحمد العبدلي، الحلل الذهبية على التحفة السنية، مكتبة الإمام الألباني، صنعاء، ط3/ 2007م.

177. محمّد المبارك، فقه اللّغة دراسة تحليلية مقارنة للكملة العربية، مطبعة جامعة دمشق، دط، دت،

178. محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللّغة مفهومه موضوعاته قضاياه، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1/ 2005.

179. محمد بن المستنير قطرب، معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، تح: محمد لقرير، جامعة باتنة، 2015، 2016.

180. محمّد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 2001م.

181. محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض، طبعة 1406هـ.

182. محمد حسن حسن جبل، علم فقه اللّغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.

183. محمّد حسين علي الصّغير، المستشرقون والدّراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1/ 1999م.

184. محمد خليفة الأسود، التّمهيد في علم اللّغة، دار الكتب الوطنية، طرابلس، ط1/ 1991م.

185. محمّد عبد العظيم الزّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1/1995م.

186. محمد علي عبد الكريم الرّديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، الجزائر، طبعة 2009 .

187. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، طبعة 2001م.

188. محمد يعقوب أحمد تركستاني، أطلس لغات طيئ، جامعة أم القرى، الرياض، د.ط، د.ت.

189. محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، القاهرة، ط 2/ 1989م.

190. محمود شاكر، مداخل الإعجاز، شركة القدس، القاهرة، ط2014/2م.

191. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.

192. محمود محمّد الطّناجي، مدخل إلى تاريخ نشر التّراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1984/1م.

193. مساعد الطيار، التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، دط، دت.

194. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1991/1م.

195. مشتاق عباس معن، المعجم المفصّل في فقه اللّغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2001م.

196. مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، د ط، د ت.

197. مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1/ 2010م.

198. المفضل الضّبي، المفضليات، تح: أحمد شاكر وعبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط2019/12م.

199. موسى الأحمدي نويوات، معجم الأفعال المتعدية بحرف واحد، دار البصائر، الجزائر، طبعة 2009.

200. الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تح: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، دار أضواء السلف، الرياض، د ت.

201. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، مصر، د ط، د ت.

202. نور زاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط1/ 1996م.

203. هاشم الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، دط، دت.

204. يحي الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشّك والتوثيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1997م.

205. يحي بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار المقتطف، مصر، طبعة 1914م.

206. يعقوب بن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، تح: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، دط، 1926م .

207. اليغموري، نور القبس المختصر من المقتبس، تح: رودلف زلهايم، دار فرانش شتاينر، قيشبادن، طبعة 1964.

ب- المترجمة:

1. برجشتراسر، التّطور النّحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1994/2.

2. ديفيد جستس، محاسن العربية في المرآة الغربية، ترجمة: حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض د ط، دت.

3. كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرّياض، الرياض، دط، د ت.
4. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8/ 1998م.
5. ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللّساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، دب، ط/ 2000م.
6. هنري فليش، العربية الفصحى دراسة في البناء اللّغوي، ترجمة: عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، دت.
7. وينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، دت.
8. يوهان فك، العربية دراسات في اللّغة واللّهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، طبعة 1980.
9. يوهان فك، العربية، ترجمة: عبد العليم النّجار، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، د ط، دت.

ج-المجلات العلمية:

1. جونغ كيولي، جهود المستشرقين الألمان في المعجم العربي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، نوقشت في 1996/12/22م.
2. جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج1، ع1، 1398هـ.
3. خالد بن عبد الكريم بسندي، جهود عبد السلام هارون في تحقيق التراث، ضمن مؤتمر التراث العربي، جامعة آل البيت، الأردن، كانون الأول، 2016م.

4. عادل الشيخ عبد الله أحمد وعبد البصير بن محمد الرابع المكرطي، الضمائر البارزة في اللغة العربية ولغة الهوسا دراسة تقابلية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، السعودية، العدد الثاني والعشرون، محرم 1440هـ.
5. عبد العزيز بن حميد الحميد، علم اللّغة الجغرافي بين المصطلح وأصوله لدى العرب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الثانية، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
6. عبد الغني قمر جمعة، شبهات المستشرقين حول الإعجاز القرآني، ضمن بحوث مؤتمر الاستشراق ماله وما عليه، جامعة القصيم، السعودية، 2016/12/16م.
7. علي توفيق الحمد، نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 15، 2001م.
8. فريدة مولوج، التحليل التقابلي أهدافه ومستوياته، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، رفاد للدراسات والأبحاث، الأردن، المجلد1، العدد 2، 2019.
9. مازن المبارك، في تاريخ علم الصرف ومصطلحاته، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد التاسع، الإمارات، ربيع الأول، 1421هـ.
10. محمّد عبد الجبّار المعيبد، كتب الضّاد الظاء عند الدّارسين العرب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج3، ج2.
11. محمد محمد داود، المغفرة دراسة دلالية تأصيلية، مجلة علوم اللغة، المجلد الثالث، العدد الأول، 2000م.
12. منال جابر محمد عكاشة، عبد السّلام هارون محققا: مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد الحادي والعشرين، يوليو 2009.

13.محمد محمود عبد الرحمن القاضي، دور المعاجم العربية للمستشرقين في الدعوة إلى العامية، ضمن بحوث مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه، جامعة القصيم، السعودية، 2016/12/16م.

14.نبيلة قريني، التّاريخ للفكر النّحوي العربي ببصمة المستشرقين بين التأييد والتفنيد، ضمن الملتقى الوطني جهود علماء الاستشراق والاستعراب في خدمة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، السداسي الثاني، 2020.

د- الأجنبية:

1. André Martinet, éléments de linguistique générale, Armand colin, paris, 1980.
2. JEAN Dubois, D i c t i o n n a i r e de Linguistique, Larousse Bordas, paris, édition 1,1994.
3. John Lyons, Introduction to theoretical linguistic, cambridge, university press, 1968.
4. Roger Portal, L'orientalisme est l'ensemble des connaissances qui concernent les peoples de L'orient, Orientalisme sovietique et Extrême-Orient, Politique étrangère, Volume 13, Numéro 4, année, 1948.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

البسملة.....

شكر وتقدير.....

إهداء.....

مقدمة.....أ-د

المدخل: التّحديدات اللّغوية الاصطلاحية وإشكالية المصطلح 6-34

1)- الفيلولوجيا: La Philologie:.....6

2)-فقه اللّغة:.....9

3)-علم اللّغة: أوّلا: التعريف اللّغوي لعلم اللّغة باعتبار مفرديه:.....20

4- اللسانيات: 29

الفصل الأول: مظاهر البحث الفيلولوجي عند العلماء القدامى عبر دراستهم اللّغة.....36-102

المبحث الأول: مظاهر البحث الفيلولوجي في ظل الموازنة بين العربية وغيرها من اللّغات:.....36

1)-الموازنة بين العربية والفارسية:.....37

2)-الموازنة بين العربية والحبشية: 53

المبحث الثاني: مظاهر البحث الفيلولوجي في ظل القضايا اللغوية:.....59

1)-نشأة اللّغة:.....59

1-1) -الترجيح في المسألة:.....67

2)-الحقيقة والمجاز: 69

1.2) - تعريف الحقيقة:.....69

2-2)-القرائن الدالة على حمل الكلام على الحقيقة:.....70

3.2) تعريف المجاز: 72

4.2) أقوال العلماء في المجاز: 74

5.2) -وقفة مع ابن تيمية: 79

6.2) -الترجيح في المسألة: 79

المبحث الثالث: مظاهر البحث الفيلولوجي في ظل المنهج المتبع: 80

1)-تعريف المنهج: 80

1 .1) -المنهج الوصفي: 81

1 . 2) -المنهج المقارن: 95

الفصل الثاني: اللغة العربية في ظل النهضة العربية الحديثة 104-162

المبحث الأوّل: أثر الاستشراف في الدّراسة الفيلولوجية للغة العربية: 104

1)- تعريف الاستشراف: 104

1-1) -عند العرب: 105

2-1) -عند الغرب: 106

2)-أثر الاستشراق في الدّراسة الفيلولوجية للغة العربية: 107

1-2) -المستوىّ النّحوي: 107

2-2) -المستوى البلاغي: 115

المبحث الثاني: التّعرف على التّراث اللّغوي العربي عبر تحقيق النّصوص القديمة ودراستها: 120

1) تعريف تحقيق النّصوص: 120

1-1) -دور المستشرقين في تحقيق التّراث العربي: 121

2-1) - دور العلماء العرب في تحقيق التّراث: 129

المبحث الثالث: طلائع الدّرس الفيلولوجي للغة العربية: 144
1-علي عبد الواحد وافي: 144
1-1) - الاشتقاق العام: 145
2-1) -الاشتقاق الكبير: 147
3-1) -الاشتقاق الأكبر: 148
2)- رمضان عبد التواب: 149
1-2) -الدّعوة إلى العامية: 153
3)-محمّد المبارك: 156
الفصل الثالث: اللّغة العربية في ظلّ المناهج الفيلولوجية الغربية 164-224
المبحث الأول: الفيلولوجيا الغربية وأثرها في دراسة اللّغة العربية: 164
1)-النحو العربي والمنطق الأرسطي: 164
2)-انتحال الشعر الجاهلي: 175
1.2) -الأدلة الخارجية: 176
2.2). الأدلة الخارجية: 182
المبحث الثاني: أهمّ المناهج اللسانية ذات البعد الفيلولوجي في دراسة اللّغة العربية: 185
1)-المنهج المقارن: 185
1.1) -تعريفه: 185
2.1) - نشأته: 185
3.1)-أهميته: 186
4.1)-جهود الغربيين في تطبيق المنهج المقارن على اللغة العربية: 187

2)-المنهج التقابلي:..... 191

2-1)- تعريفه:..... 191

2-2)-نشأته:..... 191

2- 3)-أهميته:..... 191

2-4) -أهم الفروق بين المنهج المقارن والمنهج التقابلي:..... 192

2-5) -المستشرقون والمنهج التقابلي:..... 193

3)-المنهج التاريخي:..... 196

3-1)-تعريفه:..... 196

3-2)-نشأته:..... 196

3-3)-أهميته:..... 196

3-4)-المستشرقون والمنهج التّاريخي:..... 197

4)-المنهج الجغرافي:..... 199

4-1)-تعريفه:..... 199

4-2)-نشأته:..... 199

4-3)-أهميته:..... 200

4-4)-المستشرقون والمنهج الجغرافي:..... 200

المبحث الثالث: أهمّ المناهج العربية الحديثة التي درست العربية فيلو لوجيا:..... 202

1-)المنهج المقارن:..... 202

1-1)-رمضان عبد التّواب:..... 202

1-2)-علي عبد الواحد وافي:..... 204

3-1)-رمزي منير بعلبكي: 204
2)-المنهج التقابلي: 206
2-1)-علي مذكور وإيمان هريدي: 206
2-2)-أحمد سليمان ياقوت: 207
2-3)-عادل الشيخ عبد الله أحمد وعبد البصير بن محمد الرابع المكرطي: 209
3)- المنهج الجغرافي: 212
3-1)- عبده الراجحي: 212
3-2) -محمّد يعقوب أحمد تركساني: 217
3-3)-محمد أحمد سعيد العمري: 219
4)-المنهج التاريخي: 221
4-1) -محمد محمد داود: 221
4-2) -حسن عون: 223
4-3) - محمود فهمي حجازي: 224
خاتمة 226
الفهارس 226
فهرس الآيات القرآنية الكريمة: 230
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة: 238
فهرس الأشعار: 239
قائمة المصادر والمراجع 242
فهرس الموضوعات: 266

فهرس الموضوعات

ملخص الأطروحة.....

ملخص البحث:.....

ملخص الأطروحة

لقد مرّ البحث الفيلولوجي في العالم العربي بثلاث مراحل:

أ-فقه اللغة العربية عند القدامى:

لم تعرف الدّراسات اللّغوية قبل القرن الرّابع الهجري مصطلح فقه اللّغة، وإن كانت هناك مصنفات تحمل في طياتها هذا المضمون؛ مثل كتاب الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان (ت145ه)، والنّوادر لأبي عمرة (ت157ه)، والوجوه لهارون بن موسى (ت170ه)، وما اتفق لفظه واختلف معناه، وما اختلف لفظه واتفق معناه، وما تكلّم به العرب فكان في أفواه الناس كلّها للأصمعي (ت216ه)، والأضداد لأبي بكر الأنباري (ت328ه) وغيرها من المؤلفات.

وظلّ الأمر على ما هو عليه حتّى أطلّ علينا ابن فارس (ت 395ه) بكتابه الفذّ" الصّاحبي في فقه اللّغة ومسائلها، وسنن العرب في كلامها"، فيكون ابن فارس أوّل من استعمل هذا المصطلح، وقد حاول في مصنفه أن يجمع ما كان متفرقا في بطون مصنفات من سبقه من العلماء المتقدمين، وإلى ذلك أشار بقوله:" والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين، رضي الله عنهم وجزاهم عنّا أفضل الجزاء، وإنّما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق"، وقد عالج ابن فارس في كتابه المذكور آنفا عدة قضايا نوجزها في الآتي :

- مباحث نظرية: مثل القول في منشأ اللّغة.
- مباحث تاريخية: مثل باب الخطّ العربي وأوّل من كتب به.
- مباحث عامّة تتعلق بلغة العرب: مثل باب القول على أنّ لغة العرب أفضل اللّغات، وباب القول على أنّ لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها.
- مباحث دلالية: مثل كلامه على المشترك والتّرادف.
- مباحث نحوية: مثل تطرقه إلى أقسام الكلام، ومعاني الحروف.
- مباحث صوتية: مثل حديثه عن بعض الحروف، كالباء وأشار إلى أنّه من حروف الشفة.
- مباحث تصريفية: مثل باب القلب والإبدال ومعاني أبنية الأفعال.

- مباحث بلاغية: مثل باب معاني الكلام، وباب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز.
- مبحث يتعلق بباب الشعر وهو خاتمة الكتاب.

ثمّ يأتي الثّعالبي (ت429هـ) ويؤلّف كتابه فقه اللّغة وسرّ العربية، وهو مؤلّف جليل القدر، عظيم الفائدة بما حواه من درر ونفائس وبدائع، وقد أشار إلى تسميته في المقدّمة فقال: "وقد اخترت لترجمته وما أجعله عنوان معرفته ما اختار- أدام الله توفيقه- من فقه اللّغة وشفعته: بسر العربية ليكون اسما يوافق مسمّا، ولفظ يطابق معناه"، وقد قسّمه المصنف إلى قسمين: القسم الأوّل: فقه اللّغة: ويحتوي على ثلاثين بابا؛ تضم ما يقارب ستمائة فصل، والمتأمّل في هذا القسم يجد أنّ الثعالبي جمع فيه المفردات التي تندرج ضمن معنى معيّن، وعليه فهو معجم من معاجم المعاني، بل من أجودها وأحسنها، وقد بيّن ذلك عبد السّلام هارون فقال: "معاجم المعاني، وأعلاه المخصص لابن سيده، وفقه اللّغة للثعالبي"، والقسم الثاني: سر العربية وهو يشبه إلى حدّ بعيد كتاب الصّاحبي لابن فارس، وقد ضمّنه مسائل مختلفة وهي كالآتي:

- مسائل بلاغية: مثل المجاز، والاستعارة، والتجنيس، والطباق، والكناية والالتفات والحشو.
- مسائل نحوية مثل: الكلام على معاني بعض الحروف
- مسائل صوتية صرفية: مثل الابدال والقلب.
- مسائل دلالية: مثل المشترك اللفظي والتّضاد.

ولا شك أنّ القسم الأوّل مرتبط بالقسم الثاني ارتباطا وثيقا محكما، وذلك أن الحاذق الفقيه بالمسائل اللغوية يطلّع على أسرار و دقائق هذه اللّغة العربية البهيّة ما لا يطلع عليه غيره، فعنوان الكتاب وإن كان من اختيار الأمير أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، إلا أنّه في غاية الإتقان الذي يدلّ على قوة البصيرة، وحسن استعمال الألفاظ في مواقعها، وعليه فإنّ فقه اللّغة عند الثعالبي هو: معرفة الفروق الدّقيقة بين معاني الألفاظ ودراسة خصائص اللّغة الصوتية، والنّحوية، والصّرفية والبلاغية؛ للوصول إلى أسرارها ومكامنها، وهذا بالنّظر إلى الكتاب بقسميه، وأنّه كتلة واحدة، وأنّ المقصود من

العنوان هو عطف الخاصّ على العام، إلا أننا نجد أن كراوس لا يعدّ كتاب الثّعالبي من كتب فقه اللّغة، وقد صرّح بذلك قائلا : "وليس فيه شيء من فقه اللّغة". وهذه نكرة في سياق النفي تفيد العموم والحقّ الذي لاريب فيه أن فيه شيئا منّ فقه اللّغة، ومثال هذا الباب التاسع والعشرون الذي درس فيه الموازنة بين العربية والفارسية.

وبتصفح الكتابين يتضّح أن ابن فارس والثعالبي اتفقا في الهدف الذي يصبوان إليه وهو خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك أن فهمها لا يتأتى إلا بفهم اللّغة العربية فهما تامّا متقنا، بيد أننا نجدهما يختلفان في القضايا والمسائل المدروسة، ممّا يدلّ على أنّ معالم فقه اللّغة عند القدامى لم تكن محددة تحديدا دقيقا، بل كان شأنهم هو التعمق في دراسة الألفاظ العربية، ومعرفة دلالاتها الدّقيقة مع محاولة إبراز خصائص لغة الضّاد والكشف عن سنن العرب في كلامها.

ب- فقه اللغة العربية في ظل النهضة العربية الحديثة:

تعدّ ظاهرة الاستشراق من الظّواهر التي لقيت عناية من قبل الباحثين في العالم الإسلامي وهذا عائد إلى أهمية الموضوع ومدى تأثيره في علوم المسلمين، فقد جاءت حملات المستشرقين حاملة في طياتها مناهج العلوم الحديثة بغية دراسة ثقافة المسلمين ولغاتهم وتاريخهم ومعتقداتهم وما إلى ذلك، وهذا ما أفاد الأمّة الإسلامية تارة، وضرّها تارة أخرى في كثير من الأحيان بتلك الهجمات الشرسة على مبادئ المسلمين ومسلماتهم، فكان من الطبيعي أن تختلف الدّراسات حول هذا الموضوع المحيّر بين مناصر ومؤيّد، ومن بين معارض ومعاد لظاهرة الاستشراق، وسنحاول في هذا المضمار أن نسلط الضوء على بعض الكتب التي قام بتحقيقها المستشرقون وهي كالآتي:

الكامل في اللّغة والأدب للمبرد (ت285ه): قام بتحقيقه المستشرق الإنجليزي وليم رايت W.Wright، ويعدّ الكامل آخر كتاب ألّفه المبرد، فلذلك حظي بمكانة عظيمة عند العلماء قال ابن خلدون: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول هذا الفنّ وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتّبيين للجاحظ كتاب النّوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع". بناءً على هذا فإنّ الكامل يعدّ مصدرا أصيلا من مصادر اللّغة والأدب، وقد شرحه ثلة من

العلماء القدامى، منهم القاضي هشام بن أحمد الوقشي (ت489هـ)، وابن السّيد البطليوسي (ت521هـ) وغيرهما من العلماء.

شرح المفصّل لابن يعيش (ت 643هـ): قام بنشره المستشرق الألماني جوستاف يان Gustave، وشرحه هذا من أهم كتب النّحو، بل يعدّ موسوعة نحوية، وقد شرح فيه المفصل في صنعة الإعراب للزّمخشري.

كتاب المعارف لابن قتيبة (ت 276هـ): قام بنشره المستشرق الألماني وستنفليد Wiistenfled، وقد خصّص ابن قتيبة في كتابه المذّكور جزءا صغيرا خاصّا برواة الشعر وأصحاب الغريب والنّحو كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب وغيرهم.

كتاب سيبويه (ت 180هـ): قام بنشره المستشرق الفرنسي هارتقيج ديرنبورج H.Derenbourg، وكتاب سيبويه أجلّ كتب النحو العربي على الإطلاق؛ لأنّ مؤلفه إمام من أئمة النّحو، وقد تتلمذ على كبار النّحويين في زمانه، فدوّن عصارة علمهم، وآراءهم النّحوية في كتابه.

كتاب الفصيح لثعلب (ت291هـ): نشره المستشرق اليهودي الألماني بارت جاكوب Barth Jacob، وكتاب الفصيح من أهمّ الكتب التي اشتهر بها ثعلب، وقد أثنى على كتابه هذا أكابر العلماء، وفطاحلة الفقهاء، فهذا أبو الحسن بن البنا الحنبلي يشيد بالفصيح فيقول: "وكان بعض شيوخنا يقول" ثلاثة مختصرات في ثلاثة علوم، لا أعرف لها نظيرا: الفصيح لثعلب واللاّمع لابن جني، وكتاب المختصر للخرقي، ما اشتغل بها أحد وفهمها كنا ينبغي إلاّ أفلح وأنجح". فالفصيح كتاب مختصر عظيم الفائدة، لا سيما في بيان لحن العامّة.

معلّقة زهير بن أبي سُلمى مع شرح ابن النّحاس: نشرها المستشرق السّويسري ستينر Steiner، وزهير بن أبي سلمى من الشّعراء الحكماء الذين جمعوا بين جودة اللّغة ورونقها وبين الحكمة المستقاة من تجربته في الحياة، ومن أمثلة شعر الحكمة في معلّقته قوله:

وَمَهْمَا تَكُنْ عند امْرِئ مِنْ خَلِيقةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ".

فلو لم يكن له من شعر الحكمة إلا هذا البيت لكفاه فخرا.

الآجرّومية: نشرها المستشرق الفرنسي لويس برنييه Louis Bresnier، ومتن الآجرومية من المتون المهمة للمبتدئين، بل أحسنها، لأنّه يعطي للمبتدئ مفاتيح في علم النّحو، ولهذا

كانت عناية العلماء به شديدة؛ بين شارح له، وبين ناظم، وبين معرب لألفاظه، بل ترجمت إلى لغات عديدة.

نقائض جرير والفرزدق: قام بنشرها المستشرق بيقان Bevan، وهي عبارة عن مساجلات وخصومات شعرية وقعت بين شاعر عظيمين من شعراء العصر الأموي، وسميت بالنّقائض؛ نظرا لما بين الشاعرين من العداء الشّعري، إذ إنّ المناقض في اللّغة هو المخالف، ولا شكّ أنّ هذه النّقائض تمثّل حلقة شعرية جميلة في ذلك العصر، وإنّ المتأمّل في قصائدهما ليرى العجب العجاب من حسن التّراكيب، وبديع الأساليب، فكان حريا بكل من يتذوق الشّعر العربي أن يطلّع على هذا الكتاب القيم، ولا سيّما أنّ جامعه علم الأعلام، وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى التّيمي البصري (209هـ).

شرح المفضليات لابن الأنباري: قام بنشرها المستشرق الإنجليزي تشارلس لايل Ch.Lyall قال رمضان عبد التّواب: "تشارلس لايل الإنجليزي Ch.Lyall، الذي نشر شرح المفضليات لابن الأنباري نشرة دقيقة مع ترجمة أمينة بالإنجليزية، في بيروت سنة 1920".

والمفضليات عبارة عن قصائد شعرية لشعراء كانوا في الجاهلية، وبعضهم في صدر الإسلام، قام باختيارها المفضّل الضّبي، ورجّح عبد السّلام هارون أنّها ليست كلّها من اختيار المفضّلّ الضّبي، وفي هذا الصّدد يقول: هذه المفضليات في يدنا 126 قصيدة، شرحها أبو محمد الأنباري الكبير، يضاف إليها أربع قصائد ألحقت بها وجدت في بعض النّسخ، فتلك 130 قصيدة نستطيع أن نجزم أنّها ليست كلّها من اختيار المفضّل الضّبي، بل إنّه ليس له من الاختيار فيها إلا القليل". ثمّ أسهّب عبد السّلام هارون في ذكر الأدلة على ما ذهب إليه ولعله الأقرب إلى الصّواب، ومهما يكن من أمر فإنّ المفضليات تعدّ من كنوز الشعر العربي وروائعه بل أكثر ما ذكر فيها يصلح كشواهد في النّحو والبلاغة وغيرها من الفنون.

الصّبح المنير في شعر أبي بصير: نشره المستشرق الألماني رودلف جاير R.Geyer، قال رمضان عبد التّواب: "رودلف جاير (الألماني) R.geyer الذي نشر ديوان الأعشى الكبير والأعشين الآخرين في كتاب سمّاه الصّبح المنير في شعر أبي بصير، وقد استخدم في جمع أشعار هؤلاء الشعراء أكثر من خمسمائة مصدر عربي مطبوع ومخطوط، وطبعه في لندن

سنة 1928م". وفي هذا الكتاب قام جاير بنشر ديوان الأعشى ميمون بن قيس المكنى بأبي بصير، وآخرين ممّن لقبوا بالأعشى وهم كثر، وكان اعتماده على نسخة في الإسكوريال، قال شوقي ضيف عن نشرة جاير لديوان الأعشى: "وكان اعتماده الأساسي على مخطوطة الإسكوريال؛ لأنها برواية ثعلب وعلى الرّغم من أنّها تنقص أوراقا من نهايتها تحتفظ للأعشى بسبع وسبعين قصيدة مقطوعة، وقد أضاف إليها خمس قصائد من المخطوطات الخمس الأخرى، وجميعها تتفق في رواية خمس عشرة قصيدة له، كما تتفق في أنها مجهولة النسب، ولذلك لا يمكن الاعتماد على هذه المخطوطات، وأغلب الظّن أنها مختارات جمعت من نسخة ثعلب، وليست رواية مقابلة لها". ولعلّ ما ذهب إليه شوقي هو عين الصّواب؛ لكونه أعلم من جاير فيما يتعلّق بالتّراث العربي، وهذا الذي ذكرناه من الكتب التي قام المستشرقون بنشرها إنّما هو على سبيل التمثيل لا الحصر: لأنهم؛ قاموا بتحقيق كتب كثيرة جدا يعسر استقصاؤها في هذا السياق.

وقد "استعان المستشرقون كثيرا بأهل اللّسان العربي في تحرير نصوص التّراث العربي ونشرها عندما أنشؤوا بجامعاتهم كراسي للغات الشرقية والأدب العربي، ومن عجيب ما يذكر أنهم قد أنشؤوا في هذه الأقسام التي تعنى بالتراث العربي وظيفة قارئ نصوص بجانب الأساتذة والمحاضرين". وهذا راجع إلى عدم إتقان معظم المستشرقين للغة العربية، وعدم معرفتهم بخباياها وأسرارها، وكان من أولئك الذين استفاد منهم المستشرقون من ذوي اللّسان العربي: رزق الله حسون، ومحمد عياد الطنطاوي، وإبراهيم عبد الفتاح طوقان، والشّيخ طاهر الجزائري، ومحمد بن أبي شنب، وأحمد تيمور باشا وغيرهم، ومن هنا نستنتج أن تحقيقيات العلماء العرب المعاصرين هي التي ينبغي التّعويل عليها؛ لكونها أجود وأتقن من تحقيقات المستشرقين.

ومن جانب آخر قام المستشرقون بعملية إحصائية تتمثل في إعداد فهارس خاصة بالمخطوطات العربية الموجودة في المكتبات العالمية: في ألمانيا، والمملكة المتحدة، والنّمسا وفرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، وهولندا، والدّول الإسكندنافية، وروسيا وأمريكا، يقول عبّاس صالح طاشكندي: "ففي مجال ضبط المخطوطات العربية وفهرستها وتوثيقها، تولى

المستشرقون مسؤولية إصدار مئات الفهارس المتميزة كأدوات بيلوجرافية؛ تحصر الإنتاج المخطوط في عدد من المكتبات العالمية الكبرى".

ج- فقه اللغة العربية في ظل المناهج الفيلولوجي الغربية:

لقد تأثّر العلماء العرب المحدثون بالتيار الغربي، فاستقوا من عندهم تلك المناهج الحديثة، وطبّقوها على العربية، وفي هذه العجالة سنكتفي بذكر بعض الأعلام للدلالة على الباقي.

1-رمضان عبد التّواب:

اعتنى رمضان عبد التّواب بدراسة اللّغات السّامية، ويظهر هذا من مؤلفاته في هذا الميدان، ككتاب اللّغة العربية، قواعد ونصوص ومقارنات باللّغات السّامية، وكتاب نصوص من اللّغات السّامية مع الشرح والتّحليل والمقارنة، وكتاب في قواعد السّامية: العبرية والسّريانية والحبشة، وله مصنفات مترجمة كفقه اللّغات السّامية لبروكلمان، واللّغات السامية لنولدكه. وكذلك قام بإخراج مصنف التطور النحوي للغة العربية لبراجشتراسر؛ ممّا يوحي بتأثره بالمدرسة الألمانية الاستشراقية.

من المسائل التي أعطاها رمضان عبد التّواب أهمية كبرى مسألة التذكير والتأنيث في اللغات السّامية. يقول أثناء تحقيقه لكتاب البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات الأنباري: "وتدلّ مقارنة اللّغات السامية مثلا، على أنّ السّاميين القدامى كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللّغة، لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل آخر للمؤنث، ففي اللغة العربية مثلا: حمار للمذكر في مقابل أتان للمؤنث من الحمير ... وفي اللّغة العبرية ayil كبش في مقابل rahél نعجة - رَخِل لأنثى الكبش، وفي اللّغة السّريانية gadyà جدي في مقابل ezzàعنز، وهما في الآشورية gadu جدي وenzu عنز... وغير ذلك كثير". وهذا الأصل الذي ذكره رمضان عبد التّواب لم يعد معتمدا في جميع صيغ المذكر المؤنث؛ لوجود علامات التأنيث.

ثمّ يعرّج على ذكر العلامات الخاصّة بالتأنيث اللّغات السّامية فيقول: "وهذه العلامات هي: التاء، والألف الممدودة، والألف المقصورة.

أمّا العلامة الأولى وهي التاء، فهي أهم العلامات وأكثرها انتشارا في اللّغات السّامية.... وقد بقيت التاء كما هي في الآشورية والحبشية، في حالتي الوصل والوقف أمّا في اللّغة العربية فإنّها هاءً في حالة الوقف". فأمّا الوقف بالهاء في المفرد في العربية فعلى الأفصح، وبعضهم يقف بالتاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ (سورة الأعراف الآية 54)، وبه قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة.

ثم ينتقل إلى العلامة الثانية فيقول: "أمّا العلامة الثانية للتأنيث، وهي الألف الممدودة، فتوجد في اللّغة العربية على الأخص في صيغة: فعلاء مؤنث أفعل الدّال على الألوان والعيوب الجسمية؛ مثل حمراء مؤنث أحمر، وعرجاء مؤنث أعرج، ويرى بروكلمان أن هذه الألف تطابق في اللغة العبرية (o) في أسماء الأماكن مثل: silo" وللألف الممدودة في العربية أوزان أخرى كأفعلاء، وفعللاء، وفاعِلاء، وفِعْلياء، وَفَعِلاء، وفَعِيلاء، ومَفْعُولاء.

ثمّ يذكر العلامة الثالثة قائلا: "وأمّا العلامة الثالثة للتأنيث، وهي الألف المقصورة، فتوجد في اللّغة العربية على الأخص، في صيغة فُعلى مؤنث أفعل الدّال على التفضيل مثل: كبرى مؤنث أكبر، وهي تقابل في اللّغة العبرية (ay) في مثل Sàray إلى جانب Sara سارة، وتقابل في اللّغة السّريانية (ay) كذلك في مثل tu'yay ضلالة". وللألف المقصورة أوزان كثيرة؛ منها: فَعَلَى وفَعْلَى، وفُعَالَى، وفُعَّلَى، وفِعْلَى.

ويشير أيضا إلى الكلمات المؤنثة بدون علامة التأنيث فيقول: "وهذا وتحتوي اللّغات السّامية فيما عدا ذلك على الكثير من الكلمات المؤنثة دون أن يكون لها إحدى علامات التأنيث السّابقة، وهذا النوع هو ما يسميه اللغويون العرب بالمؤنثات السّماعية. ومن أمثلة ذلك في اللغة العربية: عين، وأذن، وعضد.. وتميل اللّغة الآشورية إلى إدخال تاء التأنيث على هذه المؤنثات السّماعية كذلك، فمثلا كلمة نفس مؤنثة في اللغة العربية، وكذلك في الحبشية nefs والعبرية nefes، والآرامية nafsà بلا علامة تأنيث كلها، أمّا الآشورية فالكلمة فيها napistu". وبناءً على ما قرره؛ فإن اللّغة العربية في باب المؤنثات السّماعية تشترك مع اللغات السامية في عدم إدخال علامات التأنيث، إلاّ الأشورية فإنها تدخل تاء التأنيث في هذا الباب.

2-علي عبد الواحد وافي:

أبان في كتابه فقه اللّغة عن وجوه الخلاف بين اللغات السّامية فقال: "فمن وجوه الاختلاف في القواعد أداة التعريف فهي في العربية أل في أوّل الكلمة، وكانت في السّبئية حرف نون في آخر الكلمة، وفي السّريانية حرف آ في نهاية الكلمة، أمّا الآشورية البابلية والحبشية فلا أداة للتعريف فيهما مطلقاً. ومن ذلك أيضا علامة الجمع: فهي في العبرية حرفا يم للمذكر والواو والتّاء للمؤنث، والآرامية حرفا ين: في حين أنه في العربية يستخدم للدلالة على جمع المذكر؛ الواو والنون في الرّفع، والياء والنون في النصب والجرّ في آخر الكلمة، وللدلالة على جمع المؤنث الألف والتاء في آخر الكلمة، وللدلالة عليهما معا صيغ جمع التكسير". ومنه يتبيَّن أنّ اللغات السّامية تختلف في أداة التعريف، والعلامات الدّالة على الجمع وغيرها من الاختلافات الكثيرة التي ليس هذا محل بسطها.

3-رمزي منير بعلبكي:

عُرف بمؤلّفه فقه العربية المقارن، دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السّامية. وقد أشار في مقدمته إلى المنهج الذي اعتمده فقال: "مجال بحثنا هذا هو العربية الفصحى، ومنهجه هو المنهج المقارن للغات السّامية." وهو كتاب حافل بالموازنة بين العربية وغيرها من اللّغات السّامية في الجانب الصّوتي، والصّرفي، والنّحوي وسنقتطف منه ما يدلّ على المطلوب.

يقول رمزي بعلبكي في صدر حديثه عن الحالات الإعرابية: "مع أنّ معظم اللّغات السّامية فقد علامات الإعراب، باستثناء بقايا منها ترجع إلى مرحلة لغوية سابقة، نستنتج من وجود نظام إعرابي في العربية الفصحى والأوجاريتية والأكادية... ففي حين احتفظت العربية بهذا النظام على صورته التي تفترض أنها الأصل السّامي الأم، لم يبق منه في الآرامية والعبرية سوى آثار لا يلاحظها إلا الدّارس، وذلك لما اعترى أصلها من تغير. وتدلّ المقارنة على أن النّظام الإعرابي السّامي، منذ النشأة، حصّ الضمة بالإسناد، والفتحة بالمفعولية، والكسرة بالإضافة". فالإعراب سمة من سمات اللّغات السّامية، إلا أنّ هذه الخاصية فقدت في بعضها، فلم تبق إلّا في العربية، والأكدية التي تشمل اللغتين البابلية

والآشورية والأوجاريتية، والحبشية، وبعض اللغات السّامية الأخرى. والإعراب من أهم خصائص العربية؛ فبه نميّز بين المعاني المتكافئة.

ويقول في موضع آخر: "الزّوائد الصّرفية، ومعاني الأوزان: تشترك السّاميات جميعا بإدخال زوائد affixes على جذور الكلمات؛ للدلالات الصّرفية المختلفة، وباستخدام ثلاثة أنواع منها بحسب موضع كلّ نوع في الكلمة، وهذه الأنواع الثلاثة هي السوابق préfixes؛ كهمزة التعدية في الفعل وميم المصدر في الاسم؛ والدّواخل أو الحواشي inilisces كتاء افتعل وافتعال، ونون الفعل، وانفعال، واللواحق suffixes؛ كنون التوكيد وعلامة التثنية ومع أن الأخوات السّاميات تختلف في مدى الاستفادة من هذه الزوائد. وتنفرد إحداها أحيانا بزائدة ما، كما في أداة التعريف، وهي لام سابقة العربية، و ha سابقة في العبرية، وà لاحقة في السّريانية". فاللغات السّامية تشترك في إدخال الزوائد على أصول الكلمات، وهي ثلاثة أقسام:

- زوائد في أوّل الكلمة، ومثّل له بهمزة التعدية، وهي التي تصير الفاعل مفعولا، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ٣٤﴾ (سورة فاطر، الآية 34). فالفعل ذهب لازم، فلمّا دخلت عليه همزة التعدية أصبح متعديا.

- زوائد في وسط الكلمة: ومثّل له بنون انفعل، وهذه الصيغة لا تدل إلّا على المطاوعة، ولا يكون الفعل إلاّ لازما. وتاء افتعل، وهذه الصيغة تدل على عدة معان منها الاجتهاد، والتشارك، والمطاوعة، والمبالغة في الفعل.

- زوائد في أواخر الكلمة، ومثّل له بنون التوكيد التي تدخل على الفعل المضارع فيصبح مبنيا بعد أن كان معربا.

ملخص البحث:

يروم هذا البحث إلى بيان المحطات التي مرّ بها الدرس الفيلولوجي للّغة العربية؛ بدءا من القدامى إلى مشروع الانفتاح على الفيلولوجية الغربية، ففقه العربية والكشف عن أسرارها وخباياها مطية إلى الاعتزاز بها، والتأمل في عجائبها، والغوص في معانيها.

ومسعى هذا الطرح يرتكن إلى الوقوف على ملامح البحث الفيلولوجي عند العلماء العرب القدامى، الذي تجلّى في الموازنة بين العربية وغيرها من اللّغات، وكذلك في دراسة بعض القضايا اللّغوية، كاللّغات العربية القديمة، والخط العربي، والاشتقاق والإبدال وغيرها. وكذلك في ظلّ المناهج المتبعة؛ كالمنهج الوصفي والتأثيلي. ثم الانعطاف على عصر النهضة وما حمله في طياته من دراسات للمستشرقين وبعض المحدثين العرب، ثم الاقتباس من معين الفليولوجيا الغربية.

وفي إطار هذا التزاوج الفكري بين الدراسات التراثية وبين الفيلولوجيا الغربية، يتحتّم علينا التنويه بمكانة المسار الذي رسمه علماء العربية القدامى في أبحاثهم المتعلقة بفقه اللغة العربية، مع محاولة سدّ الثّغرات التي تركوها على أيدي المحدثين العرب؛ من أجل الرقي باللسان العربي المبين.

Summary:

This research aims to explain the stages that the philological study of the Arabic language has passed through. Starting from the ancients to the project of openness to Western philology, Arabic jurisprudence and revealing its secrets and mysteries is a way to cherish it, contemplate its wonders, and delve into its meanings.

The endeavour of this proposal is based on identifying the features of the philological research of ancient Arab scholars, which was manifested in the balance between Arabic and other languages, as well as in the study of some linguistic issues, such as the ancient Arabic languages, Arabic script, derivation and substitution, and others. Likewise, in light of the followed curricula; Such as the descriptive and analogical method. Then we turn to the Renaissance era and the studies it carried within it by Orientalists and some Arab modernists, then quoting from a source of Western philology.

In the context of this intellectual marriage between traditional studies and Western philology, it is necessary for us to note the importance of the path drawn by ancient Arabic scholars in their research related to Arabic philology, while trying to fill the gaps left by Arab modernists in order to advance the clear Arabic language.

Résumé :

Cette recherche vise à expliquer les étapes par lesquelles est passée l’étude philologique de la langue arabe. Partir des anciens jusqu'au projet d'ouverture sur la philologie occidentale, la jurisprudence arabe et révéler ses secrets et ses mystères est une manière de la chérir, de contempler ses merveilles et d'approfondir ses significations.

L'objectif de cette proposition est basé sur l'identification des caractéristiques de la recherche philologique des savants arabes anciens, qui se sont manifestés dans l'équilibre entre l'arabe et les autres langues, ainsi que dans l'étude de certaines questions linguistiques,

telles que les langues arabes anciennes, Écriture arabe, dérivation et substitution, et autres. De même, à la lumière des cursus suivis ; Comme la méthode descriptive et analogique. Nous nous tournons ensuite vers l'ère de la Renaissance et les études qu'elle a portées en son sein par les orientalistes et certains modernistes arabes, en citant ensuite une source de philologie occidentale.

Dans le contexte de ce mariage intellectuel entre les études traditionnelles et la philologie occidentale, il convient de noter l'importance du chemin tracé par les savants arabes anciens dans leurs recherches liées à la philologie arabe, tout en essayant de combler les lacunes laissées par les modernistes arabes dans leur recherche. afin de faire progresser la langue arabe claire.